كتاب الكبائر

تأليف

مؤرخ الإسلام الإمام الحافظ

شمس الدين الذهبي

تحقيق

عبد الحميد شانوحة



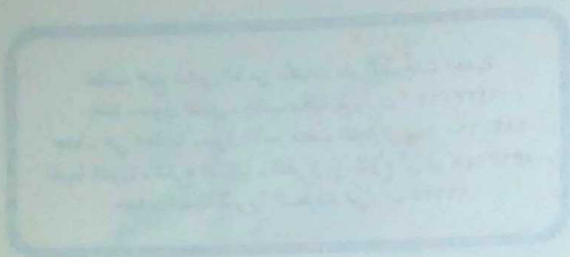
الناشر

دار المطبوعات الحديثة

تلفون ٦٨٩١٦٦٠ - ٦٤٣٣٠١١ - ص.ب : ١٦٦٢٥

جدة - المملكة العربية السعودية

هدية
إلى الأخ في الله
د. جمال الدين
حفظه الله ونفع به
أخوكم
عبد الحميد



كتاب الكبائر

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م



الناشر
دار المطبوعات الحديثة
المملكة العربية السعودية - جدة - ص.ب. ١٦٦٢٥ - تلفون: ٦٨٩١٦٦٠

كتاب الكبائر

تأليف

مؤرخ الإسلام الإمام الحافظ

شمس الدين الذهبي

تحقيق

عبد الحميد شانوحه



بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة المحقق

ان الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد فهذا كتاب «الكبائر» لمؤرخ الإسلام الامام الحافظ شمس الدين الذهبي وهو كتاب يحتاجه كل مسلم في حياته على تعدد درجات علمه فالداعية بحاجة إليه وصاحب العقيدة بحاجة إليه والفقيه بحاجة إليه وكذلك المسلم العادي في حياته ومعاملاته بحاجة إليه لذلك كنت أتمنى أن أعمل بتحقيق هذا الكتاب إلى ان يشاء الله فتم العمل به وأنا في مكة المكرمة وانهيته في غرة رجب سنة ١٤٠٦ هـ.

أسأل الله أن ينفع به المسلمين ويكون لي ذخراً يوم الدين والله الموفق في الأمر كله وإليه المثاب.

كتبه

عبد الحميد منير شانوحه

تعريف بالمؤلف وبكتابه الكبائر

هو: شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز التركماني، الفارقي، الدمشقي، الشافعي، الشهير بالذهبي.

أصل أسرته من «ميافارقين». ولد في دمشق سنة ٦٧٣ هـ - ١٢٧٤ م، وتلقى العلم عن شيوخ الشام ومصر والحجاز، وزار اكثر المدن لهذه الغاية، ونبغ في كثير من العلوم، وبخاصة في قراءات القرآن، والحديث، وضرب بحفظه المثل، ونعت «بامام الوجود حفظاً، وبشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل»، وذاع صيته في الآفاق، وقصده طلاب العلم من كل صوب.

ذكر «الذهبي» في معجمه ثلاثمائة شيخ وألف شيخ ممن تلقى العلم عنهم وعلمهم واقراهم، منهم مجموعة من كبار العلماء والمؤلفين المشهورين.

تولى «الذهبي» عدة وظائف علمية في دمشق، ولما كف بصره في سنة ٧٤١ هـ انقطع عن التأليف، واكتفى بالتدريس إلى ان وافاه الأجل في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٨ م. ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق.

ترك «الذهبي» ثروة علمية ضخمة أودعها في مؤلفاته المفيدة التي نيفت على تسعين مؤلفاً في الحديث والتاريخ والتراجم وغيرها، اعظمها تاريخه الكبير (تاريخ الاسلام)، وكتاب (سير اعلام النبلاء)، و(ميزان الاعتدال) و(المشتبه في أسماء الرجال) و(تجريد الاصول في أحاديث الرسول) وغيرها، وكثير منها مطبوع متداول.

وقد تحدث عن مؤلفات «الذهبي» كثير من المؤلفين القدامى والمحدثين، وكتبت عدة دراسات عنه في رسائل ومجلات عربية وأجنبية، وكلها أشادت بعلمه وفضله، ونوهت بما خلف من آثار علمية انتفع بها أبناء عصره، ومن خلفهم من أبناء العصور التالية حتى اليوم.

وكتابه «الكبائر» في مقدمة مؤلفاته التي وضعها خاصة لطبقة من القراء، وقد عالج فيه موضوعات تروق لهم، وتفيدهم في دينهم ودنياهم، وتقرب إلى أذهانهم أشياء قد يستصعبون فهمها في الكتب العلمية الموضوعة للخاصة من العلماء وطلاب العلم.

فهو في كتاب «الكبائر» قد يسلك طريق الواعظ المرشد الذي ينشد صلاح الناس وتقويم عقائدهم وسيرتهم، وساق ما أورده بلغة سهلة مفهومة وأسلوب واضح جذاب، وابتعد عن التعقيد والغموض والتصنع، فجاء كتابه نافعاً للخطباء والواعظين، ومنبها للغافلين والحائرين، وزاجراً للعصاة والمنحرفين وقائداً للراغبين في سلوك طريق الله والحق والصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف الكبائر

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(أما بعد) فهذا كتاب مشتمل على ذكر جمل في الكبائر والمحرمات والمنهيات.

الكبائر:

ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين، وقد ضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى:

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ (سورة النساء آية ٣١).

فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ واذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (سورة الشورى آية ٣٧). وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ الاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ واسعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (سورة النجم آية ٣٢).

وقال رسول الله ﷺ:

[١] «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات[١] لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[٢]، فتعين علينا الفحص عن الكبائر، ما هي لكي يجتنبها المسلمون[٣]. فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها، فقيل: هي سبع. واحتجوا بقول النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم:

[٢] «اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[٤] متفق عليه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع، وصدق والله ابن عباس[٥]. وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر،

---

(١) في نسخة «كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر».

(٢) رواه الامام أحمد في المسند، من رواية أبي هريرة ٤٨٤/٢ باسناد صحيح ورواه أيضاً مختصراً عن عبدالله بن مسعود ٤٠٢/١ و٤٠٧. وروى معناه البخاري في المواقيت، باب الصلوات الخمس كفارة للخطايا، ورواه مسلم في الطهارة من حديث جابر، ورواه الترمذي رقم (٢١٤) في أبواب الصلاة: باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس. وقال: في الباب عن جابر وانس وحنظلة الأسيدي، وقال: هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال. أما حديث أنس فأخرجه الشيخان، ورواه ابن ماجه عن أبي أيوب الأنصاري رقم (٥٩٨) واسناده منقطع. ورواه أحمد ٢٢٩/٢ و ٣٥٩، و٤٠٠، و٥٠٦، ومن حديث حنظلة الأسدي ٢٦٧/٤ في «المسند».

(٣) في نسخة: المسلم.

(٤) رواه البخاري في الوصايا ٢٩٤/٥ ومسلم في الايمان رقم (٨٩) وأبو داود في الوصايا رقم (٢٨٧٤): باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم والنسائي ٢٥٧/٦.

(٥) رواه عبد الرزاق والطبري في تفسيره عند قوله: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه» سورة النساء.

والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فانه كبيرة(١). ولا بد من تسليم ان بعض الكبائر اكبر من بعض. ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم عد الشرك بالله من الكبائر، مع ان مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبدا. قال الله تعالى: ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (سورة النساء آية ٧).

الكبيرة الأولى: الشرك بالله

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان: أحدهما - أن يجعل لله نداً ويعبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلكَ لِمَنْ يَشَاء﴾ (سورة النساء آية ٤٨) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة

---

(١) والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة وزاد شيخ الاسلام: أو ورد فيها وعيد بنفي ايمان أو لعن ونحوهما. والصواب تقسيم الذنوب إلى كبيرة وصغيرة وان الكبائر في الذنوب بعضها أكبر من بعض وقال ابن عبد السلام الشافعي لم أقف للكبيرة على ضابط سالم من الاعتراض والضابط الذي قاله شيخ الإسلام وغيره من أنها ما فيها حد أو وعيد أو لعن أو تبرؤ أو ليس منا أو نفي إيمان، من أسلم الضوابط، وعن سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس: الكبائر سبع. فقال ابن عباس: هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع، غير انه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع اصرار. وفي رواية عنه: هي إلى السبعين أقرب، وعدها العلماء فبلغت سبعين أو زادت على السبعين اهـ.

لقمان آية ١٣). وقال تعالى: ﴿انه مَنْ يُشْرِكْ بالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عليه الجَنَّةَ ومَأوَاهُ النَّارُ﴾ (سورة المائدة آية ٧٢).

والآيات في ذلك كثيرة.

فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً فهو من أصحاب النار قطعاً، كما ان من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة وان عذب بالنار. وفي «الصحيح» ان رسول الله ﷺ قال:

[٣] «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر- ثلاثاً- قالوا: بلى يا رسول الله قال: الاشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[١]. وقال صلى الله عليه وسلم:

«اجتنبوا السبع الموبقات»[٢] فذكر منها الشرك بالله، وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤] «من بدل دينه فاقتلوه» الحديث[٣].

والنوع الثاني من الشرك: الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَملاً صَالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبَادة رَبِّه أحَداً﴾ (سورة الكهف آية ١١٠).

---

(١) رواه البخاري في الشهادات، والأدب والاستئذان، ومسلم في الايمان، ورواه الترمذي رقم (١٩٦٦) في البر والصلة باب رقم (٤) ما جاء في عقوق الوالدين ورواه أحمد ١٣١/٣ في «المسند» و٣٦/٥ و٣٨.

(٢) مر ذكره رقم [٢].

(٣) رواه البخاري ٢٣٨/١٢ والترمذي في الحدود رقم (١٤٥٨) وأبو داود في الحدود رقم (٤٣٥١) في أول الباب والنسائي ١٠٤/٧ وأحمد ٢٨٢/١.

أي لا يرائي بعمله أحداً. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٥] «إياكم والشرك الأصغر، قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء. يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[١]. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٦] «يقول الله: من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء»[٢]. وقال:

[٧] «من سمع سمع الله به ومن رايا رايا الله به»[٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال:

[٨] «رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[٤] يعني انه إذا لم يكن الصلاة

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» ٤٢٨/٥ و٤٢٩ عن محمود بن لبيد، وقال العراقي: رواه أحمد بإسناد جيد عن ابن عباس والبيهقي في «الشعب» وابن ابي الدنيا في حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات. قال المنذري جيد ورواه الطبراني عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٨٥) من دون كلمة «وأنا منه بريء» وهي عند ابن ماجه رقم (٤٢٠٢) باسناد صحيح في الزهد. باب الرياء والسمعة.

(٣) رواه البخاري ومسلم من حديث جندب كذا ابن ماجة والترمذي من حديث ابي بكرة بلفظ «من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به» رواه البخاري ٢٨٧/١١ ومسلم رقم (٢٩٨٧) والترمذي رقم (٢٣٨٢) وابن ماجه في الزهد رقم (٤٢٠٧). باب الرباء والسمعة. واحمد ٤٠/٣ و٤٥/٥ في «المسند».

(٤) رواه الامام أحمد ٣٧٣/٢ في «المسند» باسناد صحيح ورواه ابن ماجه في الصيام رقم (١٦٩٠) وقال في الزوائد اسناده ضعيف باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم والدارمي ٣٠١/٢ وصححه الحاكم ٤٣١/١ وقال: صحيح على شرط البخاري ورواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه، وابن ابي حاتم والطبراني، والبيهقي عن شداد بن أوس والبزار وابن‌مردويه، والبيهقي عن الضحاك بن قيس، نحوه.

والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له، كما روي[1] عنه صلى الله عليه وسلم انه قال:

[٩] «مثل الذي يعمل للرياء والسمعة كمثل الذي يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشتري به، فاذا فتحه قدام البائع فاذا هو حصى وضرب به وجهه، ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له ما أملا كيسه ولا يعطي به شيئاً. فكذلك الذي يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة» قال الله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس. وروى[2] عدي ابن حاتم الطائي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

[١٠] «يؤمر بفئام - أي جماعات - من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها، ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لاهلها فيها، نودوا أن اصرفوهم عنها فانهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليائك كان أهون علينا. فيقول الله تعالى: ذلك ما أردت بكم. كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بأعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم. هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم

---

(١) جعله ابن حجر في زواجره من كلام بعض الحكماء لا حديثاً نبوياً.

(٢) أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي، وابنا عساكر والنجار والحسن ابن سفيان. وذكره في «الترغيب» بصيغة التمريض وهي: وروى عن عدي الخ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ونازعه السيوطي.

للناس ولم تتركوا لي - يعني لأجل الناس - فاليوم أذيقكم أليم عقابي مع ما حرمتكم من جزيل ثوابي »[1] وسأل رجل رسول الله ما النجاة؟ فقال صلى الله عليه وسلم:

[١١] « أن لا تخادع الله ». قال: وكيف يخادع الله؟ قال: « ان تعمل عملاً أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله. واتق الرياء فانه الشرك الأصغر، وان المرائي ينادي عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة اسماء: يا مرائي، يا غادر، يا فاجر، يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك، فلا أجر لك عندنا، اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع ». وسئل بعض الحكماء رحمهم الله من المخلص: فقال: المخلص الذي يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقيل لبعضهم: ما غاية الاخلاص؟ قال: أن لا تحب محمدة الناس. وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والاخلاص ان يعافيك الله منهما. اللهم عافنا منهما واعف عنا.

الكبيرة الثانية: قتل النفس

قال تعالى: ﴿ومَن يَقتُلْ مُؤمِناً مُتعَمِّداً فَجزاؤُهُ جَهَنَّم خالِداً فِيها وغَضِبَ الله عَليه ولَعَنَهُ وأعَدَّ لهُ عَذاباً عَظِيماً﴾ (سورة النساء آية ٩٣). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ لاَ يَدْعونَ مَعَ الله إلهاً آخَرَ ولا يَقْتُلونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالْحَقِّ ولا يَزنُونَ. ومَنْ يَفعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاماً

---

(١) ابن أبي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم، واسناده ضعيف (عراقي).

يُضاعَفْ لَهُ العَذابُ يَوْمَ القِيامَةِ ويَخْلُدْ فيهِ مُهاناً. إلاَّ مَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً﴾ (سورة الفرقان آية ٦٨). وقال تعالى: ﴿مِنْ أجْلِ ذلكَ كَتَبْنا على بَني إسْرائِيلَ أنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْس أوْ فَساد في الأرض فَكَأنَّمَا قَتَل النَّاسَ جَمِيعاً، ومَنْ أحْياهَا فكأنَّما أحْيا النَّاس جَميعاً﴾ (سورة المائدة آية ٣٢). وقال تعالى: ﴿وإذا المَوْءودَةُ سُئِلَتْ بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (سورة التكوير آية ٩).

وقال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»[1]. فذكر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق. وقال رجل للنبي ﷺ: أي الذنب اعظم عند الله تعالى؟ قال:

[١٢] «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[2] فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ الآية. وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٣] «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»

---

(١) مر ذكره، تمام الحديث: قيل: وما هن يا رسول الله قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي (المنذري).

(٢) رواه البخاري ٣٧٨/٨ وفي تفسير سورة البقرة وفي الأدب، وفي الحدود والديات، والتوحيد، ومسلم في الايمان رقم (٨٦). بدون الآية وأبو داود في الطلاق رقم (٢٣١٠): باب في تعظيم الزنا، والترمذي رقم (٣١٨١) في تفسير سورة رقم (٢٥)، والنسائي في الايمان ٨٩/٧ والتحريم واحمد في «المسند» ٣٨٠/١ و٤٣١ و٤٣٤ و٤٦٢ و٤٦٤.

قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»[1].

قال الامام أبو سليمان رحمه الله: هذا انما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل، انما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو، فأما من قاتل أهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها، أو دفع عن نفسه أو حريمه فانه لا يدخل في هذه، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه إلا ان كان حريصاً على قتل صاحبه. ومن قاتل باغياً أو قاطع طريق من المسلمين فانه لا يحرص على قتله، انما يدفعه عن نفسه، فان انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه. فان الحديث لم يرد في أهل هذه الصفة. فأما من خالف هذا النعت فهو الذي دخل في هذا الحديث الذي ذكرنا، والله أعلم.

وقال رسول الله ﷺ:

[١٤] «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[2]

وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه ابن ماجه في الفتن باسناد صحيح رقم (٣٩٦٤): باب اذا التقى المسلمان بسيفيهما، والبخاري في الايمان ٨١/١، والفتن، والديات، ومسلم في الفتن رقم (٢٨٨٨)، وأبو داود رقم (٤٢٦٨) في الفتن باب في النهي عن القتال في الفتنة والنسائي ١٢٥/٧ وأحمد في «المسند» ٤٠١/٤ و٤٠٣ و٤١٠ و٤١٨.

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن رقم (٣٩٤٢) باسناد صحيح: باب لا ترجعوا بعدي كفاراً...، من حديث جرير بن عبد الله والترمذي رقم (٢٢٨٩) في الفتن: باب لا ترجعوا بعدي كفاراً...، ورواه البخاري ٧٥/١٢، وفي العلم، والحج، والمغازي، والأضاحي، والادب، والحدود، والفتن والتوحيد ٢٢/١٣، ومسلم في الايمان رقم ٦٦، وأبو داود رقم (٤٦٨٦) في السنة، باب الدليل على زيادة الايمان ونقصه، والنسائي ١٣٦/٧، والدارمي في المناسك وأحمد ٢٣٠/١ و٤٠٢ و٨٥/٢ و٨٧ و١٠٤ و٤٧٧/٣ و٧٦/٤.

[١٥] «لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»(١) وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

[١٦] «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»(٢)، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال:

[١٧] «لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا»(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٨] «الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس واليمين الغموس»(٤) وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار، وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٩] «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل»(٥) مخرج في الصحيحين، وقال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه البخاري في الديات والامام أحمد في «المسند» ٩٤/٢.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٢٦١٥) باسناد صحيح في الديات: باب التغليظ في قتل مسلم ظلما،والترمذي في الديات رقم ١٤١٦ و١٤١٧ و١٤١٨ واسنادهم صحيح.والبخاري في الديات ومسلم في القسامة والنسائي في التحريم وأحمد ٣٨٨/١ و٤٤١ و٤٤٢.

(٣) رواه ابن ماجه رقم (٢٦١٩) في الديات: باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً وقال في الزوائد: اسناده صحيح ورجاله موثقون، ورواه البيهقي والأصبهاني باسناد حسن، ورواه النسائي والبيهقي من حديث بريدة، وشاهده عند مسلم والنسائي والترمذي رقم (١٤١٤) وفي اسناده عطاء العامري لم يوثقه الا ابن حبان.

(٤) رواه البخاري في الايمان والترمذي في التفسير رقم (٣٢١٠) في سورة النساء واسناده صحيح والنسائي في التحريم وأحمد في «المسند» ٢٠١/٢ و٤٩٥/٣ والدارمي في الديات.

(٥) رواه ابن ماجه باسناد صحيح في الديات رقم (٢٦١٦) باب التغليظ في قتل مسلم.

[٢٠] «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وان رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً» أخرجه البخاري[١].

فاذا كان هذا في قتل المعاهد - وهو الذي اعطى عهداً من اليهود والنصارى في دار الاسلام - فكيف يقتل المسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٢١] «ألا ومن قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفاً»[٢] صححه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم:

[٢٢] «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى» رواه الامام أحمد[٣]. وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٦٨٦) عن ابن عمرو في الديات: باب من قتل معاهداً، واخرجه البخاري ١٩٣/٦ وابو داود رقم (٢٧٦٠) معناه في الجهاد: باب الوفاء للمعاهد واسناده حسن والنسائي ٢٤/٨ والترمذي من حديث أبي هريرة رقم (١٤٢٤) في الديات: باب ما جاء فيمن يقتل نفساً معاهداً. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وفي رواية ابن عجلان عن أبي هريرة قال في «التقريب»: اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة.

(٢) هي رواية الترمذي رقم (١٤٢٤) في الديات: باب ما جاء فيمن يقتل نفساً معاهداً وقال فيه: وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفاً» والله أعلم بالصواب. وقال الترمذي: إسناده حسن صحيح وهي من رواية ابن عجلان عن أبي هريرة قال في «التقريب»: اضطربت عليه أحاديث أبي هريرة.

(٣) رواه ابن ماجه في الديات رقم (٢٦٢٠): باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً، واسناده ضعيف قاله الذهبي في رسالته الصغرى. والأصبهاني انهم عن أبي هريرة رفعه، ورواه البيهقي من حديث ابن عمرو ورفعه ذكره المنذري في الترغيب بصيغة التمريض.

[٢٣] «كل ذنب عسى الله ان يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً»[١]. نسأل الله العافية.

الكبيرة الثالثة: في السحر

لأن الساحر لا بد وأن يكفر. قال الله تعالى:

﴿ولكنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (سورة البقرة آية ١٠٢).

وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الانسان السحر إلا ليشرك به. قال الله تعالى مخبراً عن هاروت وماروت:

﴿وَمَا يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما مَا يُفَرِّقُونَ به بين المَرْءِ وَزَوْجِه وَمَا هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ بإذْنِ الله. وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ. وَلَقَدْ عَلِمُوا لمن اشْتَرَاهُ مَا لَهُ في الآخرَة من خَلاَق﴾ أي من نصيب (سورة البقرة آية ١٠٢).

فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعليم السيمياء[٢] وعملها هي محض السحر وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال.

---

(١) رواه أبو داود في الفتن رقم (٤٢٧٠) باسناد حسن: باب في تعظيم قتل المؤمن والنسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان في صحيحه عن أبي الدرداء رفعه (ترغيب) والامام أحمد في المسند ٩٩/٤ والنسائي في التحريم.

(٢) في بعض النسخ (الكيمياء) بالكاف.

وحد الساحر: القتل، لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر. قال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»[1] فذكر منها السحر. والموبقات المهلكات. فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال:

[٢٤] «**حد الساحر ضربه بالسيف**»[2]. والصحيح أنه من قول جندب. وعن بجالة بن عبدة انه قال:

[٢٥] أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[3]. وعن وهب بن منبه قال: قرأت في بعض الكتب: يقول الله عز وجل لا إله إلا أنا ليس مني من سحر ولا من سحر له، ولا من تكهن ولا من تكهن له، ولا من تطير ولا من تطير له. وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٢٦] «**ثلاثة لا يدخلون الجنة، مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر**»[4]. رواه الامام أحمد في مسنده. وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً قال:

---

(١) مر ذكره.

(٢) رواه الترمذي في الحدود رقم (١٤٨٥): باب ما جاء في حدّ الساحر. وقال الترمذي: هذا الحديث لا نعرفه مرفوعاً الا من هذا الوجه واسماعيل بن مسلم المكي ضعيف، والصحيح عن جندب موقوفاً، وعلى هذا القول الامام مالك بن أنس بقتل الساحر، وقال الشافعي: يقتل اذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر، أما دون ذلك فلا.

(٣) رواه البخاري ١٨٥/٦، وأبو داود في الأمارة رقم (٣٠٤٣) : باب في أخذ الجزية من المجوس والإمام أحمد في «المسند» ١٩٠/١ و١٩١، رواه البيهقي في السنن ٢٤٧/٨ والطبري ١٩٦/٤ وأبو عبيدة في الاموال (٧٧) والام ٩٦/٦.

(٤) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد وأبو يعلى ثقات. وكذا رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه.

[٢٧] «الرقي والتمائم والتولة شرك»[١]. التمائم جمع تميمة، وهي خرزات وحروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون انها ترد العين، وهذا من فعل الجاهلية، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك. والتولة بكسر التاء وفتح الواو: نوع السحر، وهو تحبيب المرأة إلى زوجها، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى[٢] قال الخطابي[٣] رحمه الله: وأما إذا كانت الرقية

---

(١) رواه ابو داود في الطب باسناد حسن رقم (٣٨٨٣): باب في تعليق التمائم، وابن ماجه رقم (٣٥٣٠) في الطب: باب تعليق التمائم. وتابعها الحاكم ٤١٧/٤، والامام أحمد في «المسند» ٣٨١/١.

(٢) (فائدة) قال المصنف في رسالته الصغرى في آخر الكبيرة الثالثة: (واعلم ان كثيراً من هذه الكبائر بل عامتها - الا الأقل - يجهل خلق من الامة تحريمه وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد.

فهذا الضرب فيه تفصيل فينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله، ولا سيما اذا كان قريب العهد بجاهليته، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة وأسر وجلب لأرض الاسلام وهو تركي أو كرجي مشرك لا يعرف بالعربي، فاشتراه أمير تركي لا علم عنده ولا فهم، فبالجهد انه يلفظ بالشهادتين. فان فهم بالعربي حتى فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليالي فبها ونعمت. ثم قد يصلي وقد لا يصلي، وقد يلقن الفاتحة مع الطول ان كان استاذه فيه دين ما فان كان استاذه نسخة منه فمن اين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الاسلام، والكبائر واجتنابها والواجبات واتيانها، فان عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها وأركان الفرائض واعتقدها فهو سعيد وذلك نادر. فينبغي للعبد أن يحمد الله تعالى على العافية. فان قيل: هو فرط لكونه ما سأل عما يجب عليه قيل: ما دار في رأسه ولا استشعر ان سؤال من يعلمه يجب عليه. ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور، فلا يأثم أحد الا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه، والله لطيف رؤوف بهم. قال تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾، وقد كان سادة الصحابة بالحبشة وتنزل الوجبات والتحريم على النبي ﷺ فلا يبلغهم إلا بعد أشهر، فهم في تلك الاشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص، وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص ان شاء الله تعالى» اهـ.

(٣) هو الامام أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب ابو سليمان الخطابي صاحب التصانيف الممتعة كشرح سنن أبي داود وغيره توفي سنة ٣٨٨هـ ببلدة بست.

بالقرآن، أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة، لأن النبي ﷺ كان يرقي الحسن والحسين رضي الله عنهما، فيقول:

[٢٨] «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**»[١]، وبالله المستعان وعليه التكلان.

الكبيرة الرابعة: في ترك الصلاة

قال الله تعالى:

﴿**فَخَلَفَ من بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهوات فسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إلاَّ مَنْ تَابَ وآمنَ وعَمِلَ صالحاً**﴾ (سورة مريم آية ٥٩).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية، ولكن أخروها عن أوقاتها. وقال سعيد بن المسيب أمام التابعين رحمه الله: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر. ولا يصلي العصر إلى المغرب، ولا يصلي المغرب إلى العشاء، ولا يصلي العشاء إلى الفجر، ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس. فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغي، وهو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه.

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾ أي غافلون عنها، متهاونون بها. وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال:

---

(١) رواه البخاري ٢٩٢/٦ في الأنبياء: باب قوله تعالى: ﴿**واتخذ الله ابراهيم خليلا**﴾ ورواه أيضاً أبو داود رقم (٤٧٣٧) في السنة: باب في القرآن، والترمذي رقم (٢٠٦١) في الطب: باب رقم (١٨)، وابن ماجه رقم (٣٥٢٥) في الطب: باب ما عوذ به النبي ﷺ وأحمد في «المسند» ٢٣٦/١.

[٢٩] «**هو تأخير الوقت**»[١] أي تأخير الصلاة عن وقتها، سماهم مصلين لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب. وقيل: هو واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها الا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط.

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿**يَا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ ولا أوْلادُكم عَنْ ذِكْرِ الله، ومَنْ يَفْعَلْ ذلكَ فأُولئك هُمُ الخَاسِرونَ**﴾ (سورة المنافقون آية ٩).

قال المفسرون: المراد بذكر الله في هذه الآية الصلوات الخمس. فمن اشتغل بماله في بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين. وهكذا قال النبي ﷺ:

[٣٠] «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فان صلحت فقد أفلح وأنجح، وان نقصت فقد خاب وخسر»[٢].

---

(١) رواه البزار في مسنده من رواية عكرمة بن ابراهيم، وقال: رواه الحافظ موقوفاً ولم يرفعه غيره. قال المنذري وعكرمة هذا هو الازدي مجمع على ضعفه والصواب وقفه، يعني أنه من كلام سعد بن أبي وقاص (ترغيب) وقال به زيد بن علي في تفسير الغريب، وابن عباس ومصعب بن سعد ومسروق والحسن.

(٢) عزاه المنذري في «الترغيب» الى الأوسط للطبراني وأشار الى ضعفه. وله شاهد عند الطبراني في الاوسط في حديث عبد الله بن قرط وقال: لا بأس به ان شاء الله اهـ. وقال المصنف في الصغرى حسنه الترمذي من حديث ابي هريرة. وأخرجه الامام أحمد ٢٩٠/٢ و٤٢٥ و٦٥/٤ و١٠٣ و٧٢/٥ و٣٧٧ وأبو داود رقم (٨٦٤) و(٨٦٦) وإسنادها صحيح في الصلاة: باب قول النبي ﷺ: «**لا صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه**» ورواه النسائي في الصلاة والدارمي في الصلاة وابن ماجه رقم (١٤٢٦) في إقامة الصلاة: باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة، ورواه الطبراني في «الأوائل» ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني وهو ثقة والحاكم ٢٦٢/١، والطبراني في الكبير ٣٩/٢.

وقال الله تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم:

﴿ما سَلَكَكُمْ في سقَرَ قالوا لَمْ نَكُ من المُصَلِّينَ ولَمْ نَكُ نُطْعِمُ المسْكينَ. وكنّا نَخُوضُ مَعَ الخائضينَ. وكُنَّا نكَذِّبُ بيومِ الدِّين حتّى أتانَا اليَقينُ. فما تَنْفعُهُمْ شفَاعَةُ الشَّافعينَ﴾ (سورة المدثر آية ٤٢).

وقال النبي ﷺ:

[٣١] «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[١]

وقال النبي ﷺ:

[٣٢] «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»[٢] حديثان صحيحان.

وفي صحيح البخاري ان رسول الله ﷺ قال:

[٣٣] «من فاتته صلاة العصر حبط عمله»[٣]. وفي السنن ان رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه ابن ماجه في الاقامة رقم (١٠٧٩): باب ما جاء فيمن ترك الصلاة واسناده صحيح ورواه الامام أحمد في «المسند» ٣٤٦/٥ و٣٥٥ والنسائي في الصلاة، والترمذي في الايمان (٢٦٢١)، ورواه ابن حبان في «صحيحه» والحاكم وقال صحيح ولا نعرف له علة (منذري) واخرج نحوه الطبراني في الكبير عن ثوبان رفعه.

(٢) رواه مسلم في الايمان رقم (٨٢) وأبو داود في السنة رقم (٤٦٧٨): باب في رد الإرجاء والترمذي رقم (٢٦٢٢) في الايمان، وابن ماجه رقم (١٠٧٨) باسناد صحيح في إقامة الصلاة: باب ما جاء فيمن ترك الصلاة. والدارمي في الصلاة ورواه أحمد والنسائي ومحمد بن نصر والطبراني في الكبير.

(٣) رواه ابن ماجه في الصلاة رقم (٦٩٤): باب ميقات الصلاة في الغيم، واسناده صحيح، ولم أجده عند البخاري بهذا النص، ورواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٩٥/١ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

[٣٤] « من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله »[١] وقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٥] « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » متفق عليه[٢]. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٦] « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهانا ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف »[٣] وقال عمر رضي الله عنه: اما انه لاحظ لأحد في الاسلام أضاع الصلاة.

قال بعض العلماء رحمهم الله: وانما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة، لأنه انما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته فان اشتغل بماله حشر مع قارون، وان اشتغل بملكه حشر مع

---

(١) رواه ابن ماجه في الفتن رقم (٤٠٣٤): باب الصبر على البلاء قال في الزوائد: اسناده حسن وشهر مختلف فيه، ورواه الامام أحمد في « المسند » ٢/٤٢١ و٥/٢٣٨. ورواه البيهقي وله شواهد من حديث معاذ عن الطبراني في « الاوسط » وعنده في « الكبير ». واسناد أحمد صحيح (لو سلم من الانقطاع عبد الرحمن بن جبير لم يسمع معاذ) ومن حديث أمية مولاة رسول الله ﷺ عند الطبراني، ومن حديث أم أيمن عند أحمد والبيهقي. والكل لا يخلو من مقال، ولكن يعتضد بها أفاده المنذري في « الترغيب ».

(٢) متفق عليه رواه البخاري ومسلم في الإيمان والبخاري ٣/٢١١ ومسلم رقم (٢١) والترمذي في الايمان رقم (٢٦١٠) والنسائي ٥/١٤، وأبو داود رقم (٢٦٤٠) في الجهاد: باب على ما يقاتل المشركون.

(٣) رواه الدارمي في الرقاق، والامام أحمد في « المسند » ٢/١٦٩ إسناده جيد ورواه الطبراني في « الكبير » و« الاوسط » وابن حبان في صحيحه.

فرعون، وان اشتغل بوزارته حشر مع هامان، وان اشتغل بتجارته حشر مع أبي بن خلف تاجر الكفار بمكة. وروى الامام أحمد عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله عز وجل»[1].

وروى البيهقي باسناده ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

[٣٧] جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى في الاسلام؟ قال: **«الصلاة لوقتها، ومن ترك الصلاة فلا دين له، والصلاة عماد الدين»**[2].

ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل له: الصلاة يا أمير المؤمنين قال: نعم أما انه لا حظ لاحد في الاسلام أضاع الصلاة. وصلى رضي الله عنه وجرحه يثعب[3] دماً. وقال عبد الله بن شقيق التابعي رضي الله عنه: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. وسئل علي رضي الله عنه عن امرأة لا تصلي، فقال: من لم يصل فهو كافر[4]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه من لم يصل فلا دين له[5]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من ترك صلاة

---

(١) مر ذكره رقم ٣٤.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» بسند ضعيف، وقال الحاكم: عكرمة لم يسمع من عمر (عراقي).

(٣) أي يسيل. رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه الطبراني في «الاوسط» ورجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه الترمذي والحاكم عنه عن أبي هريرة ذكره المصنف في الصغرى.

(٥) رواه محمد بن نصر موقوفاً عليه (منذري).

واحدة متعمداً لقي الله تعالى وهو عليه غضبان[1]. وقال رسول الله ﷺ:

[٣٨] «من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته- أي ما يفعل وما يصنع بحسناته- إذا كان مضيعاً للصلاة»[2].

وقال ابن حزم: لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها، وقتل مؤمن بغير حق. وقال ابراهيم النخعي: من ترك الصلاة فقد كفر، وقال أيوب السختياني مثل ذلك. وقال عون بن عبد الله: ان العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسأل عنه، فان جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله، وان لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٩] «إذا صلى[3] العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول: حفظك الله كما حفظتني. وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة، فاذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها، وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني»[4].

---

(١) رواه محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر بلفظ فقد كفر (منذري).

(٢) قال العراقي: في معناه حديث «أول ما يحاسب به العبد الصلاة - وفيه - فان فسدت فسد سائر عمله» رواه الطبراني في «الاوسط» من حديث أنس.

(٣) أنظر حديث (٥١).

(٤) رواه الطبراني في الاوسط من حديث أنس بسند ضعيف، والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (العراقي في تخريج أحاديث الاحياء).

وروى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

[٤٠] «**ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم- من تقدم قوماً وهم له كارهون، ومن استعبد**[١] **محرراً، ورجل أتى الصلاة دباراً**»[٢] والدبار أن يأتيها بعد ان تفوته. وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال:

[٤١] «**من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الكبائر**»[٣] فنسأل الله التوفيق والاعانة انه جواد كريم وأرحم الراحمين.

فصل: متى يؤمر الصبي بالصلاة

روى أبو داود في السنن أن رسول الله ﷺ قال:

[٤٢] «**مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها**»[٤]. وفي رواية: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبنـاء سبـع واضربوهم عليهـا وهم أبنـاء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع**».

---

(١) هو ان يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره أو يكرهه على الخدمة بعد العتق. قاله الخطابي في «شرح السنن».

(٢) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة رقم (٩٧٠): باب من أمَّ قوماً وهم له كارهون، واسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زياد الافريقي، انظر «الفيض القدير» ٣/٣٢٩.

(٣) رواه الحاكم من حديث حنش عن ابن عباس، وقال حنش هو ابن قيس، ثقة قال المنذري: بل رواه بمرة لا نعلم أحداً وثقه غير حصين «الترغيب» ورواه «الترمذي رقم (١٨٨) في الصلاة: باب ما جاء في الجمع بين الصلاتين في الحضر وقال الترمذي: حنش أبو علي الرجي ضعيف.

(٤) رواه ابو داود في الصلاة رقم (٤٩٤): باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، واسناده حسن صحيح، ورواه الترمذي في الصلاة رقم (٤٠٧).

قال الامام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: هذا الحديث يدل على اغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركاً لها.

وكان بعض أصحاب الامام الشافعي رحمه الله تعالى يحتج به في وجوب قتله إذا تركها متعمداً بعد البلوغ، ويقول: إذا استحق الضرب وهو غير بالغ، فيدل على انه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تارك الصلاة، فقال مالك والشافعي وأحمد، رحمهم الله: تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف في رقبته. ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها، فقال ابراهيم[١] النخعي وأيوب[٢] السختياني وعبد الله بن المبارك وأحمد[٣] بن حنبل واسحق[٤] بن راهويه: هو كافر. واستدلوا بقول النبي ﷺ:

«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[٥]، وبقوله صلى الله عليه وسلم:

«بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»[٦].

---

(١) ابن يزيد أبو عمران الكوفي النخعي من رجال الكتب الستة توفي سنة ٩٦هـ.

(٢) أحد الأئمة الاعلام من رجال الكتب الستة توفي سنة ١٣١هـ.

(٣) الامام العلم شيخ المحدثين وأحد فقهاء الأمصار شيخ البخاري ومسلم وأبي داود مات سنة ٢٤١هـ.

(٤) اسحق بن ابراهيم بن محمد الحنظلي أبو محمد المشهور بابن راهويه شيخ البخاري، ومسلم وأبي داود والنسائي الامام الفقيه الحافظ مات سنة ٢٣٨هـ.

(٥) مر ذكره.

(٦) مر ذكره.

فصــل

وقد ورد في الحديث[١]:

[٤٣] «ان من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات، يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر، ويعطيه كتابه بيمينه، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف، ويدخل الجنة بغير حساب» ومن تهاون بها عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة، خمس في الدنيا وثلاث عند الموت، وثلاث في القبر، وثلاث عند خروجه من القبر. فأما اللاتي في الدنيا: فالأولى: ينزع البركة من عمره، والثانيـة: يمحي سيماء الصالحين من وجهه، والثالثة: كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه، والرابعة: لا يرفع له دعاء الى السماء، والخامسة: ليس له حظ في دعاء الصالحين. وأما اللاتي تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلاً، والثانية: يموت جائعا، والثالثة: يموت عطشاناً ولو سقي بحار الدنيا ما روي من عطشه، وأما اللاتي تصيبه في قبره، فالأولى: يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه، والثانية: يوقد عليه القبر ناراً يتقلب على الجمر ليلاً ونهاراً، والثالثة: يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الاقرع

---

(١) هذا الحديث لم يصح عن النبي ﷺ، عزاه السيوطي في ذيل الموضوعات إلى ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد، ثم نقل عن «الميزان»، هذا حديث باطل. ركبه محمد ابن علي بن العباس على أبي بكر بن زياد النيسابوري، وعن «اللسان» هو ظاهر البطلان من أحاديث الطرقية.

عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم، يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الاقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول: أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، واضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر، واضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب، واضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء، واضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح. فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعاً. فلا يزال في الأرض معذباً إلى يوم القيامة. واما اللاتي تصيبه عند خروجه من قبره في موقف القيامة فشدة الحساب، وسخط الرب، ودخول النار.

وفي رواية: فانه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات. السطر الاول: يا مضيع حق الله، السطر الثاني: يا مخصوصاً بغضب الله، السطر الثالث: كما ضيعت في الدنيا حق الله فآيس اليوم من رحمة الله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به الى النار، فيقول: يا رب لماذا؟ فيقول الله تعالى: لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذباً.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه:

[٤٤] اللهم لا تدع فينا شقياً ولا محروماً. ثم قال صلى الله عليه وسلم: اتدرون من الشقي المحروم؟ قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «تارك الصلاة»(١).

---

(١) لم أجده في الكتب السبعة ولا الدارمي ولا مسند الامام أحمد.

وروي انه أول من يسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة، وان في جهنم واديا يقال له «الملحم» فيه حيات، كل حية[1] ثخن رقبة البعير، طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه.

حكاية:

روي أن امرأة من بني اسرائيل جاءت الى موسى عليه السلام فقالت: يا رسول الله اني اذنبت ذنباً عظيماً وقد تبت منه الى الله تعالى، فادع الله ان يغفر لي ذنبي ويتوب علي: فقال لها موسى عليه السلام: وما ذنبك؟ قالت: يا نبي الله اني زنيت وولدت ولداً فقتلته فقال لها موسى عليه السلام: اخرجي يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك، فخرجت من عنده منكسرة القلب، فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة يا موسى، اما وجدت شراً منها؟ قال موسى: يا جبريل ومن هو شر منها؟ قال: تارك الصلاة عامداً متعمداً.

حكاية أخرى:

عن بعض السلف انه اتى اختاً له ماتت، فسقط كيس منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به احد حتى انصرف عن قبرها، ثم ذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس، فوجد القبر يشعل عليها ناراً فرد التراب عليها ورجع الى امه باكياً حزيناً فقال: يا أماه اخبريني عن أختي وما كانت تعمل؟ قالت: وما سؤالك عنها؟ قال: يا أمي رأيت

---

(١) وصف حيات جهنم جاء في حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي عند أحمد والطبراني من طريق ابن لهيعة عن دراج عنه، وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من طريق عمرو بن الحارث عن دراج عنه، وقال الحاكم صحيح الاسناد (منذري).

قبرها يشتعل عليها ناراً. قال: فبكت وقالت: ياولدي كانت اختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها. فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها، فكيف حال من لا يصلي؟ فنسأل الله تعالى ان يعيننا على المحافظة عليها في أوقاتها انه جواد كريم.

فصل:

في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها، وقد روي في تفسير قول الله تعالى: ﴿**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾ (سورة الماعون آية ٣) انه الذي ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه، فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال له:

[٤٥] **ارجع فصل فانك لم تصل.** فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال: **ارجع فصل فانك لم تصل**، فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام، وقال: **ارجع فصل فانك لم تصل** ثلاث مرات. فقال في الثالثة: والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمني. فقال صلى الله عليه وسلم: «**اذا قمت الى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم اجلس حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، وافعل ذلك في صلاتك كلها**»[١].

---

(١) رواه البخاري ٢/٢٢٩ في الايمان، ومسلم رقم (٣٩٧) والبخاري ١١/٣١، وأبو داود في الصلاة رقم (٨٥٦) باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، وابن ماجه في اقامة الصلاة رقم (١٠٦٠) باب إتمام الصلاة، والنسائي في الاستفتاح، والسهو، والتطبيق ٢/١٢٤ و١٢٥ و٢/١٩٣، والترمذي رقم (٣٠٣) في الصلاة: باب ما جاء في وصف الصلاة.

وروى الامام أحمد رضي الله عنه عن البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٤٦] «**لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود**»[١] ورواه ابو داود أيضاً والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وفي رواية اخرى: «**حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود**».

وهذا نص عن النبي ﷺ في ان من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان، فصلاته باطلة، وهذا في صلاة الفرض وكذا الطمأنينة ان يستقر كل عضو في موضعه.

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال:

[٤٧] «**أشد الناس سرقة الذي يسرق من صلاته: قيل وكيف يسرق من صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها**»[٢] وروى الامام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال:

«**لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده**»[٣].

---

(١) رواه أبو داود باسناد صحيح رقم (٨٥٥) في الصلاة: باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، والنسائي ١٤٣/٢، والترمذي رقم (٢٦٥) في الصلاة: باب ما جاء في من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) باسناد صحيح (العراقي)، مكرر [٤٦].

(٣) رواه الامام أحمد في «المسند» ٥٦/٣ واسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، ورواه الامام أحمد في «المسند» ٣١٠/٥ وفي اسناده الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة، وقال العراقي: رواه أحمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي قتادة، وكذا رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه. (أفاده المنذري).

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤٨] «**تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا**»[١].

وعن أبي موسى قال: صلى رسول الله ﷺ يوماً بأصحابه ثم جلس، فدخل رجل فقام يصلي، فجعل يركع وينقر سجوده، فقال رسول الله ﷺ:

[٤٩] «**ترون هذا لو مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم**»[٢]! اخرجه أبو بكر بن خزيمة في صحيحه.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال:

[٥٠] «**ما من مصل إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره، فان أتمها عرجا بها الى الله تعالى، وان لم يتمها ضربا بها وجهه**»[٣].

وروى البيهقي بسنده عن عبادة بن الصامت: ان رسول الله ﷺ قال:

[٥١] «**من توضأ أحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتني، ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور، ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها. وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتني، ثم**

---

(١) رواه مسلم في المساجد والترمذي في الصلاة رقم (١٦٠) باسناد صحيح: باب ما جاء في تعجيل العصر، والنسائي في المواقيت.

(٢) رواه أبو بكر بن خزيمة في صحيحه.

(٣) رواه الدارقطني في الافراد وهو ضعيف (الجامع الصغير للسيوطي).

صعد بها إلى السماء وعليها ظلمة، فاغلقت دونها أبواب السماء، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها »[1].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٥٢] « الصلاة مكيال، فمن وفى وفي له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين: قال الله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾[2] والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذراع أو الصلاة، وعدهم الله بويل وهو واد في جهنم تستغيث جهنم من حره، نعوذ بالله منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

[٥٣] « إذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض فان الله تعالى أوحى إلي أن أسجد على سبعة أعضاء: الجبهة والأنف والكفين والركبتين، وصدور القدمين، وأن لا أكف شعراً ولا ثوباً، فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته »[3].

[٥٤] وروى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يصلي ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة صليت ولو مت وانت تصلي هذه الصلاة، مت على غير فطرة محمد ﷺ[4].

---

(١) رواه الطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بسند ضعيف قاله العراقي جاء ضعفه من الاحوص بن حكيم، وانظر حاشية حديث [٣٩].

(٢) في المسند عن سالم بن أبي الجعد عن سالم قاله ابن القيم في رسالته في الصلاة (قلت) فيه انقطاع بين سالم وسلمان. وله شاهد عند مالك في « الموطأ » في الصلاة.

(٣) رواه البخاري في الاذان ومسلم في الصلاة والترمذي في المواقيت رقم (٢٧١) و(٢٧٢) باب ما جاء في السجود على سبعة اعضاء، والنسائي في التطبيق وابن ماجه في اقامة الصلاة رقم (٨٨٣) و(٨٨٤) باب السجود والامام أحمد في « المسند » ١/٢٧٩ و٢٨٠ و٢٨٦ و٢٩٢ و٣٠٥، وروى سمويه (اسماعيل بن عبد الله) في فوائده عن ابن عباس: اذا سجد أحدكم فليضع أنفه على الأرض أنظر « نيل الاوطار ».

(٤) رواه البخاري في الاذان، والنسائي في السهو، والامام أحمد في « المسند » ٥/٣٨٤.

وفي رواية ابي داود انه قال: منذ كم تصلي هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة. قال: ما صليت منذ أربعين سنة شيئاً، ولو مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم!.

وكان الحسن البصري يقول: يا ابن آدم اي شيء يعز عليك من دينك اذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة كما تقدم من قول النبي ﷺ:

«**أول ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فان صلحت فقد افلح وانجح، وان فسدت فقد خاب وخسر، فان انتقص من الفريضة شيء يقول الله تعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله كذلك**»[1].

فينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه وبالله التوفيق.

(فصل) في عقوبة تارك الصلاة (في جماعة) مع القدرة قال الله تعالى:

﴿**يَوْم يُكْشَفُ عَنْ سَاق ويُدْعَوْنَ إلى السُّجود فَلا يَسْتَطيعُونَ خَاشِعَةً أبْصارُهُمْ تَرْهقُهُمْ ذِلَّةٌ وقَدْ كانُوا يُدْعَوْن إلى السُّجُود وهُمْ سَالِمُونَ**﴾ (سورة القلم آية ٤٢).

وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود. قال ابراهيم التيمي: يعني إلى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة، وقال سعيد بن المسيب: كانوا يسمعون «حي على الصلاة حي على الفلاح» فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون.

---

(١) رواه الترمذي وغيره وقال: حسن غريب (منذري) مر ذكره.

وقال كعب الاحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن الجماعة. فأي وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة مع القدرة على اتيانها؟ وأما من السنة فما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:

[٥٥] «**لقد هممت ان آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة، فاحرق بيوتهم عليهم بالنار**»[١] ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم إلا على ترك واجب مع ما في البيوت من الذرية والمتاع.

وفي صحيح مسلم أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال:

[٥٦] يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد وسأل النبي ﷺ ان يرخص له أن يصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟** قال: نعم، قال: **فأجب**»[٢] ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ان المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار- أي بعيد الدار- ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال: «**هل تسمع النداء؟**» قال، نعم، قال: «**فأجب فاني لا أجد لك رخصة**».

---

(١) رواه البخاري ١٠٤/٢ ومسلم رقم (٦٥٤) و«الموطأ» ١٢٩/١ وابو داود رقم (٥٤٨) في الصلاة: باب التشديد في ترك الجماعة، والترمذي (٢١٧) في الصلاة: باب ما جاء فيمن يسمع النداء فلا يجيب، وابن ماجه رقم (٧٩١) في إقامة الصلاة: باب التغليظ في التخلف عن الجماعة، والنسائي ١٠٧/٢ والامام أحمد ٤٥٠/١.

(٢) مسلم في المساجد وأحمد في «المسند» ٤٢٣/٣ و٤٣/٤ وأبو داود في الصلاة رقم (٥٥٢) و(٥٥٣) في التشديد في ترك الجماعة وابن ماجه في الاقامة (٧٩٢). باب في التغليظ في التخلف عن الجماعة، والنسائي ١١٠/٢.

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد وليس له قائد يقوده إلى المسجد، ومع هذا لم يرخص له النبي ﷺ في الصلاة في بيته فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له؟ ولهذا لما سئل ابن عباس رضي الله عنهما: عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجمع؟ فقال:

[٥٧] ان مات على هذا فهو في النار(١).

[٥٨] وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن تمتلىء اذن ابن ادّم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب(٢).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

[٥٩] «**من سمع المنادي بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر، قيل** وما العذر يا رسول الله؟ قال: **خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى يعني في بيته**»(٣).

وأخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ:

[٦٠] «**وثلاثة لعنهم الله: من تقدم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ورجل سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢١٨) في الصلاة: باب ما جاء فيمن يسمع النداء فلا يجيب، واسناده صحيح موقوف.

(٢) عزاه الشيخ ابن القيم في كتاب الصلاة له إلى وكيع عن عبد الرحمن بن حصين عن أبي نجيح المكي عنه.

(٣) رواه أبو داود باسناد ضعيف رقم (٥٥١) في الصلاة: باب في التشديد في ترك الجماعة، وله شاهد صحيح عند ابن ماجه رقم (٧٩٣) في الاقامة: باب في التغليظ في التخلف عن الجماعة، وصححه غير واحد وابن حبان.

(٤) وروى معناه ابن ماجه رقم (٩٧١) في اقامة الصلاة باب من أم قوماً وهم له كارهون.

[٦١] وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد قيل: ومن جار المسجد؟ قال: من سمع الاذان[١].

[٦٢] وروى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن يلقى الله غداً مسلماً - يعني يوم القيامة - فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادي بهن، فان الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وانهن من سنن الهدى. ولو انكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم. ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين رجلين حتى يقام في الصف أو حتى يجيء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة[٢].

وكان الربيع[٣] بن خيثم قد سقط شقه في الفالج، فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين، فيقال له: يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلي في بيتك أنت معذور. فيقول: هو كما تقولون، ولكن اسمع المؤذن يقول: حي على الصلاة حي على الفلاح، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل.

وقال حاتم الأصم: فاتتني مرة صلاة الجماعة فعزاني أبو اسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف انسان، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا!.

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن وكيع عن سفيان عن أبي حيان التيمي عن أبيه عنه، كما في كتاب الصلاة للشيخ ابن القيم.

(٢) رواه مسلم في المساجد رقم (٦٥٤)، وأبو داود في الصلاة رقم (٥٥٠): باب في التشديد في ترك الجماعة، والنسائي في الإمامة ١٠٧/٢، وابن ماجه رقم (٧٧٧) في المساجد: باب المشي الى الصلاة، والامام أحمد في «المسند» ٣٨٢/١ و٤١٥ و٤١٩و٤٥٥، أما عزوه للبخاري فإما سبق قلم أو تحريف من النساخ.

(٣) مخضرم قال له ابن مسعود لو رآك النبي ﷺ توفي سنة ٥٦٤هـ (خلاصة).

وكان بعض السلف يقول: ما فاتت أحداً صلاة الجماعة الا بذنب اصابه وقال ابن عمر خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة. أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه، والحائط: البستان فيه النخل.

(فصل): ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد، فان النبي ﷺ قال:

[٦٣] ان هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، يعني العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبواً[١].

وقال ابن عمر: كنا اذا تخلف منا انسان في صلاة العشاء والصبح في الجماعة اسأنا به الظن أن يكون قد نافق[٢].

(حكاية):

عن عبيد الله[٣] بن عمر القواريري رضي الله عنه قال: لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط، فنزل بي ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة، فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وعلقت المساجد، فرجعت إلى بيتي وقلت: قد ورد في الحديث: ان صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد

---

(١) رواه البخاري في الأذان، ومسلم في الصلاة، والنسائي في مواقيت ٢/١٠٤، وأبو داود رقم (٥٥٤) في الصلاة، باب في فضل الجماعة، والدارمي في الصلاة «والموطأ» في الجماعة، وابن ماجة رقم (٧٩٧) في المساجد باب صلاة العشاء، والفجر في جماعة والامام أحمد في «المسند» ٢/٢٣٦.

(٢) رواه البزار والطبراني وابن خزيمة في صحيحه (المنذري).

(٣) شيخ البخاري ومسلم وأبي داود مات سنة ٢٣٥هـ. (خلاصة).

بسبع وعشرين درجة، فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة ثم نمت، فرأيت في المنام كأني مع قوم على خيل وأنا ايضاً على فرس ونحن نستبق، وأنا أركض فرسي فلا ألحقهم، فالتفت إلى أحدهم فقال لي: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا: قلت: ولم؟ قال: لانا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك. فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك، فنسأل الله المعونة والتوفيق انه جواد كريم.

الكبيرة الخامسة: منع الزكاة

قال الله تعالى: ﴿ولاَ يَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ الله منْ فَضْلِه هُو خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهمْ سَيُطَوَّقونَ مَا بَخِلوا به يَوْمَ القِيَامَة﴾ (سورة آل عمران آية ١٨٠).

وقال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمشركينَ الَّذينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكاة﴾ (سورة فصلت آية ٦) فسماهم المشركين. وقال الله تعالى: ﴿والَّذين يكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا في سَبيل الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذاب أَليم، يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها في نَار جَهَنَّم فتُكْوى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهمْ هذا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُم فَذُوقُوا مَا كنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (سورة التوبة آية ٣٤).

وثبت عن رسول الله ﷺ انه قال:

[٦٤] «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبيه وظهره. كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يا رسول الله فالابل؟ قال: ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها

بقاع[١] قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحداً تطؤه باخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء[٢] ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها[٣] كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[٤].

[٦٥] وقال ﷺ: «أول ثلاثة يدخلون النار - أمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله، وفقير فخور»[٥].

وعن ابن عباس[٦] رضي الله عنهما قال:

[٦٦] من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج، أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت، فقال له رجل: اتق الله يا

---

(١) هو المستوى من الأرض الاملس.
(٢) العقصاء: الملتوية القرن، والجلحاء: التي لها قرن، والعضباء: المكسورة القرن.
(٣) الاظلاف للبقر والغنم: كالحافر للفرس.
(٤) رواه البخاري ٢١٢/٣ ومسلم رقم (٩٨٧) وأبو داود في الزكاة رقم (١٦٥٨) باب في حقوق المال، والموطأ ٤٤٤/٢ والنسائي ١٢/٥.
(٥) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وفي حديث أبي هريرة (منذري).
(٦) عزاه ابن كثير في تفسيره الى الترمذي بسنده إلى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رواه الترمذي رقم (٣٣٧٢) في التفسير: سورة المنافقين مرفوعاً ورقم (٣٣٧١) موقوفاً ثم قال: وهو عن ابن عباس من قوله أصح.
قال ابن كثير: ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع.
اقول: وفي الروايتين عن أبي جناب وهو يحيى بن ابي حية وهو ضعيف.

ابن عباس فانما يسأل الرجعة الكفار. فقال ابن عباس: سأتلو عليك بذلك قرآنا، قال الله تعالى:

﴿وَأنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أن يأتِيَ أحَدَكُمُ الموْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أخَّرْتَنِي إلى أجَلٍ قَرِيبٍ فأصدَّقَ﴾ (سورة المنافقون آية ١٠).

أي أؤدي الزكاة ﴿وأكن من الصالحين﴾ أي أحج. قيل له: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة، قيل فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة.

ولا تجب الزكاة في الحلي المباح إذا كان معداً للاستعمال، فان كان معداً للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة.

وتجب في قيمة عروض التجارة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٦٧] «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزميته» (أي بشدقيه) فيقول: «أنا مالك، أنا كنزك»[١]. ثم تلا هذه الآية:

﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ (سورة آل عمران آية ١٨٠) أخرجه البخاري.

---

(١) رواه البخاري في الزكاة، ومسلم في الزكاة، والنسائي في الزكاة، وابن ماجة في الزكاة رقم (١٧٨٦) في باب ما جاء في منع الزكاة «والموطأ» والدارمي في الزكاة والإمام أحمد في «المسند» ٩٨/٢ من رواية عبدالله بن عمرو وعن أبي هريرة ٢٧٩/٢ و٣٥٥ وعن جابر ٣٢١/٣ وعن جد بهز بن حكيم مختصراً ٢/٥ وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦٤/٣ ورواه البزار وقال إسناده حسن، قلت: ورجاله ثقات.

وعن ابن مسعود[1] رضي الله عنه في قول الله تعالى في ما نعي الزكاة: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ (سورة التوبة آية ٣٥) قال:

[٦٨] لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته.

فان قيل: لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي؟ قيل: لأن الغني البخيل اذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه، فاذا قرب منه ولى بظهره فعوقب بكي هذه الاعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٦٩] «**خمس بخمس**»[2] قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: «**ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت**[3]**، ولا طففوا المكيال والميزان الا منعوا النبات واخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر**».

(موعظة) قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم انما في غد ثبورهم ما نفعهم ما جمعوا. اذا جاء محذورهم. يوم يحمى عليها في نار جهنم

---

(١) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦٤/٣ عن عبد الله بن مسعود فقال: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات، وقال المنذري: رواه الطبراني في «الكبير» باسناد صحيح.

(٢) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦٥/٣ وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه اسحاق بن عبدالله بن كيسان المروزي لينه الحاكم وبقية رجاله موثقون وفيهم كلام. وقال المنذري: رواه الطبراني من حديث ابن عباس وسنده قريب من الحسن وله شواهد.

(٣) في نسخة: الجنون.

فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. أخذ المال الى دار ضرب العقاب فجعل في بودقة[١] ليحمي ليقوى العذاب. فصفح صفائح كي يعم الكي الاهاب، ثم جيء بمن عن الهدى قد غاب. يسعى الى مكان لا مع قوم يسعى نورهم. ثم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. اذا لقيهم الفقير لقي الاذى. فان طلب منهم شيئاً طار[٢] منهم لهب الغضب كالجذا[٣]. فان لطفوا به قالوا أعنتكم ذا. وسؤال هذا لذا[٤]. ولو شاء ربك لاغنى المحتاج وأعوز ذا الغنى ونسوا حكمة الخالق في غنى ذا وفقر ذا واعجبا كم يلقاهم من غم اذا ضمتهم قبورهم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. سيأخذها الوارث منهم من غير تعب. ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب. الا أن الشوك له وللوارث الرطب. اين حرص الجامعيين، اين عقولهم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. لو رأيتهم في طبقات النار. يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار. وقد غلت اليمين مع اليسار[٥] لما بخلوا مع الايسار لو رأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم. وقد ضج صبورهم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع. كم

---

(١) البودقة أو البوتقة: ما يصهر فيه الفلذات كالحديد والذهب والفضة.

(٢) وفي نسخة: ثار.

(٣) الجذوة: الجمرة الملتهبة بضم الجيم وتفتح، جمعها جذى مثل مدى وقرى وتكسر أيضاً فتكسر في الجمع مثل جذية وجذى (المصباح).

(٤) وفي نسخة: لهذا.

(٥) وفي نسخة: مما.

خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع كم أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع. فكأنهم بالاموال وقد انقلبت شجاعاً أقرع. فما هي عصى موسى ولا طورهم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

(حكاية):

روي عن محمد بن يوسف الفريابي[1] قال: خرجت انا وجماعة من أصحابي في زيارة ابي سنان رحمه الله، فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال: قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل، فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه، فجلسنا نسليه ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية، فقلنا: أما تعلم ان الموت سبيل لا بد منه! قال: بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب، فقلنا له: هل أطلعك الله على الغيب؟ قال: لا، ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره، إذ صوت من قبره يقول: آه أقعدوني وحيداً اقاسي العذاب، قد كنت أصلي، قد كنت أصوم. قال: فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله، وإذا القبر يشتعل عليه ناراً وفي عنقه طوق من نار، فحملتني شفقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق عن رقبته فاحترقت اصابعي ويدي، ثم أخرج الينا يده فاذا هي سوداء محترقة. قال: فرددت عليه التراب وانصرفت، فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه؟ فقلنا: فما كان أخوك يعمل في الدنيا؟ قال: كان لا يؤدي الزكاة من ماله، قال فقلنا هذا تصديق قول الله تعالى:

---

(١) هو صاحب الثوري وأحمد واسحاق والبخاري ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفي سنة ٢١٢ هـ.

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران آية ١٨٠).

وأخوك عجل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة. قال: ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر[١] صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل، وقلنا له: يموت اليهودي والنصراني ولا نرى فيهم ذلك! فقال: اولئك لا شك انهم في النار، وانما يريكم الله في أهل الايمان لتعتبروا. قال الله تعالى:

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا. وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (سورة الانعام آية ١٠٤).

فنسأل الله العفو والعافية انه جواد كريم.

الكبيرة السادسة: افطار يوم من رمضان بلا عذر

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّاماً معدودات فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (سورة البقرة آية ١٨٣).

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال:

« بني الاسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله، واقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان »[٢].

---

(١) توفي أبو ذر قبل ولادة الفريابي بأكثر من ثمانين سنة، وهذا وحده يكفي لاظهار كذب هذه الرواية.

(٢) رواه البخاري في الايمان ٤٧/١ ومسلم في الايمان رقم (١٦) والترمذي في الايمان رقم (٢٧٣٦) والنسائي ١٠٧/٨ في الايمان.

وقال صلى الله عليه وسلم :

[٧٠] « من أفطر يوماً من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه »، وعن ابن عباس رضي الله عنهما « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة وصوم رمضان » فمن ترك واحدة منهن فهو كافر. نعوذ بالله من ذلك. « أقول: من تركها (أي الصوم والصلاة) انكاراً فهو كافر ».

الكبيرة السابعة: في ترك الحج مع القدرة عليه

قال الله تعالى: ﴿**ولله على النَّاسِ حِجُّ البَيْت من اسْتَطَاعَ إلَيْه سَبيلاً**﴾. (سورة آل عمران آية ٩٧).

وقال النبي ﷺ:

[٧١] « من ملك زاداً وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج، فلا عليه ان يموت يهودياً أو نصرانياً »[١]. وذلك لأن [٢] الله تعالى يقول:

---

(١) رواه ابن ماجة رقم (١٦٧٢) في الصيام: باب ما جاء في قضاء رمضان، وقال في الحاشية: نقل السندي عن البخاري قال: لا أعرف لابن المطوس حديثاً غير حديث الصيام ولا أدري اسمع من أبيه عن أبي هريرة أم لا. وذكره البخاري تعليقاً غير مجزوم أنظر « الفتح » ١٣٩/٤ والترمذي رقم (٧٢٣) في الصيام: باب ما جاء في الافطار عمداً، ورواه أبو داود رقم (٢٣٩٧) و (٢٣٩٦) وفيه ثلاث علل: ١ - الجهل بحال أبو المطوس، ٢ - الاضطراب ٣ - الشك بسماع أبيه من أبي هريرة، قال المصنف في « الصغرى » هذا لم يثبت أقول: رواه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٦٨/٣ من كلام ابن مسعود وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات ورواه النسائي وابن ماجة في صحيحه.

(٢) رواه الترمذي في الحج رقم (٨٠٩): باب ما جاء من التغليظ في ترك الحج، وفي اسناده هلال بن عبدالله مجهول، والحارث يضعف في الحديث وقال المنذري: رواه أيضاً البيهقي في رواية الحارث وقال: وله شاهد من حديث أبي أمامة عن البيهقي. اقول: قال الترمذي: هذا حديث غريب.

﴿ولله على النَاسِ حج البيتِ من اسْتَطَاع إليْهِ سَبِيلاً﴾. (سورة آل عمران آية ٩٧).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

[٧٢] لقد هممت ان أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية وما هم بمسلمين[١].

وعن ابن عباس [٢] رضي الله عنهما قال: ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقيل له: انما يسأل الرجعة الكفار. قال: وان ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَانْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْل أَنْ يَأْتِي أَحَدكُم المَوْتُ فيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَرْتَنِي إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدقَ﴾ (سورة المنافقون آية ١٠) أي أؤدي الزكاة ﴿وَأَكُن مِنَ الصَالِحِينَ﴾ أي أحج، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إذَا جَاءَ أجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قيل: فيم تجب الزكاة؟ قال: بمائتي درهم وقيمتها من الذهب، قيل فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة[٣]. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: مات لي جار موسر لم يحج فلم أصل عليه.

الكبيرة الثامنة: عقوق الوالدين

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إِيَّاهُ وَبالْوَالدَيْنِ إحْسَاناً﴾ (سورة الإسراء آية ٢٣) أي براً بهما وشفقة وعطفاً عليهما. ﴿إمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكبر أحدهُمَا أوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهما أفّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا. وينبغي أن تتولى

---

(١) وفي نسخة: بأن، وفي نسخة: أن.

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال: قال عمر فذكره. قاله ابن كثير في تفسيره اقول: الحسن البصري لم يسمع من عمر.

(٣) تقدم في منع الزكاة. مرّ ذكره رقم ٦٦.

خدمتها ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوي، وقد كانا يحملان إذاك راجين حياتك، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما. ثم قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ أي ليناً لطيفاً. ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَناحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَة وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُما كما رَبَّيَاني صَغيراً﴾.

وقال الله تعالى: ﴿أنِ اشكرْ لي ولوالدَيْكَ إليَّ المصيرُ﴾.

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها (احداها) قول الله تعالى: ﴿أطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾. فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه. (الثانية) قول الله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه. (الثالثة) قول الله تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه. ولذا قال النبي ﷺ:

[٧٣] «**رضى الله في رضى الوالـــدين وسخـــط الله في سخـــط الوالدين**»[1].

---

(١) رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو في البر والصلة رقم (١٩٦٢) مرفوعاً ورقم (١٩٦٣) موقوفاً: باب الفضل في رضا الوالدين، ورجح الموقوف وقال هذا أصح، ولا نعلم أحداً رفعه الا خالد بن الحارث عن شعبة. وخالد ثقة مأمون، وفي الباب عن ابن مسعود. أقول: رواه البزار في ابن عمر ايضاً قاله الهيثمي في «المجمع» ١٣٦/٨ وفيه متروك وقال المنذري: ورواه ابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وله شاهد عن أبي هريرة عند الطبراني بلفظ طاعة الله أقول: أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٣٦/٨ وقال رواه الطبراني في «الاوسط» عن شيخه أحمد بن ابراهيم بن عبد الله بن كيسان وهو لين، عن اسماعيل بن عمرو البجلي وثقة ابن حبان وغيره وضعفه أبو حاتم وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد معه، فقال النبي ﷺ:

[٧٤] «**أحي والداك؟** قال: نعم. قال: **ففيهما فجاهد**»[١] مخرج في الصحيحين، فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد!.

وفي الصحيحين[٢] ان رسول الله ﷺ قال:

«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الاشراك بالله وعقوق الوالدين**»[٣]. فانظر كيف قرن الاساءة اليهما وعدم البر والاحسان بالاشراك وفي الصحيحين أيضاً ان رسول الله ﷺ قال:

[٧٥] «**لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر**»[٤]. وعنه ﷺ قال:

[٧٦] «**لو علم الله شيئاً أدنى من الأف لنهى عنه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة. وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار**»[٥]. وقال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) وكذا رواه أبو داود رقم (٢٥٢٩) في الجهاد: باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان والترمذي في أبواب الجهاد رقم (١٧٢٢). باب ما جاء فيمن خرج إلى الغزو وترك أبويه وقال المنذري: ورواه أيضاً النسائي.

(٢) وكذا رواه الترمذي، ثلاثتهم من حديث أبي بكر اهـ. منه مرّ ذكره رقم ٣.

(٣) تمامة. وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

(٤) لم أجده في الصحيحين، وهو عند الامام أحمد باسناد صحيح من حديث ابي سعيد الخدري ٢٨/٣، ومعناه عند الترمذي في البر والصلة والنسائي والدارمي في الأشربة ورواه البزار ورجالها ثقات.

(٥) رواه الديلمي من حديث أصرم بن حوشب بسنده الى الحسين بن علي، وأصرم كذاب قاله في ذيل اللآلي للسيوطي وقال البخاري في «الضعفاء» متروك.

[٧٧] «لعن الله العاق لوالديه»[١]. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٧٨] «لعن الله من سب أباه، لعن الله من سب أمه»[٢] وقال صلى الله عليه وسلم:

[٧٩] «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فانه يعجل لصاحبه» يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة[٣].

وقال كعب الأحبار رحمه الله: ان الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب، وان الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه ليزيده براً وخيراً. ومن برهما ان ينفق عليهما إذا احتاجا. فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ان أبي يريد أن يجتاح مالي. فقال صلى الله عليه وسلم:

[٨٠] «أنت ومالك لأبيك»[٤] وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو؟ قال: هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمها،

---

(١) قال المصنف في الصغرى: اسناده حسن.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس (منذري) ورواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٤٩/٨ وقال رواه أبو يعلى وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وضعفه غيره.

(٣) رواه الحاكم من حديث ابي بكر وقال صحيح الاسناد (منذري) ورواه الامام أحمد في «المسند» بمعناه، جـ ٣٨/٥ باسناد صحيح من حديث ابي بكرة: «ما من ذنب احرى ان يعجل الله تبارك وتعالى العقوبة لصاحبه في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

(٤) رواه ابن ماجه في التجارات رقم (٢٢٩١) باب ما للرجل من مال ولده، واسناده صحيح وفي «مجمع الزوائد» نسبه للطبراني في «الاوسط» وقال: اسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخاري، وكذا أخرجه الطحاوي وبقي بن مخلد وله طرق عدها السخاوي في «المقاصد الحسنة».

وإذا أمره بأمر لم يطع أمرها، وإذا سألاه شيئاً لم يعطها، وإذا ائتمناه خانها.

[٨١] وسئل ابن عباس(١) رضي الله عنهما عن أصحاب الاعراف من هم وما الاعراف؟ فقال: أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار، وانما سمي الاعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد، فمنعهم القتل في سبيل الله عن دخول النار، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة، فهم على الاعراف حتى يقضي الله فيهم أمره.

وفي الصحيحين(٢) «أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال:

[٨٢] يا رسول الله من أحق الناس مني بحسن الصحبة؟ قال: **أمك**. قال: ثم من؟ قال: **أمك**. قال: ثم من؟ قال: **أمك**. قال: ثم من؟ قال: **أبوك، ثم الأقرب فالأقرب**»(٣). فحض على بر الأم ثلاث مرات، وعلى بر الأب مرة واحدة. وما ذاك الا لأن عناءها أكثر وشفقتها أعظم، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل.

---

(١) رواه سعيد بن منصور عن أبي معشر عن يحيي بن شبل عن يحيي بن عبد الرحمن المدني عن أبيه عن النبي ﷺ، وكذا رواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به، وروى مرفوعاً عند ابن ماجه في حديث ابن عباس وجابر، وتوقف ابن كثير في صحة المرفوع وقال: وقصارها ان تكون موقوفة اهـ. ورواه الطبراني في «الأصغر» واسناده ضعيف.

(٢) وفي نسخة: وفي الصحيح.

(٣) رواه البخاري في الادب، ومسلم في البر، وابن ماجه في الوصايا رقم (٢٧٠٦) باب النهي عن الامساك في الحياة والتبذير عند الموت. والامام أحمد في «المسند» ٣٢٧/٢ و ٣٩١.

رأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة. فقال: يا ابن عمر أتراني جازيتها؟ قال: ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٨٣] «**اربعة نفر حق على الله ان لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم ظلماً، والعاق لوالديه الا أن يتوبوا**»(٢). وقال صلى الله عليه وسلم:

[٨٤] «**الجنة تحت أقدام الامهات**»(٣)، وجاء رجل الى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: يا ابا الدرداء اني تزوجت امرأة وان أمي تأمرني بطلاقها. فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[٨٥] «**الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه**»(٤). وقال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه الهيثمي ١٣٧/٨ في مجمع الزوائد» ونسبه للطبراني في الصغير والبزار وفيه ضعيف ومدلس.

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد (قال الحافظ المنذري: فيه ابراهيم بن خيثم بن عراك وهو متروك) «ترهب» ورواه في «منتخب كنز العمال» ٣٧٨/٦ ونسبه للحاكم والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٣) روى نحوه ابن ماجه رقم (٢٧٨١) والنسائي والحاكم من حديث جاهمة بلفظ «هل لك أم قال نعم قال: فالزمها فان الجنة تحت رجلها» منذري اقول: اسناده حسن وتعقب بالاضطراب لأنه مرة عنه، ومرة عن أبيه ورواية ابن جريج أصح لأنه أوثق من محمد ابن اسحاق والأخرى مرسله وفي «مجمع الزوائد» ١٣٨/٨ قال رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٤) رواه ابن ماجه في الطلاق، رقم (٢٠٨٩)، وفي الأدب (٣٦٦٣): باب بر الوالدين، والترمذي في البر والصلة رقم (١٩٦٣) باب الفضل في رضا الوالدين وقال الترمذي: هذا حديث صحيح ورواه الامام أحمد في «المسند» ١٩٦/٥ و ٤٤٥/٦و ٤٤٨ و ٤٥١.

[٨٦] «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[١]. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٨٧] «الخالة بمنزلة الأم أي في البر والاكرام والصلة والاحسان»[٢].

وعن وهب بن منبه قال: ان الله تعالى أوحى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه يا موسى، وقر والديك، فان من وقر والديه مددت في عمره ووهبت له ولداً يوقره، ومن عق والديه قصرت في عمره ووهبت له ولداً يعقه.

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة، رقم (١٩٧٢) باب ما جاء في دعاء الوالدين ولم يذكر الترمذي فيه تحسين او تضعيف وفي اسناده أبو جعفر المؤذن وثقه ابن حبان فقط، ورواه أبو داود رقم (١٥٣٦) في الصلاة: باب الدعاء يظهر الغيب، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٣٢) وابن ماجه في الدعاء رقم (٣٨٦٢) باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم، وأحمد رقم (٧٥٠١) في «المسند» وأحمد في «المسند» أيضاً ١٥٤/٤ وأبو داود الطيالسي رقم (٢٥١٧)، وصححه ابن حبان رقم (٢٤٠٦) «موارد» وقال الحافظ ابن حجر: حديث حسن وقاله المنذري في «الترغيب» حسنه الترمذي أي في الدعوات رقم (٣٥١٠) في باب ما ذكر في دعوة المسافر وله شاهد من حديث عقبة بن عامر عند الطبراني بإسناد صحيح.

(٢) رواه الترمذي رقم (١٩٦٧) في البر والصلة: باب في بر الخالة من حديث البراء، وقال الترمذي: وفي الحديث قصة. هذا حديث صحيح. أقول: القصة هي اختلاف علي وزيد بن حارثة وجعفر فيمن يكفل ابنة حمزة فقال الرسول ﷺ «الخالة بمنزلة الأم»، لأن زوجة جعفر خالة ابنة حمزة، ورواية الترمذي فيها سفيان بن وكيع ولقد ضعف بسبب وراقه وتصح ولم يسمع فأسقطوه، والحديث رواه البخاري عن البراء في الصلح والمغازي ورواه الترمذي من حديث ابن عمر مرفوعاً رقم (١٩٦٨) ومرسلاً رقم (١٩٦٩) وقال الترمذي: الرواية المرسلة أصح. ورواه أبو داود عن علي رضي الله عنه رقم (٢٢٧٨) باسناد حسن في الطلاق: باب من أحق بالولد ورقم (٢٢٧٩) أيضاً.

وقال أبو بكر بن أبي مريم: قرأت في التوراة ان من يضرب اباه يقتل. وقال وهب: قرأت في التوراة: على من صك والده الرجم.

وعن عمرو بن مـرة الجهني قال: جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت اذا صليت الصلوات الخمس، وصمت رمضـان، وأديـت الزكـاة، وحججـت البيـت، فماذا لي؟ فقـال رسول الله ﷺ:

[٨٨] «**من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الا ان يعق والديه**»[١]. وقال صلى الله عليه وسلم: «**لعن الله العاق والديه**»[٢]

وجاء عن رسول الله ﷺ قال:

[٨٩] «**رأيت ليلة أسرى بي أقواماً في النار معلقين في جذوع من نار فقلت: يا جبريل من هؤلاء قال: الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا**»[٣].

وروي انه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء الى الأرض. ويروى انه اذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه اضلاعه وأشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المشرك والزاني والعاق لوالديه.

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٤٧/٨: رواه الامام أحمد والطبراني باسنادين ورجال احد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، ورواه ابن حبان وابن خزيمة في صحيحيها باختصار.

(٢) مر ذكره رقم [٧٧].

(٣) له شواهد ومنها ما رواه مسلم في الايمان «من الكبائر شتم الرجل والديه».

وقال بشر: ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها الا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله والنظر اليها أفضل من كل شيء، وجاء رجل وامرأة الى رسول الله ﷺ يختصمان في صبي لهما فقال الرجل:

[٩٠] يا رسول الله ولدي خرج من صلبي، وقالت المرأة: يا رسول الله حمله خفاً ووضعه شهوة وحملته كرهاً ووضعته كرهاً وأرضعته حولين كاملين، فقضى به رسول الله ﷺ لأمه[١].

(موعظة):

ايها المضيع لآكد الحقوق، المعتاض من بر الوالدين العقوق، الناسي لما يجب عليه، الغافل عما بين يديه، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشين، تطلب الجنة بزعمك، وهي تحت أقدام أمك. حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج. وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لبنا، وأطارت لاجلك وسنا، وغسلت بيمينها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذا، وصيرت حجرها لك مهداً، وأنالتك احساناً ورفداً، فان أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، واطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً. فلما احتاجت عند الكبر اليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك،

---

(١) روى معناه أبو داود، رقم (٢٢٧٦) في الطلاق: باب من أحق بالولد وفي اسناده الوليد بن مسلم وهو ثقة مدلس وهنا لم يذكر التحديث وله شواهد يتقوى بها من طريق ابي هريرة رواه الامام أحمد ٢٤٦/٢ في «المسند» وأبو داود رقم (٢٢٧٧) واسناده صحيح والترمذي رقم (١٣٥٧) وابن ماجه رقم (٢٣٥١) والنسائي ١٨٥/٦.

فشبعت وهي جائعة ورويت وهي قانعة. وقدمت عليها أهلك وأولادك بالاحسان، وقابلت أياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، هجرتها ومالها سواك نصير، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفف، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف ستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد من رب العالمين، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ﴿**ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد**﴾:

لأمك حق لو علمت كثير ... كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها الا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها ... حنانا واشفاقا وانت صغير
فآها لذي عقل ويتبع الهوى ... وآها لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو اليه فقير

[٩١] حكي(١) انه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى علقمة وكان

(١) رواه في «مجمع الزوائد» ونسبه للامام أحمد والطبراني ١٤٨/٨ وقال: في اسنادها فائد أبو الورقاء: متروك وأخرجه المنذري في «الترغيب والترهيب» ونسبه أيضاً لأحمد والطبراني.
وذكرها ابن الجوزي في «الموضوعات» بدون تسمية الشاب ثم قال: لا يصح فائد بن عبد الرحمن العطار: متروك قال العقيلي: لا يتابع عليه وداود بن ابراهيم قاضي قزوين: كذاب.
ونازعه السيوطي بأن داود لم ينفرد به ثم ساقه الى الخرائطي في مساوي الأخلاق والبيهقي في «شعب الايمان» والطبراني، كلها من طريق فائد عن عبد الله بن أبي أوفى.

كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ: ان زوجي علقمة في النزع، فأردت ان اعلمك يا رسول الله بحاله. فأرسل النبي ﷺ عماراً وصهيباً وبلالا وقال: «**امضوا اليه ولقنوه الشهادة** فمضوا اليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع، فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله)، ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه انه لا ينطق لسانه بالشهادة. فقال النبي ﷺ: **هل من أبويه أحد حي؟** قيل: يا رسول الله أم كبيرة السن، فارسل اليها رسول الله ﷺ وقال للرسول: **قل لها ان قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقري في المنزل حتى يأتيك**. قال: فجاء اليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت: نفسي لنفسه فداء، أنا أحق باتيانه. فتوكأت وقامت على عصا، وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فرد عليها السلام وقال لها: **يا أم علقمة أصدقيني وان كذبتي جاء الوحي من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟** قالت: يا رسول الله كثير الصلاة، كثير الصيام كثير الصدقة. قال رسول الله ﷺ: **فما حالك؟** قالت: يا رسول الله أنا عليه ساخطة. قال: **ولم؟** قالت: يا رسول كان يؤثر علي زوجته ويعصيني. فقال رسول الله ﷺ: **ان سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة**. ثم قال: **يا بلال انطلق واجمع لي حطباً كثيراً**.قالت: يا رسول الله وما تصنع؟ قال: **أحرقه بالنار بين يديك**. قالت: يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي ان تحرقه بالنار بين يدي. قال: **يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى، فان سرك أن يغفر الله له فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة**. فقالت: يا رسول الله اني اشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين اني قد رضيت عن ولدي علقمة. فقال رسول الله ﷺ: **انطلق يا بلال اليه وانظر هل يستطيع ان**

يقول لا إله إلا الله أم لا؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني. فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول: (لا إله إلا الله)، فدخل بلال فقال: يا هؤلاء ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وأن رضاها أطلق لسانه. ثم مات علقمة من يومه، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه، ثم قام على شفير قبره وقال: **يا معشر المهاجرين والانصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا الا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن اليها ويطلب رضاها، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها**». فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه، وان يجنبنا سخطه، انه جواد كريم رؤوف رحيم.

الكبيرة التاسعة: هجر الأقارب

قال الله تعالى: ﴿واتَّقوا اللهَ الَّذي تَساءَلونَ به والأَرْحَامَ﴾ (سورة النساء آية ١) أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها. وقال الله تعالى: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إن تَوَلَّيتُمْ أنْ تُفْسِدُوا في الأَرْضِ وَتُقَطِّعوا أرْحَامكم أولئك الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فأصمَّهُمْ وأعْمَى أبْصَارهمْ﴾** (سورة محمد آية ٢٢) وقال الله تعالى: **﴿الَّذينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ الله ولا يَنْقضونَ الميثَاقَ، والَّذِينَ يَصِلُونَ ما أمَرَ اللهُ به أنْ يُوصَلَ ويَخْشَونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسابِ﴾** (سورة الرعد آية ٢٠). وقال الله تعالى: **﴿يُضلُّ بهِ﴾** أي بالقرآن **﴿كثيراً وَيَهدي به كَثيراً وما يُضلُّ به إلاَّ الفاسقينَ الَّذينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ ميثَاقه ويقطَعُونَ مَا أمَرَ اللهُ بهِ أن يُوصَلَ ويُفْسِدُونَ في الأرْضِ أولئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾** (سورة البقرة آية ٢٧).

أعظم ذلك ما بين العبد وبين الله ما عهده الله على العبيد.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:

[٩٢] «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»(١). فمن قطع اقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره واحسانه وكان غنياً وهم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد، محروم عن دخول الجنة، الا ان يتوب إلى الله عز وجل ويحسن اليهم وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال:

[٩٣] «**من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن اليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر اليه يوم القيامة**»(٢) وان كان فقيراً وصلهم بزيارتهم والتفقد لاحوالهم لقول النبي ﷺ:

[٩٤] «**صلوا ارحامكم ولو بالسلام**»(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٩٥] «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**»(٤) وفي الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال:

[٩٦] «**ليس الواصل بالمكافيء، ولكن الواصل الذي من إذا قطعت رحمه وصلها**»(٥).

---

(١) ورواه أيضاً الترمذي في البر والصلة رقم (١٩٧٤): باب ما جاء في صلة الرحم، وأبو داود في الزكاة رقم (١٦٩٦) باب في صلة الرحم وأحمد في «المسند» ٨٠/٤ البخاري ٣٤٧/١٠ ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) رواه الطبراني ورواته ثقات من حديث أبي هريرة وفي سنده عبدالله بن عامر الاسلمي، قال ابو حاتم ليس بالمتروك (منذري) اقول: عبدالله بن عامر الاسلمي ضعيف قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(٣) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٥٢/٨ وقال رواه البزار وفيه يزيد بن عبدالله ابن البراء الغنوي وهو ضعيف، ورواه الطبراني عن أبي الطفيل وفيه راو لم يسم.

(٤) رواه البخاري واللفظ له، وأبو داود والترمذي.

(٥) رواه البخاري ٣٥٥/١٠ وأبو داود في الزكاة رقم (١٦٩٧) باب في صلة الرحم والترمذي في البر والصلة رقم (١٩٧٣) باب ما جاء في صلة الرحم.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٩٧] **يقول الله تعالى: «أنا الرحمن وهي الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته»**[١]. وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه قال لولده: يا بني لا تصحبن قاطع رحم فاني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه جلس يحدث عن رسول الله ﷺ فقال:

[٩٨] أحرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا، فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة، فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها. فقالت له عمته: ما جاء بك يا ابن أخي فقال اني جلست إلى أبي هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال: أحرج كل قاطع رحم الا قام من عندنا، فقالت له عمته: ارجع إلى أبي هريرة واسأله لم ذلك فرجع اليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله: لم لا يجلس عندك قاطع رحم؟ فقال أبو هريرة: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم»**[٢].

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٦٩٤) في الزكاة: باب في صلة الرحم، والترمذي في البر والصلة رقم (١٩٧٢) باب ما جاء في قطيعة الرحم وقال الترمذي: هذا حديث صحيح، وتعقبه المنذري بأن ابا سلمة لم يسمع من أبيه شيئاً.
أقول: له شاهد بسند صحيح عند أبي يعلى عن عبدالله بن قارظ عن عبد الرحمن بن عوف فذكر الحديث وله شاهد عند البخاري في الأدب، ورواه الامام أحمد ١٦٠/٢ و ١٩٤ في «المسند».

(٢) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٥١/٨ مختصراً ونسبه للطبراني وفيه كذاب ١٥١/٨، وعزاه في «الترغيب والترهيب» الى الأصبهاني في رواية عبدالله بن أبي أوفى واشار إلى ضعفه وعزاه في «الجامع الصغير» الى «الأدب المفرد» للبخاري من حديث عبدالله بن أبي أوفى ورمز له بالضعف.

وحكي أن رجلاً من الأغنياء حج إلى بيت الله الحرام، فلما وصل إلى مكة أودع من ماله الف دينار عند رجل كان موسوماً بالامانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات، فلما وقف بعرفات ورجع إلى مكة وجد الرجل قد مات، فسأل أهله عن ماله علم انه لم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له: إذا كان نصف الليل فأت زمزم[١] وانظر فيها، ونادِ يا فلان باسمه فان كان من أهل الجنة فسيجيبك بأول مرة، فمضى الرجل ونادى في زمزم فلم يجبه أحد، فجاء اليهم وأخبرهم فقالوا: (إنا لله وإنا إليه راجعون). نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار، اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال انه على فم جهنم فانظر فيه بالليل، وناد يا فلان فان كان من أهل النار فسيجيبك منها فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها، فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى يا فلان، فأجابه فقال: أين ذهبي؟ قال دفنته في الموضع الفلاني من داري ولم ائتمن عليه ولدي، فأتهم واحفر هناك تجده. فقال له: ما الذي انزلك ههنا وكنا نظن بك الخير؟ فقال: كان لي أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبني الله سبحانه بسببها وانزلني الله هذه المنزلة.

---

(١) قال الامام «ابن القيم» في كتابه «الروح»: وأما من قال: ان ارواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا من سنة يجب التسليم بها، ولا قول صاحب يوثق به وليس بصحيح، فان تلك البئر لا تسع ارواح المؤمنين جميعهم، وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من ان نسمة المؤمن طائر يعلق في ثمر الجنة. وبالجملة فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها. وناقش ما قيل ان ارواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت - مناقشة طويلة قال في آخرها: ولعله مما تلقاه - يعني قائله - من أهل الكتاب.

وتصديق ذلك في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم:

«لا يدخل الجنة قاطع»[1] يعني قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأقارب، فنسأل الله التوفيق لطاعته انه جواد كريم.

الكبيرة العاشرة: الزنا

وبعضه أكبر من بعض قال الله تعالى:

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلاً﴾ (سورة الاسراء آية ٣٢) وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقِّ ولا يَزْنُونَ. وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أثَاماً يُضاعَفْ لَهُ العَذابُ يَوْمَ القِيامَةِ وَيَخْلُدْ فيهِ مُهاناً إلاَّ مَنْ تابَ﴾ (سورة الفرقان الآيتين ٦٨ - ٦٩).

وقال الله تعالى: ﴿الزَّانيةُ والزَّاني فاجلِدُوا كلَّ واحد منهما مِائةَ جَلْدَة ولا تَأخُذْكُمْ بهمَا رأفَةٌ في دين الله إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ واليوْم الآخر ولْيَشْهَدْ عَذَابَهُما طَائِفَةٌ منَ المؤمنينَ﴾ (سورة النور آية ٢).

قال العلماء: هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا إذا كانا عزبين غير متزوجين فان كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة في العمر فانهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا. كذلك ثبت في السنة عن النبي ﷺ فان لم يستوف القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة فانهما يعذبان في النار بسياط من نار.

---

(١) مر ذكره رقم [٩٢].

كما ورد أن في الزبور مكتوباً: إن الزناة معلقون بفروجهم في النار يضربون عليها بسياط من حديد، فاذا استغاث من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه؟!.

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال:

[٩٩] «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[١] وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٠٠] «إذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا أقلع رجع اليه الايمان»[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٠١] «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه»[٣] وفي الحديث النبوي قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري ٨٦/٥ في المظالم ومسلم في الايمان رقم ٥٧، والنسائي في الأشربة ٦٤/٨، والترمذي في الايمان رقم (٢٧٦٠): باب لا يزني الزاني وهو مؤمن، وابو داود رقم (٤٦٨٩) في السنة باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه وابن ماجه في الفتن رقم (٣٩٣٦): باب النهي عن النهبة، والدارمي في الأشربة، والامام أحمد في «المسند» ١٣٩/٢.

(٢) رواه الترمذي ضمن الحديث السابق رقم (٢٧٦٠) في الايمان: باب لا يزني الزاني وهو مؤمن وقال الترمذي، حديث حسن غريب صحيح. ورواه أبو داود رقم (٤٦٩٠) والبيهقي أيضاً قاله (المنذري) وقال المصنف في «صغراه»: هذا على شرط البخاري ومسلم ورواه الحاكم ٢٢/١.

(٣) رواه الحاكم من حديث ابي هريرة (المنذري).

[١٠٢] «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر»[١].

وعن ابن مسعود[٢] رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الذنب أعظم عند الله تعالى؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. فقلت: إن ذلك لعظيم، ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: ان تزني بحليلة جارك - يعني زوجة جارك - فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخر وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلا مَنْ تَابَ﴾ (سورة الفرقان آية ٦٨).

فانظر رحمك الله كيف قرنا الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله عز وجل إلا بالحق، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين.

وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب، وفيه.

[١٠٣] انه صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل وميكائيل قال: فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، فيه لغط وأصوات. قال: فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة، فاذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا - أي صاحوا من شدة حره - فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الزناة

(١) رواه مسلم في الايمان، والنسائي في الزكاة، ورواه الامام أحمد في «المسند» ٤٨٠/٢ من رواية أبي هريرة ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير العباس بن أبي طالب وهو ثقة قاله في «مجمع الزوائد» ٢٥٥/٦ عن سلمان بنص «ثلاثة لا يدخلون الجنة».

(٢) تقدم تخريجه في الكبيرة الثانية رقم الحديث (١٢).

والزواني - يعني من الرجال والنساء - **فهذا عذابهم إلى يوم القيامة**[١] نسأل الله العفو والعافية.

وعن عطاء[٢] في تفسير قول الله تعالى عن جهنم ﴿**لها سبعة أبواب**﴾ قال: أشد تلك الأبواب غماً وحراً وكرباً وأنتنها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم. وعن مكحول[٣] الدمشقي قال: يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة، فيقال لهم هذه ريح فروج الزناة. وقال ابن زيد[٤] أحد أئمة التفسير: انه ليؤذي أهل النار ريح فروج الزناة. وفي العشر الآيات التي كتبها الله لموسى عليه السلام: ولا تسرق ولا تزن فأحجب عنك وجهي، فاذا كان الخطاب لنبيه موسى عليه السلام فكيف لغيره؟!.

وجاء عن النبي ﷺ:

[١٠٤] ان ابليس يبث جنوده في الأرض ويقول لهم: أيكم أضل مسلماً ألبسته التاج على رأسه، فأعظمهم فتنة أقربهم اليه منزلة فيجيء اليه أحدهم فيقول له: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، فيقول: ما صنعت شيئاً سوف يتزوج غيرها، ثم يجيء الآخر فيقول لم ازل بفلان حتى القيت بينه وبين أخيه العداوة، فيقول: ما صنعت شيئاً سوف

---

(١) رواه البخاري في التعبير في حديث طويل ورواه أيضاً الامام أحمد في «المسند» ٨/٥ - ٩.

(٢) عطاء ابن أبي رباح اليماني نزيل مكة احد فقهاء التابعين وأئمتهم المتوفى في سنة ١١٤هـ. وأما ابن يسار المدني احد الاعلام من فقهاء التابعين مات سنة ٩٧ أو ١٠٣هـ.

(٣) ثقة من فقهاء التابعين بالشام روى عنه الأوزاعي وغيره مات سنة ١١٣هـ.

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم. جده اسلم مولى اسلم وعبد الرحمن ضعيف في الحديث من قبل حفظه توفي سنة ١٨٢هـ.

يصالحه، ثم يجيء الآخر فيقول: لم ازل بفلان حتى زنى، فيقول إبليس: نعم ما فعلت فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده[1].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

[١٠٥] ان الايمان سربال يسربله الله من يشاء، فاذا زنى العبد نزع الله منه سربال الايمان، فان تاب رده عليه[2]، وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

[١٠٦] «يا معشر المسلمين إتقوا الزنا فان فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فاما التي في الدنيا: فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر وأما التي في الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى وسوء الحساب والعذاب بالنار»[3]. وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال:

---

(١) لم أجده في الكتب السبعة ولا مسند الامام أحمد له شاهد مختصر ذكره «في منتخب كنز العمال» ٣٧٠/٦ ونسبه للحاكم في تاريخه والديلمي عن أبي الدرداء، وروى الهيثمي معناه في «مجمع الزوائد» ٢٨٩/٧ للطبراني في «الاوسط» ورجاله وثقوا وفيهم ضعف، ورواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١١٤/١ بنفس النص الا انه قال: «لم ازل به حتى اشرك فيقول انت أنت» رواه الطبراني في «الكبير» وفيه عطاء بن أبي السائب اختلط وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» من حديث أبي هريرة (المنذري) ونحوه رقم الحديث (١٠٠).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس وقال فيه «وفيه أربع خصال» وفيه متروك أما بهذا النص فرواه الخرائطي في مساوي الأخلاق وفي «الحلية» لأبي نعيم والبيهقي في «الشعب» وضعفه وأبو الفتح الراشدي في جزئه والرافعي عن حذيفة. ورواه ابن الجوزي في موضوعاته عن أبي نعيم في «الحلية» من حديث حذيفة وفيه مجهول ومتروك وكذا البيهقي في «الشعب» من هذا الطريق وله طرق ساقطة عن أنس وعلي رضي الله عنهما (اللآلىء المصنوعة).

[١٠٧] «من مات مصراً على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطـــة وهو نهر يجري في النـــار من فروج الموسات»[١] يعني الزانيات، يجري من فروجهن قيح وصديد في النار، ثم يسقى ذلك لمن مات مصراً على شرب الخمر.

وقال رسول الله ﷺ:

[١٠٨] «ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحل له»[٢]، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:

[١٠٩] «في جهنم واد فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة، ثم يتهرى لحمه. وان في جهنم وادياً اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة راوية سم، ثم تضرب الزاني وتفرغ سمها في جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة، ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد»[٣].

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٨٠) في الأشربة: باب النهي عن المسكر وفيه مستور، ورواه الترمذي (١٩٢٤) في الأشربة: باب ما جاء في شارب الخمر، وقال الترمذي: حديث حسن وقد روي نحو هذا عن عبدالله بن عمرو وابن عباس. أقول: هي رواية جرير عن عطاء وهو سمع منه بعد الاختلاط، ورواه الامام أحمد في «المسند» ٣٥/٢ عن معمر عن عطاء ولعله لذلك حسنه والله أعلم. ورواه ابو يعلى، وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه (ترغيب) انظر مجمع ٧٤/٥.

(٢) رواه في «منتخب كنز العمال» ٣٩٥/٢، ونسبه لابن أبي الدنيا عن الهيثم بن مالك الطائي.

(٣) رواه الطبراني، والامام أحمد في «المسند» ١٩١/٤ من طريق ابن لهيعه وهو ضعيف وحسن الهيثمي حديثه عن دراج وهو صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف، وهنا عن الصحابي مباشرة (عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي) نحواً مما هنا.

وورد أيضاً: ان من زنى بامرأة كانت متزوجة كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة، فاذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها في حسناته هذا إن كان بغير علمه، فان علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة: أنت حرام على الديوث. وهو الذي يعلم بالفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار.

وورد أيضاً ان من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه، فان قبلها قرضت شفتاه في النار، فان زنى بها نطقت فخذه وشهدت عليه يوم القيامة، وقالت: أنا للحرام ركبت، فينظر الله تعالى اليه بعين الغضب، فيقع لحم وجهه فيكابر، ويقول: ما فعلت فيشهد عليه لسانه فيقول: أنا بما لا يحل نطقت، وتقول يداه: أنا للحرام تناولت، وتقول عيناه أنا للحرام نظرت، وتقول رجلاه: أنا لما لا يحل مشيت، ويقول فرجه: أنا فعلت، ويقول الحافظ من الملائكة: وأنا سمعت، ويقول الآخر: وأنا كتبت ويقول الله تعالى: وأنا اطلعت وسترت. ثم يقول الله تعالى: يا ملائكتي خذوه ومن عذابي أذيقوه، فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه مني، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم وقد صحح الحاكم:

[١١٠] «من وقع على ذات محرم فاقتلوه»(١).

---

(١) قال المصنف في الصغرى: والعهدة عليه أي على الحاكم في هذا التصحيح.

[١١١] وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله[1]. فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا انه جواد كريم.

الكبيرة الحادية عشرة: اللواط

قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع، من ذلك قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (سورة هود آية ٨٢) أي من طين طبخ حتى صار كالآجر ﴿مَنْضُودٍ﴾ أي يتلو بعضه بعضاً، ﴿مُسَوَّمَةً﴾ أي معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه، ﴿وما هيَ من الظَّالمينَ ببَعيد﴾ ما هي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل باولئك من العذاب.

ولهذا قال النبي ﷺ:

[١١٢] «أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط» ولعن من فعل فعلهم ثلاثاً[2] فقال:

---

(١) رواه الامام أحمد في «المسند» ٢٩٥/٤ واسناده صحيح ورواه أبو داود رقم (٤٤٥٦) و (٤٤٥٧) في الحدود: باب في الرجل يزني بحريمة، وابن ماجه رقم (٢٦٠٨) و (٢٦٠٧) في الحدود: باب من تزوج امرأة أبيه من بعده وقال في الحاشية عن «الزوائد» إسناده صحيح، والنسائي ١٠٩/٦ والترمذي (١٣٦٢) في الاحكام: باب ما جاء فيمن تزوج امرأة ابيه وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٢٥٦٣) في الحدود: باب من عمل عمل قوم لوط، وفي إسناده القاسم بن عبد الواحد لم يوثقه الا ابن حبان، والترمذي رقم (١٤٥٧) في الحدود: =

[١١٣] « لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط »(١). وقال عليه الصلاة والسلام:

[١١٤] « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به »(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما ينظر أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى:

﴿أَتأْتُونَ الذُّكْرَانَ منَ العَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ من أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (سورة الشعراء آية ١٦٦) أي مجاوزون من الحلال الى الحرام.

وقال الله تعالى في آية أخرى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ من القَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعمَلُ الخَبَائِثَ إنَّهم كَانُوا قَوْمَ سوءٍ فَاسِقِينَ﴾ (سورة الأنبياء آية ٧٤).

= باب ما جاء في حد اللوطي، وقال: هذا حديث حسن غريب وقال الحاكم: صحيح الإسناد قاله المنذري.

(١) رواه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٢٧٢/٦ ونسبه للطبراني في الأوسط وقال: فيه محرز بن هارون ويقال محرر وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه وبقية رجاله رجال صحيح.

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٤٦٢) في الحدود: باب فيمن عمل عمل قوم لوط، وابن ماجه في الحدود رقم (٢٥٦١) و (٢٥٦٢) والترمذي رقم (١٤٥٦) في الحدود: باب ما جاء في حد اللوطي ونقل المنذري قول ابن معين عن عمرو بن أبي عمرو هذا: احتج به الشيخان وغيرهما وقال ابن معين ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس يعني هذا. اقول: لم ينفرد بهذا الحديث ولقد أورد له عدة طرق أبو داود في حديثه رقم (٤٤٦٢) فدل ذلك على عدم انفراده بهذا الحديث ورواه الحاكم ٣٥٥/٤ وصححه وأقره الذهبي.

وكان اسم قريتهم سدوم، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين في ادبارهم ويتضارطون في انديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: عشر خصال من أعمال قوم لوط - تصفيف الشعر، وحل الأزرار، ورمي البندق، والحذف بالحصى، واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالاصابع، وفرقعة الأكعب، واسبال الازار، وحل أزر[1] الاقبية، وادمان شرب الخمر، واتيان الذكور، وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء النساء.

وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

[١١٥] «**سحاق النساء بينهن زنا**»[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[١١٦] «**أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالى**» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الذكر يعني اللواط**»[3].

[١١٧] وروي[4] أنه إذا ركب الذكر الذكر «**إهتز عرش الرحمن خوفاً**

---

(١) بضم الهمزة وسكون الزاي كذا ضبطه في المنجد وقال: هو معقد الازار اهـ والمراد هنا والله أعلم محل معقد الازار من الأقبية.

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن وائلة قاله في الجامع الصغير واسناده لين، قاله المصنف في صغراه.

(٣) نسبه المنذري للطبراني والبيهقي وفي «مجمع الزوائد» ٢٧٣/٦ قال: رواه الطبراني في «الأوسط» من طريق محمد بن سلام الخزاعي عن أبيه عن أبي هريرة قال البخاري: لا يتابع على حديثه هذا.

(٤) ذكر السيوطي حديثاً نحو هذا الحديث رآه على ظهر نسخة ابن ابي شيبة بخط مغربي لم يعرف كاتبه، فذكر سنداً إلى أنس. قال: وكتب غيره عليه: هذا اسناد واه لين موضوع (ذيل اللآليء).

من غضب الله تعالى، وتكاد السماوات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل».

وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

[١١٨] «سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة، ويقول ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول به - يعني اللواط - وناكح البهيمة، وناكح الأم وابنتها، وناكح يده الا أن يتوبوا»[١].

وروي «ان قوماً يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى من الزنا كانوا يعبثون في الدنيا بمذاكيرهم»[٢]. وروي ان من اعمال قوم لوط: اللعب بالنرد، والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب، والمناطحة بين الكباش، والمناقرة بالديوك، ودخول الحمام بلا مئزر، ونقص الكيل والميزان. ويل لمن فعلها[٣].

وفي الأثر: من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر. وقال ابن عباس[٤] رضي الله عنهما:

[١١٩] ان اللوطي إذا مات من غير توبة فانه يمسخ في قبره خنزيراً.

---

(١) لم أجده بهذا النص وذكر معناه في «منتخب كنز العمال» ٣٨٣/٦ ونسبه لحسن بن عرفة في جزئه وللبيهقي في «شعب الايمان» وكذلك معناه عند «مجمع الزوائد» ٢٧٢/٦ فلينظر.

(٢) اسناده ضعيف.

(٣) رواه ابن عساكر عن الحسن مرسلاً (بمعناه).

(٤) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات مرفوعاً وقال: لا يصح مروان ابن محمد يروي المناكير، واسماعيل بن أم درهم لا يحتج به.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٢٠] « **لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكراً أو امرأة في دبرها** »[١]،

وقال أبو سعيد الصعلوكي: سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون، وهم على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث.

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا، لما صح عن النبي ﷺ أنه قال:

[١٢١] « **زنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا اليد البطش، وزنا الرجل الخطى، وزنا الاذن الاستماع، والنفس تمني وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه** »[٢]. ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الاعراض عن المردان وعن النظر اليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم.

قال الحسن[٣] بن ذكوان: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فان لهم صوراً كصور العذارى، فهم أشد فتنة من النساء. وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد اليه.

---

(١) رواه الترمذي بهذا النص رقم (١١٧٦) في النكاح: باب ما جاء في كراهية إتيان النساء في أدبارهن، وقال: حديث حسن غريب، ورواه أبو داود رقم (٢١٦٢) في النكاح: باب في جامع النكاح وابن ماجه رقم (١٩٢٣) في النكاح: باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن، وفي إسناد ابن ماجه وابي داود الحارث بن مخلد قال الحافظ ابن حجر في « التقريب »: مجهول الحال، وفي حاشية ابن ماجه نقلاً عن الزوائد: إسناده صحيح لأن الحارث بن مخلد ذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات، وأورد له هذا الحديث في «صحيحه».
وصحح البوصيري إسناده، ورواه الإمام أحمد في « المسند »٢/٤٤٤ و٤٧٩، وله شاهد عند ابن عدي ١/٢١١ والطبراني في « الاوسط » انظر « مجمع الزوائد » ٤/٢٩٩.

(٢) رواه الامام أحمد في المسند، بإسناد صحيح ٢/٢٧٦ و٣١٧، ٣٢٩، رواه البخاري في الاستئذان ١٠/٢٢ ومسلم رقم (٢٦٥٧) في القدر، وابو داود رقم (٢١٥٢) في النكاح: باب ما يؤمر به من غض البصر.

(٣) الحسن بن ذكوان البصري ابو سلمة يروي عن الحسن وابن سيرين.

وكان يقال: لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد. وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة لأن النبي ﷺ قال:

[١٢٢] «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[١].

وفي المردان من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم، وانه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء، ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل في حق المرأة، فهو بالتحريم أولى. وأقاويل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم «الانتان» لأنهم مستقذرون شرعاً. وسواء في كل ما ذكرناه نظر المنسوب الى الصلاح وغيره.

ودخل سفيان[٢] الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال: اخرجوه عني أخرجوه فاني أرى مع كل امرأة شيطاناً، وأرى مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطاناً.

وجاء رجل إلى الامام احمد رحمه الله ومعه صبي حسن فقال الامام ما هذا منك؟ قال ابن اختي. قال: لا تجيء به الينا مرة أخرى، ولا تمش معه في طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءاً.

---

(١) رواه الترمذي في الرضاع رقم (١١٨١): باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات، ولم يذكر سنده إنما قال: رُوي ورواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٢٦/٤ عن أبي امامة وقال رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف جداً وفيه توثيق. وأشار المنذري إلى ضعفه وقال: غريب.

(٢) سفيان بن سعيد الثوري ابو عبدالله الكوفي أحد الأعلام قال الخطيب: كان الثوري إماماً من ائمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين مجمعاً على إمامته مع الاتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفي بالبصرة سنة ١٦١.

وروي ان وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ كان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره وقال:

[١٢٣] «انما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر»(١) وأنشدوا شعراً:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وكان يقال: النظر بريد الزنا، وفي الحديث:

«النظر سهم مسموم من سهام ابليس، فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها إلى يوم القيامة»(٢)

(فصل) في عقوبة من أمكن من نفسه طائعاً:

[١٢٤] عن خالد(٣) بن الوليد رضي الله عنه انه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه وجد في بعض النواحي رجلاً ينكح في دبره

---

(١) رواه الديلمي بسنده إلى الحسن عن سمرة به. قال ابن الصلاح في شكل الوسيط: لا أصل لهذا الحديث، وقال الزركشي في تخريج أحاديث الشرح الكبير: هذا حديث منكر فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع، وقد استدل على بطلانه بقوله صلى الله عليه وسلم: اني أراكم من وراء ظهري (ذيل الموضوعات للسيوطي).

(٢) رواه ابن النجار بمعناه عن أبي هريرة ورواه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر ورواه الحاكم عن حذيفة.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي بسند جيد (المنذري).

فاستشار ابو بكر الصحابة رضي الله عنهم في أمره فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ان هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة قوم لوط، وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم، أرى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر اليه أن أحرقه بالنار فأحرقه خالد رضي الله عنه.

وقال علي رضي الله عنه: من أمكن من نفسه طائعاً حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجيماً في قبره إلى يوم القيامة.

وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطي مجرم، ومما روي ان عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفىء عنه، فانقلبت النار صبياً وانقلب الرجل ناراً فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك، وقال: يا رب ردهما إلى حالهما في الدنيا لأسألهما عن خبرهما، فأحياهما الله تعالى فاذا هما رجل وصبي، فقال لهما عيسى عليه السلام: ما خبركما؟ فقال الرجل: يا روح الله اني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة ان فعلت به الفاحشة، فلما أن مت ومات الصبي صير ناراً يحرقني مرة وأصير ناراً أحرقه مرة فهذا عذابنا إلى يوم القيامة. نعوذ بالله من عذاب الله ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى.

(فصل) ويلتحق باللواط اتيان المرأة في دبرها مما حرمه الله تعالى ورسوله.

[١٢٥] قال الله عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (سورة البقرة آية ٢٢٣) أي كيف شئتم مقبلين ومدبرين في صمام واحد أي موضع واحد. وسبب نزول هذه الآية أن اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فسأل اصحاب رسول ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ مجبية أو غير

مجبية غير ان ذلك في صمام واحد[١] أخرجه مسلم.

وفي رواية: **اتقوا الدبر والحيضة**، وقوله في صمام واحد أي في موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث أي موضع مزرع الولد، وأما الدبر فانه محل النجو وذلك خبيث مستقذر. وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال:

[١٢٦] «ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها»[٢].

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

[١٢٧] «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد»[٣]. فمن جامع امرأته وهي حائض أو جامعها في دبرها فهو ملعون وداخل في هذا الوعيد الشديد، وكذا إذا أتى كاهناً. وهو المنجم ومن يدعي معرفة الشيء المسروق ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شيء منها فصدقه.

---

(١) رواه البخاري ١٤٣/٨ ومسلم (١٤٣٥) وأبو داود رقم (٢١٦٣) و(٢١٦٤) في النكاح: باب في جامع النكاح والترمذي رقم (٢٩٨٢) في تفسير سورة البقرة والرواية الثانية «اتقوا الدبر والحيضة» رواية رقم (٢٩٨٣) وقال الترمذي عنها: هذا حديث حسن غريب.

(٢) رواه أبو داود رقم (٢١٦٢) في النكاح: باب جامع النكاح وانظر الحديث رقم (١٢٠) ورواه أحمد ٤٤٤/٢.

(٣) رواه الامام أحمد في «المسند» ٤٠٨/٢ و ٤٧٦ وابن ماجه رقم (٦٣٩) في الطهارة: باب النهي عن إتيان الحائض، والترمذي رقم (١٣٥) في الطهارة: باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، وقال الترمذي: ضعف البخاري هذا الحديث من قبل إسناده، وقال: لو كان إتيان الحائض كفراً لم يؤمر فيه بالكفارة ورواه أبو داود والنسائي قاله (المنذري). وسئل ابن المديني عن حكيم من هو؟ فقال: اعيانا هذا وقال البخاري في تاريخه الكبير: لا يعرف لابي تميمة سماع من أبي هريرة. قال المصنف في الصغرى: وليس اسناده بالقائم. وقال ابن سيد الناس: فيه أربع علل، تفرد حكيم الأثرم، عن غير ثقة (حكيم) وضعف رواته والانقطاع بين ابي تميمة وابي هريرة.

وكثير من الجهال واقعون في هذه المعاصي، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم، ولذلك قال ابو الدرداء: كن عالماً أو متعلماً أو مستعلماً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك، وهو الذي لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك. ويجب على العبد ان يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا. ويسأل الله العفو عما مضى منه في جهله، والعافية فيما بقي من عمره. اللهم إنّا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة انك ارحم الراحمين.

الكبيرة الثانية عشرة: الربا

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران آية ١٣٠) وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ من المَسّ﴾ (سورة البقرة آية ٢٧٥) أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي قد مسه الشيطان وصرعه ﴿ذلك﴾ أي ذلك الذي أصابهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالوا إِنَّمَا البَيْعُ مثلُ الرِّبَا﴾ (سورة البقرة آية ٢٧٥).

أي حلالا فاستحلوا ما حرم الله، فاذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين. إلا أكلة الربا فانهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع، كلما قام صرع لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا ارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم يوم القيامة، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا، ويريدون الاسراع مع الناس فلا يقدرون.

وقال قتادة[1]: ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً، وذلك علم

(١) قتادة بن دعامة السدوسي البصري امام جليل في التفسير والحديث من علماء التابعين مات سنة ١١٧هـ.

لاكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال:

[١٢٨] «لما أسري بي مررت بقوم بطونهم بين أيديهم، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم، قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً قال فيقبلون مثل الابل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون، فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون، فيردونهم مقبلين ومدبرين. فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة»(١) قال صلى الله عليه وسلم: «فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس».

وفي رواية قال:

[١٢٩] لما عرج بي سمعت في السماء السابعة فوق رأسي رعداً وصواعق، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء أكلة الربا(٢).

---

(١) عزاه ابن كثير في تفسيره في سورة الاسراء الى البيهقي في دلائل النبوة وإلى ابن جرير وابن ابي حاتم في تفسيرهما. كلهم من طريق ابي هارون العبدي عن أبي سعيد. قال: واسم ابي هارون عمارة بن جوين: مضعف عند الائمة.

(٢) رواه الهيثمي «في مجمع الزوائد» ١/٦٦ ونسبه لأحمد وابن ماجه مختصراً وقال فيه ابو الصلت لا يعرف ولم يرو عنه غير علي بن زيد. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف، ابن ماجه رقم (٢٢٧٣) في البيوع: باب التغليظ في الربا، وقال (المنذري) ورواه ايضاً الأصبهاني الامام أحمد في «المسند» ٢/٣٥٣ و٣٦٣.

وروي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه:

[١٣٠] إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله بهلاكها[١].

وعن عمر مرفوعا:

[١٣١] «اذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله انزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم»[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٣٢] «ما ظهرفي قوم الربـاإلا ظهر فيهم الجنون،ولا ظهر فيقوم الزنا الا ظهر فيهم الموت، وما بخس قوم الكيل والوزن الا منعهم الله القطر»[٣].

وجاء في حديث فيه طول:

[١٣٣] ان آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم، ويلقم الحجارة، وهو المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا. هذا العذاب له في البرزخ

---

(١) رواه في «منتخب كنز العمال» ٣٩٥/٢ ونسبه للطبراني في «الكبير» و«المستدرك» للحاكم، وقال المنذري: رواه أبو يعلى باسناد جيد وله شاهذ من حديث ابن عباس صحح الحاكم إسناده و«مجمع الزوائد» ١١٨/٤ رواه ابو يعلى باسناد جيد.

(٢) رواه ابو داود في البيوع رقم (٣٤٦٢) باب في النهي عن العينة واسناده صحيح، ورواه الامام أحمد في «المسند» ٢٨/٢ و٤٢.

(٣) رواه ابن ماجه رقم (٤٠١٩) في الفتن: باب العقوبات، وقال في «الزوائد»: هذا حديث صالح للعمل به رواه البزار والبيهقي باسناد صحيح من قول ابن عباس ٣٤٦/٣، والحاكم باسناد حسن ٥٤٠/٤ وقال الحاكم: وقال على شرط مسلم.

قبل يوم القيامة مع لعنة الله له[1]. كما صح عن رسول الله ﷺ انه قال:

«أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه الا ان يتوبوا»[2].

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على اخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت، فحفروا لها حياضاً تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الاحد. فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير. وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل فان الله لا تخفى عليه حيل المحتالين. قال ايوب[3] السختياني: يخادعون الله كما يخادعون صبياً، ولو أتوا الأمر عياناً كان أهون عليهم وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٣٤] «الربا سبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم»[4] فصح انه باب من أعظم أبواب الربا.

---

(١) هو حديث سمرة الطويل في منام رآه النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري.

(٢) ذكره في «منتخب كنز العمال» ونسبه للطبراني في «الكبير».

(٣) أيوب بن أبي تميمة السختياني أبو بكر البصري أحد الائمة الاعلام من اكابر التابعين مات سنة ١٣١ هـ.

(٤) رواه ابن ماجه رقم (٢٢٧٤) في التجارات: باب في التغليظ في الربا، والبيهقي عن ابي معشر قال في الزوائد متفق على ضعفه، وقال المنذري وقد وثق، ورواه الطبراني في الاوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق، وهو من رواية البراء بن عازب، وضعفه لعمر بن راشد جمهور الائمة.

وعن أنس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال:

[١٣٥] « **الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الاسلام** »[١] وعنه صلى الله عليه وسلم قال:

[١٣٦] « **الربا سبعون حوباً أهونها كوقع الرجل على أمه وفي رواية أهونها كالذي ينكح أمه** »[٢] والحوب: الإثم.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: الزائد والمستزيد في النار - يعني الآخذ والمعطي فيه سواء نسأل الله العافية.

(فصل) عن ابن مسعود[٣] رضي الله عنه قال: إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فانه ربا. وقال الحسن[٤] رحمه الله: إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت. وهذا من قوله صلى الله عليه وسلم:

[١٣٧] « **كل قرض جرَّ نفعاً فهو ربا** »، وقال ابن مسعود ايضاً: من شفع لرجل شفاعة فأهدى اليه هدية فهي سحت، وتصديقه من قوله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي واشار (المنذري) الى ضعفه بتصديره بلفظ روي، ورواه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١١٧/٤ ونسبه لأحمد والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » وقال: رجال احمد رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٢٢٧٤) في التجارات: باب في التغليظ في الربا، والبيهقي عن ابي معشر قال في الزوائد متفق على ضعفه، وقال المنذري: وقد وثق، وله شاهد صحيح عند ابن ماجه (٢٢٧٥) بنص « الربا ثلاثة وسبعون باباً ».

(٣) ابو عبد الرحمن بن مسعود الصحابي الجليل توفي سنة ٣٢هـ.

(٤) هو البصري من كبائر ائمة التابعين مات بعد سنة ١٤٠هـ.

[١٣٨] «من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا»(١) أخرجه أبو داود. فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

الكبيرة الثالثة عشرة: اكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ (سورة النساء آية ١٠) وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (سورة الإسراء آية ٣٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في المعراج:

[١٣٩] «فإذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يفكون لحاهم، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها بافواههم وتخرج من أدبارهم. فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً»(٢) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة(٣) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه ابو داود في البيوع رقم (٣٥٤١) باب في الهدية لقضاء الحاجة، واسناده حسن.

(٢) عزاه الشيخ ابن كثير في تفسيره عند قوله: «ان الذين يأكلون أموال اليتامى» الخ وفي سورة الاسراء من أولها إلى ابن ابي حاتم وفي سنده أبو هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين تركوه ومنهم من كذبه، كما في التقريب. فقول المصنف هنا رواه مسلم لعله سبق قلم من النساخ فحرر.

(٣) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى ابن مردويه وابن ابي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عقبة بن مكرم بسنده إلى ابي برزة واسمه فضله بن عبيد الاسلمي، فعزو الحديث هنا إلى ابي هريرة لعله وهم أو من تحريف النساخ، ورواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ونسبه لأبي يعلى والطبراني ٢/٧ وفيه زياد بن المنذر وهو كذاب.

[١٤٠] «يبعث الله عز وجل قوماً من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم ناراً، فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الم تر أن الله تعالى يقول:

﴿إنَّ الَّذينَ يَأْكُلونَ أَمْوالَ اليَتَامى ظُلْماً إنَّما يَأْكُلونَ في بطُونهم ناراً﴾ (سورة النساء آية ١٠).

وقال السدي[١] رحمه الله تعالى: يحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وانفه وعينه كل من رآه يعرفه انه آكل مال اليتيم.

قال العلماء: فكل ولي ليتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فسحت حرام لقول الله تعالى:

﴿ومنْ كانَ غَنيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فقيراً فَلْيأْكُلْ بالمَعْرُوف﴾ (سورة النساء آية ٦).

وفي الاكل بالمعروف أربعة أقوال: (أحدها) انه الاخذ على وجه القرض (والثاني) الاكل بقدر الحاجة من غير اسراف، و(الثالث) انه اخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملاً، (والرابع) انه الاخذ عند الضرورة فان أيسر قضاه وان لم يوسر فهو في حل. وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي[٢] في تفسيره.

---

(١) اسماعيل بن عبد الرحمن ابي كريم السدي بضم السين وشد الدال أبو محمد الكوفي صاحب التفسير صدوق يهم ورمي بالتشيع مات سنة ١٢٧ هـ.

(٢) هو الحافظ جمال الدين العربي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي صاحب التصانيف المشهور البغدادي الفقيه الحنبلي المتوفى سنة ٥٧ هـ.

وفي البخاري أن رسول الله ﷺ قال:

[١٤١] «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**»[١] وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما. وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال:

«**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**» وأشار بالسبابة والوسطى.

كفالة اليتيم هي القيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله ان كان له مال، وان كان لا مال له انفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى وقوله في الحديث: **له أو لغيره** - أي سواء كان اليتيم قرابة أو اجنبياً منه، فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه، والأجنبي من ليس بينه وبينه قرابة.

وقال رسول الله ﷺ:

[١٤٢] «**من ضم يتيما من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة الا أن يعمل ذنباً لا يغفر**»[٢] وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٤٣] «**من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا الله كان له بكل شعرة**

---

(١) رواه البخاري في الطلاق، والأدب ج ٤٣/١٣، ومسلم في الزهد، وابو داود في الادب رقم (٥١٥٠) باب في من ضم اليتيم والترمذي في البر والصلة رقم (١٩١٩) ورواه «الموطأ» في الشعر، والامام أحمد في «المسند» ٣٧٥/٢ و٣٣٣/٥.

(٢) رواه الترمذي رقم (١٩١٨) في البر والصلة: باب ما جاء في رحمة اليتيم، وفيه حنش وهو حسين بن قيس، ابو علي الرحبي وهو ضعيف عند أهل الحديث، وله شواهد ذكرها المنذري في الترغيب.

مرت عليها يده حسنة، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا في الجنة »(١).

وقال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه: أوصني بوصية. قال: إرحم اليتم وادنه منك وأطعمه من طعامك، فاني سمعت رسول الله ﷺ اتاه رجل يشتكي قسوة قلبه، فقال رسول الله ﷺ:

[١٤٤] **«ان أردت أن يلين قلبك فادن اليتيم منك وامسح رأسه واطعمه من طعامك، فان ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك »**(٢).

ومما حكي عن بعض السلف قال: كنت في بداية أمرى مكباً على المعاصي وشرب الخمر، فظفرت يوماً بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسنت اليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبت ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم ان القيامة قامت ودعيت إلى الحساب، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي، فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروني سحباً إلى النار، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق، وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي، فانه قد أحسن

---

(١) رواه الامام أحمد في « المسند » ٥/٢٥٠ و٢٦٥ من طريق عبيد الله بن زحر عن علي ابن زيد عن القاسم عن أبي أمامة، إسناده ضعيف.

(٢) رواه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨/١٦٠ ونسبة للطبراني من رواية بقية وهو مدلس، وفيه من لم يسم، قال المنذري: وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وكذلك رواه في « مجمع الزوائد » عن أبي هريرة وقال: رجاله رجال الصحيح، ورواه الطبري من رواية بقية وفيه راو لم يسم.
اقول رواه الامام أحمد في « المسند » عن أبي هريرة ٢/٢٦٣ من طريق ابي عمران الجوني عن رجل عن أبي هريرة: أي فيه راو لم يسم، رواه مكرراً ٢/٣٨٧ عن أبي عمران الجوني عن أبي هريرة مباشرة مما يسبب الاضطراب في الحديث إلا ان سمعه مرة عن رجل ثم عاد وسمعه من أبي هريرة والله أعلم.

إلي وأكرمني. فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم واحسانه اليه. قال: فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل، وبذلت جهدي في ايصال الرحمة إلى الايتام. ولهذا قال انس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ: خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه، وأحب عباد الله الى الله تعالى من اصطنع صنعاً إلى يتيم أو أرملة. وروي أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام: يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للارملة كالزوج الشفيق، واعلم كما تزرع كذا تحصد: معناه انك كما تفعل كذلك يفعل معك، أي لا بد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة. وقال داود عليه السلام في مناجاته: إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: جزاؤه ان أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي. معناه ظل عرشي يوم القيامة.

وما جاء في فضل الاحسان إلى الارملة واليتيم عن بعض العلويين - وكان نازلاً ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا في سعة ونعمة، فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة، فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة، ومضت تحتال لهم في القوت فمرت بجمعين: جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد، وجمع على رجل مجوسي وهو ضامن البلد. فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له، وقالت: أنا امرأة علوية ومعي بنات ايتام ادخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم. فقال لها: أقيمي عندي البينة انك علوية شريفة. فقالت: انا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني فاعرض عنها، فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسي فشرحت له حالها، وأخبرته ان معها

بنات أيتام وهي امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فاطعمهن أطيب الطعام، والبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده في نعمة وكرامة. قال فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت، وقد عقد اللواء على رأس النبي ﷺ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم موحد. فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ:

أقم عندي البينة انك مسلم موحد. قال: فبقي متحيراً فقال له صلى الله عليه وسلم: لما قصدتك المرأة العلوية قلت اقيمي عندي البينة انك علوية، فكذا أنت أقم عندي البينة انك مسلم: فانتبه الرجل حزيناً على رده المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها انها عند المجوسي، فأرسل اليه فأتاه فقال له: اريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها. فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني. قال: خذ مني ألف دينار وسلمهن إليَّ، فقال: لا أفعل فقال: لا بد منهن. فقال: الذي تريده أنت أنا أحق به والقصر الذي رأيته في منامك خلق لي. أتدل عليّ بالاسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية، ورأيت مثل الذي رأيت في منامك، وقال لي رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمنا في الأزل. قال فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله. فانظر رحمك الله إلى بركة الاحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة في الدنيا!

ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال:

[١٤٥] «الساعي على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله»[١]. قال الراوي أحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر»، والساعي عليهم هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤوف غفور رحيم.

الكبيرة الرابعة عشر: الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ:

قال الله عز وجل:

﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ (سورة الزمر آية ٦٠).

قال الحسن: هم الذين يقولون: ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل قال ابن الجوزي في تفسيره: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض، وانما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٤٦] «من كذب عليَّ بني له بيت في جهنم»[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه البخاري في النفقات ومسلم في الزهد، والنسائي في الزكاة وابن ماجه رقم (٢١٤٠) في التجارات: باب الحث على المكاسب، والترمذي في البر والصلة رقم (٢٠٣٦) باب ما جاء في السعي على الأرملة واليتيم، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب والامام أحمد ٣٦١/٢.

(٢) رواه الامام أحمد في «المسند» بهذا النص ٢٢/٢ واسناده صحيح.

[١٤٧] «ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١].

وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٤٨] «من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٤٩] «ان كذبا علي، ليس ككذب على غيري. من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٣] وقال صلى الله عليه وسلم:

«من يقل عني ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار»[٤] وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٥٠] «يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب»[٥].

نسأل الله التوفيق والعصمة انه جواد كريم.

---

(١) رواه البخاري في العلم، والانبياء، والأدب، ومسلم في الزهد والترمذي في الفتن وابو داود في العلم رقم (٣٦٥١) باب في التشديد في الكذب. وابن ماجه رقم ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ في المقدمة، باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ والدارمي في المقدمة والامام أحمد في «المسند» في أماكن متعددة ٧٠/١، ١٥٩/٢، ١٣/٣، ٤٧/٤، ٢٩٢/٥، بلغ مبلغ التواتر.

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة رقم (٤٠) باب من حدث عن رسول الله ﷺ حديثاً وهو يرى أنه كذب والامام أحمد في «المسند» جـ ١٤/٥ و٢٠ والترمذي في العلم رقم (٢٧٩٩) باب من روى حديثاً وهو يُرى أنه كَذِبٌ، واسناده صحيح.

(٣) رواه البخاري في الجنائز والامام أحمد ٢٤٥/٤ في «المسند» وغيرهما انظر رقم (١٤٧).

(٤) أحمد ٣٢١/٢.

(٥) رواه الامام أحمد في «المسند» ٢٥٢/٥ وفيه راو لم يسم بين الأعمش وأبي أمامة ورواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩٢/١ عن سعد بن أبي وقاص ونسبه للبزار وأبي يعلى وقال: رجاله رجال الصحيح وذكره الدارقطني في «العلل» مرفوعاً وموقوفاً وقال: الموقوف أشبه بالصواب رواه الطبراني في الكبير والبيهقي من حديث ابن عمر مرفوعاً وفيه عبيد الله بن الوليد وهو ضعيف انظر «مجمع الزوائد» ٩٣/١.

الكبيرة الخامسة عشر: الفرار من الزحف

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً[1] إلى فئة وان بعدت، قال الله تعالى:

﴿ومَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئذ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفاً لقتال أوْ مُتحيِّزاً إلى فئة فَقدْ باء بغَضَبٍ من الله ومأوَاهُ جَهَنَّمَ وبئسَ المصيرُ﴾ (سورة الأنفال آية ١٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[2].

[١٥١] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت:

﴿إنْ يَكنْ منْكُمْ عشْرُونَ صابرُونَ يَغْلِبوا مائتين﴾ (سورة الأنفال آية ٦٥).

فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت:

﴿الآن خفّفَ الله عَنْكُمْ وعلم أنَّ فيكمْ ضَعفاً فإن يكُنْ منكم مائةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مائَتيْن. وإنْ يَكُنْ منكم ألفٌ يغْلبوا ألْفين باذْن الله. واللهُ معَ الصَّابرين﴾ (سورة الأنفال آية ٦٦).

فكتب ان لا يفر مائة من مائتين[3]. رواه البخاري.

---

(١) المتحرف للقتال من يفر عن العدو لخدعة حربية والمتحيز لفئة من يفر عن وجه العدو لينضم إلى جماعة المجاهدين وجملتهم.

(٢) تقدم تخريجه مراراً وأنه متفق عليه. أنظر الحديث رقم (٣).

(٣) رواه البخاري في التفسير ٢٣٣/٨ ورواه ابو داود باسناد صحيح رقم (٢٦٤٦) في الجهاد: باب في التولي يوم الزحف وابن جرير الطبري في تفسيره رقم (١٦٢٨٠).

الكبيرة السادسة عشرة: غش الامام الرعية وظلمه لهم

قال الله تعالى: ﴿إنَّما السَّبيلُ على الَّذين يَظْلِمونَ النَّاسَ ويَبْغُونَ في الأرْضِ بِغَيرِ الحَقِّ أولئك لهم عَذابٌ أليمٌ﴾ (سورة الشورى آية ٤٢).

وقال الله تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الله غافلاً عمَّا يَعْملُ الظَّالِمونَ إنَّما يُؤخِّرُهُمْ لِيَوْم تَشْخص فيه الأبْصار. مُهْطعين مُقْنعي رُؤوسهمْ لا يَرْتَدُّ إلَيْهم طَرْفهُمْ وأفئِدَتُهُمْ هواء﴾ (سورة إبراهيم الآيتين ٤٢، ٤٣). وقال الله تعالى: ﴿وسَيعلَمُ الَّذِينَ ظلَمُوا أيَّ مُنْقلَبٍ يَنْقلبُونَ﴾ (سورة الشعراء آية ٢٢٧).

وقال الله تعالى: ﴿كانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكر فَعَلوهُ لَبِئسَ ما كانُوا يَفْعَلونَ﴾ (سورة المائدة آية ٧٩).

وقال رسول الله ﷺ:

[١٥٢] «من غشنا فليس منا»[١] وقال عليه السلام:

[١٥٣] «الظلم ظلمات يوم القيامة»[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٥٤] «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[٣]. وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه مسلم في الايمان رقم (١٠١) وابو داود رقم (٣٤٥٢) في البيوع: باب في النهي عن الغش، والترمذي في البيوع رقم (١٣١٥) باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، وابن ماجه في التجارات رقم (٢٢٢٤) باب النهي عن الغش والدارمي في البيوع والامام أحمد في المسند ٢/٥٠ عن ابن عمر وفيه ابو معشر ضعف ورواه أيضاً ٢/٢٤٢ و٤١٧ عن أبي هريرة باسناد صحيح ٣٠/٤٦٦ و٤/٤٥.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة من حديث ابي هريرة والدارمي في السير والامام أحمد في «المسند» ٢/٩٢ و١٠٦ و١٩٥.

(٣) رواه البخاري في الاحكام ١٣/١٠٠ ومسلم في الامارة رقم (١٨٢٩) وابو داود رقم (٢٩٢٨) في الخراج والامارة والفيء: باب ما يلزم الامام من حق الرعية والترمذي رقم (١٧٠٥) في الجهاد: باب ما جاء في الامام والامام أحمد في «المسند» ٢/٥، ٥٤، ٥٥، ١٠٨، ١١١، ١٢١.

[١٥٥] «ايما راع غش رعيته فهو في النار»[١] وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٥٦] «من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه الا حرم الله عليه الجنة»[٢]. أخرجه البخاري وفي لفظ: «يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة».

وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٥٧] «ما من حاكم يحكم بين الناس الا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه، فان قال ألقه ألقاه فهوى في جهنم أربعين خريفا»[٣]. رواه الامام أحمد.

وقال رسول الله ﷺ:

[١٥٨] «ويل للأمراء، ويل للعرفاء، ويل للأمناء. ليتمنين أقوام يوم القيامة ان ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يعذبون ولم يكونوا عملوا من شيء»[٤].

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» عن أنس، ورواته ثقات الا عبدالله بن ميسرة ابا ليلى، وله شواهد صحيحه عند البخاري في الاحكام ومسلم في الإيمان والدارمي في الرقاق والامام أحمد في «المسند» ٢٥/٥ عن معقل بن يسار.

(٢) رواه البخاري في الاحكام ومسلم في الإيمان.

(٣) رواه البزار عن ابن مسعود وابن ماجه رقم (٢٣١١) في الأحكام: باب التغليظ في الحيف والرشوة، وفي اسناده مجالد وهو ضعيف رواية البزار أوردها الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٩٣/٤ ورواه الامام أحمد في «المسند» ٤٣٠/١ وفيه ايضاً مجالد.

(٤) رواه الامام أحمد في «المسند» ٣٥٢/٢ وفي اسناده عباد بن أبي علي لم يوثقه الا ابن حبان وباقي رجاله ثقات، وقال المنذري في موضع رواه أحمد من طرق رواة بعضها ثقات، وفي موضع قال رواه ابن حبان والحاكم وقال: صحيح الاسناد وله شاهد انظر «مجمع الزوائد» ١٩٢/٤.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٥٩] «ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى انه لم يقض بين اثنين في تمرة قط»[١]. وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٦٠] «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه إما اطلقه عدله أو أوبقه جوره»[٢].

ومن دعاء رسول الله ﷺ انه قال:

[١٦١] «اللهم من ولي من أمر هذه الأمة شيئاً فرفق بهم فارفق به. ومن شفق عليهم فاشفق عليه»[٣]. وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٦٢] «من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره»[٤].

وقال رسول الله ﷺ:

[١٦٣] «سيكون أمراء فسقة جورة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم

---

(١) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٩٢/٤ ونسبه لأحمد وإسناده حسن وقال: رواه الطبراني.

(٢) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٠٤/٥، ٢٠٥ ونسبه لأحمد والطبراني وفيه يزيد ابن أبي ملك وثقه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات، وعن عبادة ورواه أحمد والبزار والطبراني وفيه راو لم يسم؛ وبقية احد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح وعن أبي هريرة رواه الطبراني في الاوسط والبزار ورجال البزار رجال الصحيح، وزاد (المنذري) وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد وعن أبي الدرداء عند ابن حبان رواه أحمد ٤٣١/٢ و٢٨٤/٥ والدارمي في السير.

(٣) رواه الامام احمد في «المسند» ٦٢/٦، ٩٣، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠ واسناده حسن صحيح.

(٤) رواه ابو داود رقم (٢٩٤٨) في الخراج والامارة والفيء: باب فيما يلزم الامام من أمر الرعية والحجبة عنه واسناده حسن والامام أحمد في «المسند» ٢٣٨/٥ والترمذي رقم (١٣٣٢) في الاحكام: باب ما جاء في إمام الرعية.

على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولن يرد على الحوض »[1] وقال رسول الله ﷺ:

[١٦٤] « صنفان من أمتي لن تنالهم شفاعتي: سلطان ظلوم غشوش، وغال في الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم »[2]. وقال عليه السلام:

[١٦٥] « أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر »[3]. وفي الحديث ان رسول الله ﷺ قال:

[١٦٦] « أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم. ان الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم، ثم عمهم بالبلاء »[4].

وقال رسول الله ﷺ:

[١٦٧] « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[5].

---

(١) رواه الامام أحمد في « المسند » ٢٤٣/٤ والبزار بالفاظ متقاربة من حديث كعب بن عجرة والنسائي في البيعة والترمذي في الجمعة رقم (٦٠٩) باب ما ذكر في فضل الصلاة وقال: اسناده حسن غريب.

(٢) رواه الطبراني في الكبير من حديث ابي أمامة ورجاله ثقات.

(٣) رواه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٩٧/٥ ونسبه للطبراني وفيه عطية وهو ضعيف وله شاهد عن عمر « وشر عباد الله عند الله منزلة يوم القيامة إمام جائر خرف » رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف.

(٤) رواه ابن ماجه مختصراً رقم (٤٠٠٤) في الفتن: باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واسناده ضعيف ورواه الترمذي رقم (٢١٧٠) في الفتن: باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مختصراً واسناده حسن من حديث حذيفة ورواه الاصبهاني من حديث ابن عمر واشار المنذري إلى ضعفه ورواه الديلمي عن عائشة.

(٥) رواه البخاري ٢٢١/٥ ومسلم رقم (١٧١٨) وابن ماجه في المقدمة رقم (١٤) باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه واحمد في « المسند » ٢٧٠/٦.

[١٦٨] «ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[١] وفي الحديث أيضاً:

[١٦٩] «من لا يرحم لا يُرحم»[٢].

[١٧٠] «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[٣]. وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٧١] «الإمام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»[٤]. وقال:

[١٧٢] «المقسطون على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[٥].

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال:

[١٧٣] «إياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب»[٦] رواه البخاري.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٥٣٠) في الديات: باب أيقاد المسلم بالكافر والنسائي ١٩/٨ واسناده صحيح لشواهده.

(٢) رواه البخاري ٣٥٩/١٠ في الأدب ومسلم في الفضائل (٢٣١٨) وابو داود في الادب رقم (٥٢١٨) باب في قبلة الرجل ولده والترمذي رقم (١٩١٢) واحمد في «المسند» ٢٢٨/٢.

(٣) «لا يرحم الله من لا يرحم الناس» رواه البخاري في التوحيد ٣٠٣/١٣ ومسلم في الفضائل رقم (٢٣١٩) والترمذي رقم (١٩٨٧) في البر باب ما جاء في رحمة الناس، واحمد ٤٠/٣ و٣٦٠/٤ في «المسند».

(٤) رواه البخاري في الاذان والزكاة والرقاق والحدود، ومسلم في الزكاة، والترمذي في الزهد، والنسائي في القضاة، و«الموطأ» في الشعر والامام احمد في «المسند» ٤٣٩/٢ ضمن حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله.

(٥) رواه مسلم في الامارة والنسائي في آداب القضاة.

(٦) رواه البخاري في المظالم. والامام أحمد في «المسند» ١٦٠/٢.

وقال عليه الصلاة والسلام:

[١٧٤] «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: فذكر منهم الملك الكذاب»[١]، وقال:

[١٧٥] «انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة»[٢] رواه البخاري وفيه أيضاً:

[١٧٦] «وانا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه»[٣].

وقال رسول الله ﷺ:

[١٧٧] «يا كعب بن عجرة اعاذك الله من امارة السفهاء، أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي»[٤] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

[١٧٨] «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار»[٥].

وقال:

[١٧٩] «ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة»[٦].

---

(١) رواه مسلم في الايمان والامام أحمد في المسند ٤٨٠/٢، ٤٣٣.

(٢) رواه مسلم في الامارة والبخاري في الاحكام والنسائي في البيعة والقضاة والامام أحمد في المسند ٤٤٨/٢ وله شاهد عند أحمد ١٧٣/٥.

(٣) رواه البخاري في الأحكام ومسلم في الامارة.

(٤) رواه الامام أحمد في «المسند» ٣٢١/٣ وهو مطولاً واسناده صحيح ورواه في «مجمع الزوائد» ٢٤٧/٥ ونسبه أيضاً للبزار.

(٥) رواه أبو داود في الاقضية رقم (٣٥٧٥) باب في القاضي يخطىء واسناده ضعيف.

(٦) وتمامه «فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» رواه البخاري في الاحكام والنسائي في البيعة والقضاة والامام أحمد في «المسند» ٤٤٨/٢ من حديث ابي هريرة وهو شاهد للحديث رقم (١٧٥).

وقال عمر لأبي ذر رضي الله عنهما: حدثني بحديث سمعته من رسول الله، فقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[١٨٠] «**يجاء بالوالي يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه، فان كان مطيعاً لله في عمله مضى به، وان كان عاصياً لله في عمله انخرق به الجسر فهوى به في جهنم مقدار خمسين عاماً**»(١). فقال عمر: من يطلب العمل بها يا أبا ذر؟ قال: من سلت لله أنفه وألصق خده بالتراب.

وقال عمرو بن المهاجر، قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم قل: يا عمر ما تصنع.

يا راضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم، السجن جهنم والحق الحاكم، ولا حجة لك فيما تخاصم، القبر مهول فتذكر حبسك، والحساب طويل فخلص نفسك، والعمر كيوم فبادر شمسك، تفرح بمالك والكسب خبيث، وتمرح بآمالك والسير حثيث. ان الظلم لا يترك منه قدر أنملة. فاذا رأيت ظالما قد سطا فنم له، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة أي قروح في الجسد.

---

١) رواه الهيثمي من طريقين في «مجمع الزوائد» ٢٠٦/٥ وقال رواه الطبراني وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك وفي الطريق الثاني قال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه، وقال المنذري: روى نحوه ابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة ان بشر بن عاصم الجشمي حدث عمر فذكره، وان عمر سأل سلمان وابا ذر فصدقاه ضعفه المنذري.

الكبيرة السابعة عشر: الكبر

الكبر والفخر والخيلاء والتيه - قال الله تعالى: ﴿وقالَ مُوسَى إنّي عُذْتُ بربِّي وَربِّكُمْ من كلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بيَوْم الحساب﴾ (سورة غافر آية ٢٧). وقال الله تعالى: ﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ المسْتَكْبرينَ﴾ (سورة النحل آية ٢٣).

وقال رسول الله ﷺ:

[١٨١] «بينما رجل يتبختر في مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلل فيها إلى يوم القيامة»(١) وقال عليه الصلاة والسلام:

[١٨٢] «يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان»(٢) وقال بعض السلف: «أول ذنب عصي الله به الكبر» قال الله تعالى:

﴿وإذْ قُلْنَـا لِلْمَـلاَئِكَـة اسْجُـدُوا لآدَمَ فَسَجَـدوا إلاَّ إبْليسَ أبَـى واسْتَكْبَرَ وَكَانَ منَ الكافِرينَ﴾ (سورة البقرة آية ٣٤).

فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل ابليس.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

[١٨٣] «لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال ذرة من كبر»(٣) رواه

---

(١) رواه مسلم في اللباس والدارمي في المقدمة والامام أحمد في «المسند» ٢/٢٦٧ و٣١٥ و٤١٣.

(٢) رواه الامام احمد في «المسند» ٢/١٧٩ واسناده حسن ورواه الترمذي في صفة القيامة: رقم (٢٦١٠) باب رقم (١٥).

(٣) رواه ابن ماجه رقم ٥٩ في المقدمة رقم (٤١٧٣) في الزهد، والترمذي في البر والصلة رقم (٢٠٦٩): باب ما جاء في الكبر ورواه مسلم في الايمان والامام أحمد ١/٤١٦ و٤٥٨ و٣/١١٦.

مسلم، وقال الله تعالى: ﴿ان الله لا يحب كل مختال فخور﴾ (سورة لقمان آية ١٨) وقال صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى:

[١٨٤] «**العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما القيته في النار**»[١] رواه مسلم المنازعة: المجاذبة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

[١٨٥] «**اختصمت الجنة والنار، فقالت الجنة: ما لي ما يدخلني إلا ضعفاء وسقطهم؟ وقالت النار أوثرت بالجبارين والمتكبرين**»[٢] الحديث، وقال الله تعالى: ﴿**ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً. ان الله لا يحب كل مختال فخور**﴾ (سورة لقمان آية ١٨). أي لا تمل خدك معرضاً متكبراً. والمرح: التبختر.

وقال سلمة بن الأكوع:

[١٨٦] «أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله، قال: **كل بيمينك**. قال: لا أستطيع، فقال: **لا استطعت، ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه بعد**»[٣] رواه مسلم. وقال عليه الصلاة والسلام:

[١٨٧] «**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**»[٤]: العتل: الغليظ الجافي والجواظ: الجموع المنوع، وقيل الضخم المختال في مشيته، وقيل البطين.

---

(١) رواه مسلم في البرّ.

(٢) رواه البخاري في التوحيد والامام أحمد في «المسند» ٥٠٧/٢ وتمامه «فقضى الله بينهما أنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء وانك النار عذابي أعذب بك من اشاء ولكليكما ملؤها».

(٣) رواه مسلم في الأشربة والدارمي في الأطعمة.

(٤) رواه البخاري ٥٠٧/٨ ومسلم رقم (٢٨٥٣) والترمذي في صفة جهنم رقم (٢٧٣٢) باب رقم (١١).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[١٨٨] «**ما من رجل يختال في مشيته ويتعاظم في نفسه إلا لقي الله وهو عليه غضبان**»(١) وصح من حديث أبي هريرة:

[١٨٩] أول ثلاثة يدخلون النار: **أمير مسلط أي ظالم، وغني لا يؤدي الزكاة، وفقير فخور**(٢). وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ قال:

[١٩٠] «**ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»(٣) والمسبل هو الذي يسبل ازاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه لأنه صلى الله عليه وسلم قال:

[١٩١] «**ما أسفل من الكعبين من الازار فهو في النار**»(٤).

وأشر الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم في نفسه بفضيلته فان هذا لم ينفعه علمه فان من طلب العلم للآخرة كسره علمه

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ورواته محتج بهم في الصحيح والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

(٣) رواه مسلم رقم (١٠٦) في الايمان، والنسائي، ٢٤٥/٧ وابن ماجه رقم (٢٢٠٨) في التجارات: باب ما جاء في كراهية الايمان في الشراء والبيع وأبو داود رقم (٤٠٨٧) في اللباس: باب ما جاء في إسبال الازار، والترمذي رقم (١٢١١) في البيوع: باب ما جاء فيمن حلف على سلعة كاذباً والامام أحمد في «المسند» ١٤٨/٥ و١٥٨ و١٦٢ و١٦٨ و١٧٨.

(٤) رواه البخاري في اللباس من حديث ابي هريرة و«الموطأ» ٩١٤/٢ وابن ماجه في اللباس رقم (٣٥٧٣) باب موضع الازار أين هو، والامام أحمد في «المسند» ٩٦/٢ وابو داود رقم (٤٠٩٣) في اللباس: باب في قدر موضع الازار.

وخشع قلبه واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها، فان غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته. ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الكبيرة الثامنة عشرة: شهادة الزور

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (سورة الفرقان آية ٧٢) وفي الأثر.

[١٩٢] **عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين**[١]، وقال الله تعالى: ﴿واجْتَنِبُوا قَولَ الزُّورِ﴾ (سورة الحج آية ٣٠).

وفي الحديث.

[١٩٣] «**لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار**»[٢]. قال المصنف رحمه الله تعالى: شاهد الزور قد ارتكب عظائم (أحدها) الكذب والافتراء. قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِيَ مَنْ هُوَ مُسرف كَذَّابٌ﴾ (سورة غافر آية ٢٨).

---

(١) رواه ابن ماجه في الاحكام رقم (٢٣٧٢) باب شهادة الزور وابو داود رقم (٣٥٩٩) في الأقضية: باب شهادة الزور واسنادها ضعيف ورواه الترمذي في الشهادات واسناده ضعيف ومنقطع وله شاهد باسناد حسن عند الطبراني في «الكبير» موقوفاً على ابن مسعود.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٢٣٧٣) في الاحكام: باب شهادة الزور قال في الزوائد: في إسناده محمد بن الفرات متفق على ضعفه. وكذبه الامام أحمد، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث ابن عمر.

وفي الحديث[1] يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب.

(وثانيها) إنه ظلم الذي شهد عليه حتى اخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه.

(وثالثها): إنه ظلم الذي شهد له بأن ساق اليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار، وقال صلى الله عليه وسلم:

[١٩٤] **«من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من نار»**[2].

(ورابعها): أنه اباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض. قال رسول الله ﷺ:

«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الاشراك بالله، وعقوق الوالدين، الا وقول الزور، الا وشهادة الزور.. فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» رواه البخاري[3] فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء.

الكبيرة التاسعة عشر: شرب الخمر

قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إِنَّما الخَمرُ والْمَيْسرُ والأنصابُ والْأَزْلَام رِجْسٌ من عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لعَلَّكُمْ تُفْلِحُون. إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أن يُوقع بينْكُم العَداوَةَ والبَغْضاءَ في الخَمْرِ والمَيْسر ويَصُدكم عَنْ ذكْر اللهِ وعَن الصَّلاَةِ فهلْ أنتمْ مُنْتَهونَ﴾** (سورة المائدة الآيتين ٩٠-٩١).

---

(١) تقدم في الكبيرة الرابعة عشرة تخريجه (رقم الحديث ١٥٠).

(٢) رواه البخاري ٥/٢١٢ ومسلم (١٧١٣) و«الموطأ» ٢/٧١٩، والنسائي ٨/٢٣٣ وابو داود رقم (٣٥٨٣) في الأقضية: باب في قضاء القاضي إذا أخطأ والترمذي رقم (١٣٣٩) في الاحكام: باب ما جاء في التشديد على من يُقضى له بشيء له أن يأخذه.

(٣) ومسلم والترمذي من حديث ابي بكر مرّ ذكره رقم ٣.

فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها، وقال النبي ﷺ:

[١٩٥] «**اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث**»[١] فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله. قال الله تعالى:

﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ (سورة النساء آية ٤).

وعن ابن عباس[٢] رضي الله عنهما قال: لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا: حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك.

وذهب[٣] عبد الله بن عمرو الى أن الخمر أكبر الكبائر، وهي بلا ريب ام الخبائث وقد لعن شاربها في غير حديث[٤]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

[١٩٦] «**كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة**» رواه مسلم[٥]، وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ «فانها مفتاح كل شر» وقال صحيح الاسناد وفي حديث عثمان مرفوعاً «**اجتنبوا أم الخبائث فانه كان رجل ممن كان قبلكم**» الخ فذكر قصة - رواه ابن حبان والبيهقي مرفوعاً وموقوفاً وذكر أنه المحفوظ (منذري).

(٢) رواه الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه الطبراني مع قصة باسناد صحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

(٤) من حديث ابن عمر عن أبي داود (٣٦٧٤) وابن ماجه (٣٣٨١) حديث انس عن ابن ماجه والترمذي (١٢٩٥) وحديث ابن عباس عن ابي داود واحمد، وابن حبان والحاكم.

(٥) رواه البخاري في الأشربة ٢٥/١٠ ومسلم رقم (٢٠٠٣) و«الموطأ» في الأشربة ٨٤٦/٢ والنسائي في الأشربة ٢٩٦/٨ والترمذي رقم (١٨٦٢) وابو داود في الأشربة رقم (٣٦٧٩): باب النهي عن المسكر وابن ماجه رقم (٣٣٧٣).

« ان على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال. قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار أو عصارة أهل النار »(١).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:

« من شرب الخمرة في الدنيا يحرمها في الآخرة »(٢).

ذكر ان مدمن الخمر كعابد وثن:

رواه الامام أحمد في مسنده من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال:

[١٩٧] « مدمن الخمر كعابد وثن »(٣).

ذكر ان مدمن الخمر اذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة:

روى النسائي من حديث ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال:

[١٩٨] « لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر » وفي رواية « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق لوالديه، والديوث وهو الذي يقر السوء في أهله »(٤).

---

(١) مكرر حديث رقم [١٠٧].

(٢) مكرر حديث رقم [١٩٦].

(٣) رواه ابن ماجه في الأشربة رقم (٣٣٧٥) باب مدمن الخمر وفي اسناده محمد بن سليمان ضعفه النسائي وابن عدي وقواه ابن حبان. وقال ابو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به وباقي رجال الاسناد ثقات. ورواه الامام أحمد في « المسند » ١/٢٧٢ وفيه انقطاع، ورواه الطبراني وفيه يزيد بن فاختة ولم يعرفه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٥/٧٤ وبنفس « المجمع » ٥/٧٠ ونسبه للبزار وقال: وفيه فطر بن خليفة ثقة وفيه كلام لا يضر.

(٤) ورواه الامام أحمد في مسند ابن عمر والبزار والحاكم وقال صحيح الاسناد ورواية الامام أحمد في « المسند » ٢/٦٩ واسناده ضعيف.

ذكر ان السكران لا يقبل الله منه حسنة:

روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال:

[١٩٩] «ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة الى السماء: العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها زوجها، والسكران حتى يصحو»[١].

والخمر ما خامر العقل أي غطاه سواء كان رطباً أو يابساً أو مأكولاً أو مشروباً، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

[٢٠٠] «لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة ما دام في جسده شيء منها»[٢]. وفي رواية:

[٢٠١] «من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئاً، ومن سكر منها لم تقبل له صلاة اربعين صباحاً، فإن تاب ثم عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من مهل جهنم»[٣]. وقال رسول الله ﷺ:

[٢٠٢] «من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه أربعين ليلة، ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أربعين ليلة، فإن مات فيها مات كعابد وثن، وكان حقاً على الله أن يسقيه من

---

(١) رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي والطبراني في الاوسط.
(٢) ذكره في «اللآلي المصنوعة» عن عبد بن حميد بسنده إلى ابي سعيد.
(٣) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/٦٩ ونسبه للنسائي مختصراً واحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح خلا نافع بن عاصم وهو ثقة. وروي بالفاظ أخرى، ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم مختصراً وكذا الترمذي وحسنه.

طينة الخبال. قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: **عصارة أهل النار القيح والدم »**[1].

وقال عبد الله بن أبي أوفى: من مات مدمناً للخمر مات كعابد اللات والعزى. قيل: أرأيت مدمن الخمر هو الذي لا يستفيق من شربها؟ قال: لا ولكن هو الذي يشربها اذا وجدها ولو بعد سنين.

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ:

« لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد »[2]. أخرجه البخاري وفي الحديث:

« من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه »[3] وفيه: **« من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً، ومن شربها مصبحاً أمسى مشركاً »**. وفيه عن النبي ﷺ أنه قال:

[٢٠٣] « إن رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن »[4]. وروى الامام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه الهيثمي ونسبه في « مجمع الزوائد » ٧٠/٥ للبزار وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف، وله شواهد حسنة مثل الذي قبله وما رواه البزار قال: « شارب الخمر كعابد وثن » وفيه فطر بن خليفة وهو ثقة وفيه كلام لا يضر.

(٢) مر ذكره رقم ٩٩.

(٣) مكرر حديث [١٠١].

(٤) رواه الطبراني في الصغير من حديث ابي هريرة واشار المنذري الى ضعفه وروى الهيثمي معناه ٧٤/٥ « مجمع الزوائد » ونسبه لأحمد والبزار وفيه عطية وهو ضعيف وقد وثق.

[٢٠٤] «لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم، ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجري من فروج المومسات- أي الزانيات- يؤذي أهل النار ريح فروجهن»(١).

وقال رسول الله ﷺ:

[٢٠٥] «ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين، بعثني لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية، وأقسم ربي تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم، ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا سقيته إياها في حظائر القدس مع خير الندماء»(٢).

ذكر من لعن في الخمر:

روى أبو داود إن رسول الله ﷺ قال:

[٢٠٦] «لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها»(٣). ورواه الامام أحمد من حديث ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/٧٤ وقال: رواه أحمد وابو يعلى والطبراني ورجال أحمد وابي يعلى ثقات ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما.

(٢) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/٦٩ ونسبه لأحمد والطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف.

(٣) رواهأبو داودرقم (٣٦٧٤)في الأشربة:باب العنبيعصر للخمر ،وإسناده حسنوابن ماجه رقم (٣٣٨٠) في الأشربة باب لعنت الخمر على عشرة أوجه ورواه رقم (٣٣٨١) عن أنس والترمذي عن أنس رقم (١٢٩٥) في البيوع، باب ما جاء في بيع الخمر والنهي عنه وقال: حديث غريب وإسناده حسن وروي نحو هذا عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر. ورواه الامام أحمد في «المسند» ٢/٢٥ و٧١ و٩٧.

[٢٠٧] «أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها ومستقيها»[1].

ذكر النهي عن عيادة شربة الخمر اذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (لا تعودوا شرّاب الخمر إذا مرضوا). قال البخاري، وقال ابن عمر: لا تسلموا على شربة الخمر، وقال صلى الله عليه وسلم:

[٢٠٨] «لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم، وان شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه، مدلعاً لسانه على صدره، يسيل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه انه شارب خمر»[2].

قال بعض العلماء: إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون، قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله: لعن الله الخمور وشاربها الحديث فإن اشتراها وعصرها كان ملعوناً مرتين، وإن سقاها لغيره كان ملعوناً ثلاث مرات، فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه.

ذكر أن الخمر لا يحل التداوي بها:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: اشتكت ابنة لي فنبذت لها في كوز، فدخل علي رسول الله ﷺ وهو يغلي، فقال:

---

(١) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧٣/٥ ونسبه للامام أحمد والطبراني ورجاله ثقات وقال المنذري: ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح.

(٢) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات عن ابن عدي بسنده إلى ابن عمر وقال موضوع فيه ضعفاء ليث وجعفر بن الحارث ابو الأشهب وابو مطيع، وله طرق أخرى لا ترفعه عن الحضيض.

[٢٠٩] ما هذا يا أم سلمة؟ فذكرت له اني اداوي به ابنتي فقال رسول الله ﷺ: «ان الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها»(١)، ذكر أحاديث متفرقة رويت في الخمر:

من ذلك ما ذكره ابو نعيم في «الحلية» عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: أتى النبي ﷺ بنبيذ في جرة له نشيش فقال:

[٢١٠] «اضربوا بهذا الحائط فان هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر»(٢).

وقال رسول الله ﷺ:

[٢١١] «من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدي الله تبارك وتعالى فيخاصمه، ومن خاصمه القرآن خصم. فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة»(٣) وجاء عن النبي ﷺ:

«ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون، يقول أحدهم للآخر: يا فلان لا جزاك الله عني خيراً فانت الذي أوردتني هذا المورد، ويقول له الآخر مثل ذلك»، وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

[٢١٢] «من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الاساودة شربة يتساقط لحم وجهه في الاناء قبل أن يشربها، فاذا شربها تساقط

---

(١) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم في الأشربة والدارمي في الأشربة ورواه البيهقي وابو يعلى وشاهده عن ابن مسعود عن أحمد والحاكم.

(٢) رواه ابو داود رقم (٣٧١٦) في الأشربة: باب في النبيذ إذا غلى والنسائي ٣٠١/٨ وفي إسناده خالد بن عبدالله بن حسين لم يوثقه الا ابن حبان وباقي رجاله ثقات وابن ماجه رقم (٣٤٠٩) واسناده ضعيف.

(٣) لم أجده.

لحمه وجلده يتأذى به أهل النار، الا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء في اثمها، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوم ولا حجاً حتى يتوبوا، فان ماتوا قبل التوبة كان حقاً على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام»[1].

ويدخل في قوله صلى الله عليه وسلم: **كل مسكر خمر**: الحشيشة كما سيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى. روي «ان شربة الخمر إذا اتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لاحرقت السماوات من حرها» نعوذ بالله منها.

ذكر الآثار عن السلف في الخمر:

ذكر ابن مسعود رضي الله عنه قال: اذا مات شارب الخمر فادفنوه، ثم اصلبوه على خشبة، ثم انبشوا عنه قبره فان لم تروا وجهه مصروفاً عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوباً. وعن الفضيل بن عياض انه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها، فكررها عليه فقال: لا أقولها وانا بريء منها، فخرج الفضيل من عنده وهو يبكي، ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب به إلى النار، فقال له: يا مسكين بم نزعت منك المعرفة؟ فقال: يا استاذ كان بي علة فأتيت بعض الأطباء فقال لي: تشرب في كل سنة قدحاً من الخمر وان لم تفعل تبقى بك علتك، فكنت اشربها في كل سنة لأجل التداوي! فهذا حال من يشربها للتداوي فكيف حال من يشربها لغير ذلك؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء.

---

(١) له شاهد من حديث رقم (٢٠٢).

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال: كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتاً مصروفين عن القبلة، فسألت اهليهم عنهم فقالوا: كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة، وقال بعض الصالحين: مات لي ولد صغير، فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه. فقلت: يا ولدي دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك؟ فقال: يا ابتي دفن إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا، فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل الا شاب رأسه من شدة زفرتها، نعوذ بالله منها، ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب في الآخرة.

فالواجب على العبد ان يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشر حالة، فيلقى في النار، نعوذ بالله منها.

(فصل): والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يجد شاربها، كما يجد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر، من جهة انها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد. والخمر أخبث من جهة انها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين في حدها، ورأى أن أكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاماً، وليس كذلك بل اكلتها ينشون ويشتهونها كشراب الخمر واكثر، حتى لا يصبروا عنها وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها، مع ما فيها من الدياثة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك. لكن لما كانت جامدة مطعومة - ليست شراباً - تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الامام أحمد وغيره، فقيل: هي نجسة كالخمر المشروبة، وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل: لا، لجمودها، وقيل يفرق بين جامدها ومائعها، وبكل حال: فهي داخلة فيما

حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى، قال أبو موسى: يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعها باليمن «البتع» وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، و«المزر» وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد قال: وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه، فقال صلى الله عليه وسلم:

[٢١٣] «**كل مسكر حرام**»[1] رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم:

[٢١٤] «**ما اسكر كثيره فقليله حرام**»[2]، ولم يفرق صلى الله عليه وسلم بين نوع ونوع لكونه مأكولاً أو مشروباً، على أن الخمر قد يصطنع بها يعني الخبز، وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب، والخمر يشرب ويؤكل، والحشيشة تشرب وتؤكل، وانما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضي وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الاسلام وقد قيل في وصفها شعراً:

فآكلها وزارعها حلالاً ... فتلك على الشقي مصيبتان

فوالله ما فرح ابليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفس

---

(١) رواه البخاري في الوضوء والأشربة ١٠/٢٥ ومسلم في الأشربة (٢٠٠٣) وابو داود في الأشربة رقم (٣٦٧٩) باب النهي عن المسكر والموطأ في الأشربة ٨٤٦/٢ والترمذي في الأشربة (١٨٦٢) والنسائي ٢٩٦/٨ والدارمي في الأشربة والامام أحمد في «المسند» ٣٦/٦، ٩٧، ١٩٠ و٢٢٦ وابن ماجه في الأشربة (٣٣٨٦) باب كل مسكر حرام.

(٢) رواه ابن ماجه في الأشربة رقم (٣٣٩٣) عن جابر و(٣٣٩٤) عن عبدالله بن عمر باب ما أسكر كثيره فقليله حرام وابو داود رقم (٣٦٨١) في الأشربة باب النهي عن المسكر والترمذي وحسنه رقم (١٨٦٦) ورواه النسائي في الأشربة والدارمي في الأشربة والامام أحمد في «المسند» ٩١/٢، ١٦٧، ١٧٩ و٣٤٣/٣.

الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها:

قل لمن يأكل الحشيشة جهلاً عشت في أكلها بأقبح عيشه
قيمـــة المرء جوهر فلماذا يا أخا الجهل بعته بحشيشه

(حكاية):

عن عبد الملك بن مروان: ان شاباً جاء اليه باكياً حزيناً فقال: يا أمير المؤمنين اني ارتكبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ قال وما ذنبك؟ قال: ذنبي عظيم. قال: وما هو فتب إلى الله تعالى فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. قال: يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أموراً عجيبة. قال: وما رأيت؟ قال: يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبراً فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه، وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول في القبر: ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة؟ فقلت: لماذا حول؟ قال: لأنه كان مستخفاً بالصلاة. هذا جزاء مثله. ثم نبشت قبراً آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيراً وقد شد بالسلاسل والأغلال في عنقه، فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لي: ألا تسأل عن عمله، ولماذا يعذب؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان يشرب الخمر في الدنيا ومات من غير توبة. والثالث يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار واخرج لسانه من قفاه، فخفت ورجعت، وأردت الخروج فنوديت: ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلي؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان لا يتحرز من البول، وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله. والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد اشتعل ناراً فخفت منه وأردت الخروج، فقيل: ألا تسأل عنه وعن حاله؟ فقلت: وما حاله؟ فقال: كان تاركاً للصلاة. والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع، والميت نائم على سرير، وقد أشرق

نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتني منه هيبة، وأردت الخروج فقيل لي: هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة؟. فقلت: لماذا أكرم؟ فقيل لي: لأنه كان شاباً طائعاً نشأ في طاعة الله عز وجل وعبادته فقال عبد الملك عند ذلك: ان في هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين. فالواجب على المبتلي بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة، جعلنا الله واياكم من الطائعين، وجنبنا أفعال الفاسقين، انه جواد كريم.

الكبيرة العشرون: القمار

قال الله تعالى: ﴿**يَأيُّها الَّذِينَ آمنُوا إنَّما الخَمْرُ والمَيْسرُ والأنصابُ والأزلام رِجْسٌ من عَمل الشَّيطانِ فَاجْتَنِبوهُ لعلَّكمْ تُفْلحُون. إنَّما يُريدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقع بينَكم العَداوَةَ والبغْضاءَ في الخمر والمَيْسر ويَصُدكم عَنْ ذكْر اللهِ وعن الصَّلاةِ فهلْ أنتم مُنْتَهونَ**﴾ (سورة المائدة الآيتين ٩٠-٩١).

والميسر هو القمار بأي نوع كان: نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غير ذلك، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى الله عنه بقوله: ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾، وداخل في قول النبي ﷺ:

[٢١٥] «**ان رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**»(١)، وفي صحيح البخاري ان رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه البخاري في الخمس ورواه الامام أحمد في «المسند» ٣٦٤/٦ و٣٧٨ و٤١٠.

[٢١٦] «من قال لصاحبه تعالى أقامرك فليتصدق، فاذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل؟»[١]!.

(فصل): اختلف العلماء في النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن، اتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله ﷺ انه قال:

[٢١٧] «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه»[٢] اخرجه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٢١٨] «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»[٣]. وقال ابن عمر رضي الله عنه: اللعب بالنرد قمار كالدهن بودك الخنزير.

قال: وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها، سواء كان برهن أو بغيره. أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو أيضاً قمار حرام عند أكثر العلماء، وحكي اباحته في رواية عن الشافعي: إذا كان في خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة في وقتها. وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم

---

(١) رواه البخاري في التفسير والأدب، والاستئذان، والايمان، وانظر البخاري ٤٦٢/١١ ومسلم في الايمان رقم (١٦٤٧) والنسائي في الايمان ٧/٧ والترمذي (١٥٤٥) في النذور باب رقم (١٧) وابو داود رقم (٣٢٤٧) في الايمان والنذور: باب الحلف بالانداد والامام أحمد في «المسند» ٣٠٩/٢.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٢٦٠) وابو داود في الأدب رقم (٤٩٣٩) باب في النهي عن اللعب بالنرد وابن ماجه رقم (٣٧٦٣) في الأدب: باب اللعب بالنرد والامام أحمد في «المسند» ٣٥٢/٥، ٣٥٧، ٣٦١.

(٣) رواه ابو داود رقم (٤٩٣٨) في الأدب: باب النهي عن اللعب بالنرد، وابن ماجه رقم (٣٧٦٢) في الأدب باب اللعب بالنرد ورواه «الموطأ» ٩٥٨/٢ والامام أحمد في«المسند»٣٩٤/٤ و ٣٩٧ و٤٠٠ وقال ابو زرعة: رواية سعيد بن ابي هند عن ابي موسى مرسلة، ورجح وصله في تهذيب التهذيب ابن حجر.

جائز؟ فأجاب رحمه الله تعالى: هو حرام عند أكثر أهل العلم. وسئل أيضاً رحمه الله عن لعب الشطرنج هل يجوز أم لا، وهل يأثم اللاعب بها أم لا؟ أجاب رحمه الله: ان فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام، وإلا فمكروه عند الشافعي، وحرام عند غيره، وهذا كلام النووي في فتاويه.

والدليل على تحريمه على قول الاكثرين في قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنْزِيرِ﴾ (سورة المائدة آية ٣) إلى قوله: ﴿وان تستقسموا بالازلام﴾ قال سفيان ووكيع بن الجراح: هي الشطرنج، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الشطرنج ميسر الأعاجم، ومرّ رضي الله عنه على قوم يلعبون بها فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفى خير له من أن يمسها. ثم قال: والله لغير هذا خلقتم. وقال أيضاً رضي الله عنه: صاحب الشطرنج أكذب الناس. يقول أحدهم: قتلت، وما قتل. ومات وما مات. وقال ابو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: لا يلعب بالشطرنج إلا خاطىء. وقيل لاسحاق بن راهويه، أترى في اللعب بالشطرنج بأس؟ فقال: البأس كله فيه. فقيل له: ان أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب، فقال: هو فجور. وسئل محمد بن كعب القرظي عن اللعب بالشطرنج فقال: أدني ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة أو قال يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل.

وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الشطرنج، فقال: هي أشرّ من النرد وتقدم الكلام عن تحريمه. وسئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال: الشطرنج من النرد. بلغنا عن ابن عباس انه ولي مالاً ليتيم فوجدها في تركة والد اليتيم فأحرقها. ولو كان اللعب بها حلالاً لما جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم، ولكن لما كان اللعب بها حراماً

أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد في مال اليتيم وجبت اراقته كذلك الشطرنج. وهذا مذهب حبر الأمة رضي الله عنه. وقيل لابراهيم النخعي: ما تقول في اللعب بالشطرنج؟ فقال: انها ملعونة.

وروى[1] ابو بكر الأثرم في جامعه عن واثلة بن الاسقع عن رسول الله ﷺ. قال:

«ان لله في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب -». يعني لاعب الشطرنج لأنه يقول شاه مات. وروى ابو بكر الآجري باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال:

«إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم، فانهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحدق بهم، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده، فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت، ولأنهم يكذبون عليها فيقولون: شاه مات». وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال:

[٢١٩] «أشد الناس عذاباً يوم القيامة صاحب الشاه يعني صاحب الشطرنج، ألا تراه يقول: قتلته، والله مات، والله افترى، وكذب على الله»[2].

---

(١) احمد بن محمد بن هانيء ابو بكر الاثرم البغدادي صاحب الامام احمد المتوفى سنة ٢٧٣ هـ.

(٢) قال المنذري في الترغيب: وقد ورد ذكر الشطرنج في احاديث لا أعلم لشيء منها اسناداً صحيحاً ولا حسنا والله اعلم.

وقال مجاهد: ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له: قل لا إله إلا الله فقال: شاهك ثم مات، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب، فقال عوض كلمة الاخلاص: شاهك. وهذا كما جاء في انسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر انه حين حضره الموت فجاءه انسان يلقنه الشهادة فقال له: اشرب واسقني ثم مات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وهذا كما جاء في حديث مروي:

[٢٢٠] يموت كل انسان على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه[١]. فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لا مبدلين ولا مغيرين ولا ضالين ولا زائغين انه جواد كريم.

الكبيرة الحادية والعشرون قذف المحصنات

قال الله تعالى: ﴿إن الذين يَرْمُونَ المُحصَنات الغَافلات المُؤمنَات لُعنُوا في الدُّنيا والآخرة ولَهم عَذَابٌ عَظيمٌ. يَوْمَ تَشْهَدُ عليهم أَلسِنَتُهم وأيْديهم وأرْجُلُهُمْ بما كَانُوا يعملون﴾ (سورة النور آية ٢٣) وقال الله تعالى: ﴿والذينَ يَرْمُونَ المُحصَنات ثم لَم يَأْتُوا بأَرْبَعَة شُهدَاء فَاْجلدُوهُمْ ثمانين جَلْدَةً ولا تَقْبَلوا لهم شَهادَةً أبداً وأولئك هم الفاسِقُون﴾ (سورة النور آية ٤).

بين الله تعالى في الآية ان من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة انه ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم، وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة وتسقط شهادته وان كان عدلاً. وفي الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال:

---

(١) روى مسلم في الجنّة آخره، بلفظ «يبعث كل عبد على ما مات عليه» ذكره في أسنى المطالب.

«اجتنبوا السبع الموبقات»[١] فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات والقذف ان يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة: يا زانية، أو يا باغية، أو يا قحبة. أو يقول لزوجها: يا زوج القحبة، أو يقول لولدها: يا ولد الزانية أو يا ابن القحبة. أو يقول لبنتها يا بنت الزانية أو يا بنت القحبة. فان القحبة عبارة عن الزانية، فاذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل: يا زاني، أو قال لصبي حر يا علق، أو يا منكوح، وجب عليه الحد ثمانون جلدة، إلا أن يقيم بينة بذلك، والبينة كما قال الله: أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل، فان لم يقم بينة جلد اذا طالبته بذلك التي قذفها أو اذا طالبه بذلك الذي قذفه، وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه: يا زاني أو لجاريته يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة، لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال:

[٢٢١] **«من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة الا ان يكون كما قال»**[٢]. وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبة في الدنيا والآخرة ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال:

[٢٢٢] **ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل[٣] بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»**. فقال له معاذ بن جبل: يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: **«ثكلتك[٤] امك يا معاذ، وهل**

---

(١) مر ذكره.

(٢) رواه البخاري في الحدود جـ ١٦٤/١٢ ومسلم في الايمان رقم (١٦٦٠) وابو داود في الأدب رقم (٥١٦٥) باب في حق المملوك، والترمذي في البر رقم (١٩٤٠) والامام أحمد في «المسند» ٤٣١/٢ و٥٠٠.

(٣) يزل: يهوى.

(٤) أي فقدتك ولا يقصد معناه وانما يجري على لسانهم عفواً.

يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم ؟ »[1] وفي الحديث:

[٢٢٣] « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »[2]. وقال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد﴾ وقال عقبة بن عامر: يا رسول الله ما النجاة؟ قال:

[٢٢٤] « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك وان أبعد الناس إلى الله القلب القاسي »[3].

وقال صلى الله عليه وسلم[4]:

[٢٢٥] « ان ابغض الناس إلى الله الفاحش البذيء الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام »[5] وقانا الله واياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه انه جواد كريم.

---

(١) رواه البخاري في الرقاق، ومسلم في الزهد، والترمذي في الزهد رقم (٢٤١٦) باب ما جاء من تكلم بالكلمة ليضحك بها الناس و« الموطأ » في الكلام والامام أحمد في « المسند » ٢٣٦/٢ و٣٥٥ و٣٧٩ و ٤٠٢ و٥٣٣ و٨/٣ وهو في « المسند » أيضاً ٤٦٩/٣.

(٢) رواه ابن ماجه في الأدب رقم (٣٩٧١) باب في كف اللسان في الفتنة، والبخاري في الأدب ومسلم في الايمان رقم (٤٨) والامام أحمد في « المسند » ٢٦٧/٢ و٢٦٩.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٥١٧) وابن ابي الدنيا كلهم من طريق عبيد الله بن زحر عن علي ابن يزيد عن القاسم عن ابي أمامة وحسنه الترمذي وهو حديث ضعيف لضعف الرواة.

(٤) في معناه حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: إياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش رواه النسائي في سننه الكبرى في التفسير منها، والحاكم وصححه، وكذلك حديثه « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها » رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم، وحديث ابن مسعود مرفوعاً « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي » رواه الترمذي باسناد صحيح (العراقي).

(٥) (فائدة) قال المؤلف في الصغرى: وأما من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد نزول براءتها من السماء فهو كافر مكذب للقرآن فيقتل كفراً.

الكبيرة الثانية والعشرون: الغلول من الغنيمة

وهي من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الله لاَ يحبُّ الخَائِنِينَ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ومَا كانَ لنبي أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يأت بمَا غَلَّ يَوْمَ القيامَةِ﴾ (سورة آل عمران آية ١٦١).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال:

[٢٢٦] «لا ألفين[١] أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء[٢] يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة[٣] فيقول: يا رسول الله اغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء[٤] يقول: يارسول الله أغثني، فاقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد ابلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع يخفق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك»[٥]. أخرج هذا الحديث مسلم.

---

(١) أي لا أجدن.

(٢) الرغاء: صوت البعير.

(٣) الحمحمة: صوت الفرس.

(٤) الثغاء: صوت الشاة.

(٥) رواه البخاري في الجهاد ومسلم في الامارة والامام أحمد في «المسند» ٤٢٦/٢.

(قوله): على رقبته رقاع تخفق - أي ثياب وقماش، (قوله): على رقبته صامت - أي من ذهب أو فضة، فمن أخذ شيئاً من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين، أو من بيت المال بغير اذن الامام، أو من الزكاة التي تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته، كما ذكر الله تعالى في القرآن: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (سورة آل عمران آية ١٦١).

ولقول النبي ﷺ:

[٢٢٧] «**أدوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة**»(١) ولقول النبي ﷺ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم، وقال: هذا لكم وهذا أهدي لي. فصعد النبي ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال:

«**والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله، فلا أعرف رجلاً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يده صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم هل بلغت**»(٢).

وعن أبي هريرة قال:

[٢٢٨] خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً، غنمنا المتاع (الطعام) والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي (يعني وادي القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بني جذام (يدعى رفاعة بن يزيد من بني الضبيب)، فلما نزلنا (الوادي) قام

---

(١) رواه الدارمي في السير والامام أحمد في «المسند» ١٢٧/٤ و٣١٨/٥ و٣٣٠ واسناده حسن وصححه الحاكم في «المستدرك» ٧٤/٢ وابن ماجه رقم ٢٨٥٠.

(٢) الخوار: صوت البقر، والبعار: صوت الغنم (منذري) مر ذكره حديث رقم ٢٢٦.

عند رسول الله ﷺ يحل رحله، فرمي بسهم فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئاً له بالشهادة يا رسول الله، فقال رسول الله: «**كلا والذي نفسي بيده ان الشملة**[1] **لتلتهب عليه ناراً، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم**». قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال: أصبت يوم خيبر). فقال رسول الله ﷺ «**شراك أو شراكان من نار**»[2] متفق عليه. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له كركرة فمات، فقال النبي ﷺ:

[٢٢٩] «**هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها**»[3] وعن زيد بن خالد الجهني ان رجلاً غل في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه، وقال:

[٢٣٠] «**ان صاحبكم غل في سبيل الله**»[4] قال ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود ما يساوي درهمين. قال الامام احمد رحمه الله: ما نعلم ان النبي ﷺ امتنع من الصلاة على أحد الا على الغال، وقاتل نفسه. وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

---

(١) والشملة:- كما قال المنذري - كساء أصغر من القطيفة يتشح به.

(٢) رواه البخاري ٣٧٤/٧ ومسلم رقم (١١٥) وابو داود رقم (٢٧١١) في الجهاد: باب في تعظيم الغلول ورواه النسائي ٢٤/٧ و«الموطأ» ٤٥٩/٢ ومعناه عند ابن ماجه رقم (٢٨٤٩) والامام أحمد ١٦٠/٢.

(٣) رواه البخاري ١٣٠/٦ وابن ماجه في الجهاد رقم (٢٨٤٩) باب الغلول، والامام أحمد في «المسند» ١٦٠/٢ وكان في الأصل ابن عمر غلطاً فصححناه (عمرو) والثقل: محركه: الغنيمة، وكركرة بفتح الكافين أو كسرهما (المنذري).

(٤) رواه أبو داود باسناد حسن رقم (٢٧١٠) في الجهاد: باب في تعظيم الغلول، ورواه «الموطأ» باسناد صحيح ٤٥٨/٢ والنسائي ٦٤/٤، وابن ماجه رقم (٢٨٤٨) واسناده صحيح والامام أحمد في «المسند» ١١٤/٤ و١٩٢/٥.

[٢٣١] « **هدايا العمال غلول** »[١].

وفي الباب أحاديث كثيرة ويأتي بعضها في باب الظلم، والظلم على ثلاثة أقسام: **(أحدها)** أكل المال بالباطل، **(وثانيها)** - ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح، **(وثالثها)** - ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف وقد خطب النبي ﷺ بمنى فقال:

[٢٣٢] « **ألا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** »[٢] متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٢٣٣] « **لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول** »[٣] فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم.

الكبيرة الثالثة والعشرون: السرقة

قال الله تعالى: ﴿**السَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقْطَعُوا أيْديهما جَزاءً بما كسبَا نَكالاً من الله والله عَزيزٌ حكيمٌ**﴾ (سورة المائدة آية ٣٨).

---

(١) رواه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٢٠٠/٤ و٢٤٩/٥ رواه الطبراني من رواية اسماعيل بن عياش عن الحجازيين وهي ضعيفة. وفي « كشف الخفا ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني » كلام على الحديث وله شاهد عند الترمذي في الاحكام رقم (١٣٥٠) باب ما جاء في هدايا الأمراء، واسناده ضعيف وله شواهد من حديث حذيفة وابن عباس وجابر (كشف الخفا).

(٢) رواه البخاري في العلم والحج والمغازي، والأدب، والأضاحي والحدود والفتن والتوحيد، ومسلم في الحج والقسامة وابن ماجه رقم (٣٩٣١) في الفتن والامام أحمد في « المسند » ٢٣٠/١ ٣١٣/٣ والترمذي رقم (٢٢٤٨) في الفتن: باب ما جاء في تحريم الدماء والأموال والنسائي في (قضاة) والدارمي في المناسك.

(٣) رواه ابن ماجه رقم (٢٧١) و (٢٧٢) ورواه أبو داود في الطهارة رقم (٥٩) باب فرض الوضوء واسناده صحيح والنسائي في الطهارة ٨٧/١.

قال ابن شهاب: نكل الله بالقطع في سرقة أموال الناس، والله عزيز في انتقامه من السارق، حكيم فيما أوجبه من قطع يده.

وقال صلى الله عليه وسلم:

«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولكن التوبة معروضة»(١).

[٢٣٤] وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم(٢)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

[٢٣٥] كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً(٣) وفي رواية قال رسول الله ﷺ:

«لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن». قيل لعائشة رضي الله عنها: وما ثمن المجن؟ قالت: ربع دينار. وفي رواية قال:

اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك «كان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني عشر درهما».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

[٢٣٦] **«لعن الله السارق الذي يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده»**(٤) قال الأعمش كانوا يرون انه بيض الحديد،

---

(١) تقدم عزوه فيما تقدم في الكبيرة العاشرة رقم الحديث (٩٩).

(٢) رواه البخاري ٩٣/١٢ ومسلم رقم (١٦٨٦) و«الموطأ» ٨٣١/٢ وابو داود في الحدود رقم (٤٣٨٥) باب ما يقطع فيه السارق والنسائي ٧٦/٨ والترمذي في الاحكام (١٤٤٦).

(٣) رواه البخاري ٨٩/١٢ ومسلم رقم (١٦٨٤) و«الموطأ» ٨٣٢/٢ والنسائي ٧٧/٨ والترمذي في الاحكام (١٤٤٥) وابو داود في الحدود رقم (٤٣٨٣) باب ما يقطع فيه السارق.

(٤) رواه ابن ماجه رقم (٢٥٨٣) في الحدود: باب حد السارق، والبخاري ومسلم في الحدود والنسائي في السارق والامام أحمد في «المسند» ٢٥٣/٢.

والحبل كانوا يرون ان منها ما يساوي ثمنه ثلاثة دراهم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ.

[٢٣٧] «**يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله تعالى**» ثم قام النبي ﷺ خطيباً فقال: «**انما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[١] فقطع يد المخزومية.

وعن عبد الرحمن بن محيريز قال:

[٢٣٨] سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق في عنقه أمن السنة؟ قال: أتى النبي ﷺ بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت في عنقه[٢]. قال العلماء: ولا تنفع السارق توبته الا أن يرد ما سرقه، فان كان مفلساً تحلل من صاحب المال، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري ٧٦/١٢ ومسلم رقم (١٦٨٨) وابو داود في الحدود رقم (٤٣٧٣) باب في الحد يشفع فيه، والترمذي في الحدود رقم (١٤٣٠) باب ما جاء في كراهية ان يشفع في الحدود، والنسائي ٧٤/٨ وابن ماجه في الحدود رقم (٢٥٤٧) باب الشفاعة في الحدود.

(٢) رواه أبو داود في الحدود رقم (٤٤١١) باب في تعليق يد السارق، والنسائي ٩٢/٨ وابن ماجه في الحدود رقم (٢٥٨٧) باب تعليق اليد في العنق. والترمذي في الحدود رقم (١٤٤٧) باب ما جاء في تعليق يد السارق وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن علي المقدمي عن الحجاج.

اقول: مدار الحديث على المدلسان عمر بن علي والحجاج بن أرطأة وصرح بالتحديث عمر بن علي وبقي الحجاج وقال العلماء: ما قال حدثنا مقبول وما لم يقل فلا وهنا لم يصرح. وقال ابن العربي في شرح الترمذي: ولو ثبت هذا الحكم لكان حسناً صحيحاً. لكنه لم يثبت ويرويه الحجاج بن أرطأة.

وقال السندي في شرحه على ابن ماجه: والحديث قد حسنه الترمذي وسكت عليه ابو داود، وان تكلم فيه النسائي.

الكبيرة الرابعة والعشرون: قطع الطريق

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذينَ يُحارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ويَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَساداً أنْ يُقتَّلوا أوْ يُصَلبُوا أوْ تُقَطَّعَ أيْديهِمْ وأرْجُلُهُمْ منْ خِلَافٍ أوْ يُنْفَوا منَ الأرْض. ذلكَ لَهُمْ خزْيٌ في الدُّنْيا وَلَهُمْ في الآخِرَة عَذَابٌ عظيم﴾ (سورة المائدة آية ٣٣).

قال الواحدي[١] رحمه الله: معنى يحاربون الله ورسوله يعصونها ولا يطيعونها. كل من عصاك فهو محارب لك، ويسعون في الأرض فساداً أي بالقتل والسرقة وأخذ الأموال، وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعي. (قوله تعالى):﴿أن يقتلوا﴾ إلى قوله:﴿أو ينفوا من الأرض﴾ قال الوالبي[٢] عن ابن عباس رضي الله عنها (أو) ادخلت للتخيير ومعناها الاباحة، ان شاء الامام قتل، وان شاء صلب، وان شاء نفى، وهذا قول الحسن وسعيد ابن المسيب ومجاهد، وقال في رواية عطية[٣] أو ليست للاباحة، انما هي مرتبة للحكم باختلاف الجنايات. فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب.

---

(١) هو ابو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه بفتح الميم وتشديد التاء المثناة صاحب التفاسير المشهورة «البسيط والوسيط والوجيز، واسباب نزول القرآن، والتحبير في شرح اسماء الله الحسنى» وشرح ديوان ابي الطيب المتني شرحاً مستوفى ليس في شروحه على كثرتها مثله، وذكر فيه اشياء غريبة. وكان الواحدي تلميذ ابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي المفسر المشهور وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه، توفي سنة ٤٦٨هـ. في جمادى الآخرة (ابن خلكان).

(٢) يعني علي بن ابي طلحة الوالبي رواية تفسير ابن عباس، وان كان في سماعه منه كلام راجع ترجمته في الميزان الذهبي.

(٣) يعني ابن سعد العوفي، مختلف في توثيقه صدوق يخطىء كثيراً وكان يدلس «التقريب».

ومن أخذ المال ولم يقتل قطع، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل، ومن اخاف السبيل ولم يقتل نفي من الأرض، وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه. وقال الشافعي أيضاً: يحد كل واحد بقدر فعله. فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثاً ثم ينزل، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفنونه، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت، فان عاد وسرق ثانياً قطعت رجله اليسرى، فان عاد وسرق قطعت يده اليسرى، لما روي[1] عن النبي ﷺ قال في السارق:

[٢٣٩] **ان سرق فاقطعوا يده، ثم ان سرق فاقطعوا رجله، ثم ان سرق فاقطعوا يده، ثم ان سرق فاقطعوا رجله**[2]. ولأنه فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة، ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على انها اليسرى وذلك معنى قوله تعالى ﴿**من خلاف**﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوا مِنَ الأَرْضِ﴾ (سورة المائدة آية ٣٢). قال ابن عباس: هو ان يهدر الامام دمه فيقول من لقيه فليقتله، هذا فيمن يقدر عليه، فأما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن، لأنه إذا حبس ومنع من التقلب في البلاد فقد نفي منها أنشد ابن قتيبة

---

(١) رواه أبو داود والنسائي من حديث جابر واستنكره وأخرجه من حديث الحارث ابي خاطب نحوه، وذكر الشافعي ان القتل في الخامسة منسوخ (بلوغ المرام).

(٢) رواه ابو داود في الحدود رقم (٤٤١٠) باب في السارق يسرق مراراً، والنسائي من حديث جابر واستنكره ٨/٩٠ وقال الشافعي: إن القتل منسوخ (بلوغ المرام) وقال الحافظ ابن حجر: ولا أعلم فيه حديثاً صحيحاً، وقال ابن عبد البر حديث القتل منكر لا أصل له. ورواه الامام أحمد في «المسند» ٢/٢١١ واسناده ضعيف.

لبعض المسجونين شعراً:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

قال: فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف اذا أخذ المال أو جرح أو قتل؟ فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواطة وغير ذلك. نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة، إنه جواد كريم غفور رحيم.

الكبيرة الخامسة والعشرون: اليمين الغموس

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بعهدِ الله وأَيْمَانِهِمْ ثمناً قليلاً أولئكَ لا خَلَاقَ لَهُمْ في الآخِرَة ولا يُكَلِّمُهُمُ الله ولا يَنْظُرُ إليْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ﴾ (سورة آل عمران آية ٧٧).

قال الواحدي: نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضيعة، فهمَّ المدعى عليه ان يحلف، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين وأقر للمدعي بحقه. وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

[٢٤٠] **من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان**[١]. فقال الأشعث: فيَّ

---

(١) رواه البخاري ٤٨٤/١١ ومسلم (١٣٨) وأبو داود في الايمان والنذور رقم (٣٢٤٣) باب فيمن حلف يميناً ليقتطع بها مالاً لأحد والترمذي رقم (٢٩٩٩) في الأحكام والطبراني في الصغير ٢٢٥/١ وابن ماجه رقم (٢٣٢٣) في الأحكام: باب من حلف على يمين فاجرة.

والله نزلت، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال: **ألك بينة؟** قلت: لا، قال لليهودي: احلف. قلت: يا رسول الله انه اذن يحلف فيذهب بمالي. فأنزل الله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذينَ يَشْتَرونَ بِعهْدِ اللهِ وأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً**﴾ (سورة آل عمران آية ٧٧) أي عرضاً يسيراً من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين ﴿**أولئك لا خلاق لهم في الآخرة**﴾ أي لا نصيب لهم في الآخرة ﴿**ولا يكلمهم الله**﴾ أي بكلام يسرهم ﴿**ولا ينظر إليهم**﴾ نظراً يسرهم، يعني نظر الرحمة ﴿**ولا يزكيهم**﴾ ولا يزيدهم خيراً ولا يثني عليهم.

وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« **من حلف على مال امرىء مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان** ». قال عبد الله. ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله ﴿**إِنَّ الَّذينَ يَشْتَرُونَ بِعهْدِ اللهِ وايمَانِهِمْ ثَمَناً قليلاً**﴾ (سورة آل عمران آية ٧٧) إلى آخر الآية اخرجاه في الصحيحين[١]. وعن أبي امامة قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال:

[٢٤١] « **من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة** » فقال رجل: وان كان يسيراً يا رسول الله؟ قال: « **وان كان قضيباً من أراك** »[٢] أخرجه مسلم في صحيحه. قال حفص بن ميسرة: ما أشد هذا الحديث. فقال: أليس في كتاب الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذينَ يَشْتَرُونَ بِعهدِ الله وايمَانهمْ ثمناً قليلاً**﴾ ؟ الآية. وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال:

---

(١) مكرر ما قبله.

(٢) ورواه ابن ماجه رقم (٢٣٢٤) في الاحكام: باب من حلف على يمين فاجرة ليقتطع بها مالاً ورواه النسائي ومالك كلهم عن أبي أمامة.

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. فقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا يا رسول الله من هم؟ قال: «**المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»[1] وقال ﷺ:

«**الكبائر الاشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**» أخرجه البخاري في صحيحه والغموس هي التي يتعمد الكذب فيها، سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الاثم، وقيل تغمسه في النار[2].

(فصل): ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة، وهي من أشد ما هنا، والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان.

لبنان الجمعة ٢٥/١٢/١٤٠٩ هـ

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

[٢٤٢] «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت**»[3]. وفي رواية في الصحيح:

[٢٤٣] «**فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت**»[4].

---

(١) مكرر رقم [١٩٠].
(٢) عبارة المنذري: تغمس الحالف بها في الاثم في الدنيا وفي النار في الآخرة وهي احسن مما هنا من جعلها قولين فيها.
(٣) رواه البخاري ٤٦٢/١١ ومسلم رقم (١٦٤٦) وابو داود في الايمان والنذور رقم (٣٢٤٩) باب في كراهية الحلف بالآباء، و«الموطأ» ٤٨٠/٢ والترمذي رقم (١٥٣٤) والنسائي ٥/٧ وابن ماجه مختصراً (٢٠٩٤).
(٤) رواه الامام أحمد في «المسند» ٧/٢.

وعن[1] عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٢٤٤] «لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم»[2] رواه مسلم.

الطواغي: جمع طاغية وهي الأصنام، ومنه الحديث:

«هذه طاغية دوس» أي صنمهم ومعبودهم. وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٢٤٥] «من حلف بالأمانة فليس منا»[3] رواه أبو داود وغيره، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٢٤٦] «من حلف فقال اني بريء من الاسلام، فان كان كاذباً فهو كما قال، وان كان صادقاً فلن يرجع إلى الاسلام سالماً»[4].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رجلاً يقول: والكعبة، فقال: «لا تحلف بغير الله»، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[٢٤٧] «من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك»[5]. رواه الترمذي

---

(١) في الأصل ابو عبد الرحمن وهو غلط وانما عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب من مسلمي الفتح، افتتح سجستان، روى له الستة، سكن البصرة، مات بعد سنة ٥٠ (التقريب).

(٢) ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (٢٠٩٥) في الكفارات: باب النهي أن يحلف بغير الله.

(٣) رواه أبو داود في الأيمان والنذور رقم (٣٢٥٣) باب في كراهية الحلف بالأمانة والامام أحمد في «المسند» ٣٥٢/٥.

(٤) رواه البخاري في الجنائز والأدب، والايمان، ومسلم في الايمان وابن ماجه في الكفارات رقم (٢١٠٠) باب النهي ان يحلف بغير الله، وأبو داود رقم (٣٢٥٨) في الايمان: باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الاسلام والترمذي في النذور رقم (١٥٨٣) باب رقم (١٥) والامام أحمد في «المسند» رقم ٣٣/٤ والحاكم وقال صحيح على شرطها.

(٥) رواه الترمذي في النذور رقم (١٥٧٤) باب رقم (٨) ورواه الدارمي في النذور والنسائي في الايمان، والامام أحمد في «المسند» ٤٧/١ و٣٤/٢، ٦٧، ٦٩.

وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرطهم[1]. قال: وفسر بعض العلماء قوله «كفر أو أشرك» على التغليظ كما روي عن النبي ﷺ انه قال:

«الرياء شرك».

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٢٤٨] «من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله»[2]، وقد كان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل اسلامه، فربما سبق لسانه إلى الحلف بها فأمره النبي ﷺ أن يبادر بقول: لا إله إلا الله ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه، وبالله التوفيق.

الكبيرة السادسة والعشرون: الظلم

بأكل أموال الناس وأخذها ظلماً وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدي والاستطالة على الضعفاء.

قال الله تعالى: **﴿ولا تَحْسَبَنَّ الله غافلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فيه الأَبْصارُ. مُهْطعين مُقْنعي رُؤوسهمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طرفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهمْ هَواء. وانذر النَّاس يَوْمَ يَأتيهمُ العَذابُ. فَيَقُولُ الَّذينَ ظَلَمُوا: رَبَّنا أَخِّرْنَا إلى أَجل قريب نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ**

---

(١) وسكت على ذلك المنذري في ترغيبه لكن قال المصنف في الصغرى. اسناده على شرط مسلم، وساقه من حديث الحسن بن عبيد الله النخعي عن سعد بن عبيدة.

(٢) رواه البخاري ٤٦٧/١١ ومسلم (١٦٤٧) والترمذي في النذور رقم (١٥٤٥) وابن ماجه في الكفارات مختصراً رقم (٢٠٩٦) والنسائي ٧/٧ والامام أحمد في «المسند» ٣٠٩/٢.

الرُّسُلَ. أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَالَكُمْ مِنْ زَوَال. وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ. وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ (سورة ابراهيم آية ٤٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ (سورة الشورى آية ٤٢) وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء آية ٢٢٧).

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٢٤٩] ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته[١]. ثم قرأ رسول الله ﷺ:

﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة. ان أخذه أليم شديد﴾. (سورة هود، آية ١٠٢).

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٢٥٠] من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى: انه قال:

[٢٥١] «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»[٣]. وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري في التفسير ٢٦٧/٨ ومسلم في البرّ والصلة رقم (٢٥٨٣) وابن ماجه في الفتن رقم (٤٠١٨) باب العقوبات والترمذي رقم (٣١٠٩).

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة رقم (٢٥٣٤) باب ما جاء في شأن الحساب والقصص.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة.

[٢٥٢] «أتدرون من المفلس»؟ قالوا: يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج، فيأتي وقد شتم هذا، وأخذ مال هذا، ونبش عن عرض هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا. فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار»(١) وهذه الأحاديث كلها في الصحاح وتقدم حديث: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»(٢) وتقدم قوله لمعاذ حين بعثه الى اليمن:

[٢٥٣] «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(٣). وفي الصحيح:

[٢٥٤] «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة»(٤).

وفي بعض الكتب يقول الله تعالى: اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري وأنشد بعضهم:

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدراً   فالظلم يرجع عقباه الى الندم

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والترمذي في صفة القيامة، رقم (٢٥٣٣) باب ما جاء في شأن الحساب والقصص والامام أحمد في «المسند» ٣٠٣/٢، ٣٣٤، ٣٧٢.

(٢) مكرر رقم [٢١٥].

(٣) رواه البخاري ٧٣/٥ و ٢٥٥/٣ ومسلم في الايمان رقم (١٩) والترمذي في الزكاة رقم (٦٢٥) وفي البر والصلة رقم (٢٠١٥) وابو داود رقم (١٥٨٤) في الزكاة والنسائي في الزكاة ٥٥/٥ وابن ماجه في الزكاة رقم (١٧٨٣) والدارمي في الزكاة و«الموطأ» في دعوة المظلوم والامام أحمد في «المسند» ٢٣٣/١ و٣٤٣/٢ و١٥٣/٣.

(٤) رواه البخاري في بدء الخلق والمظالم ورواه مسلم في المساقاة، والدارمي في البيوع، والامام أحمد في المسند ١٨٧/١ و١٧٣/٤.

تنـام عينـاك والمظلوم منتبـه   يـدعو عليـك وعين الله لم تنم

وكان بعض السلف يقول: لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ان الحبارى لتموت في وكرها هزالاً من ظلم الظالم وقيل مكتوب في التوراة: ينادي مناد من وراء الجسر - يعني الصراط - يا معشر الجبابرة الطغاة، ويا معشر المترفين الأشقياء ان الله يحلف بعزته وجلاله ان لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم. عن جابر قال: لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال:

[٢٥٥] **الا تخبروني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة؟** فقال فتية كانوا منهم: بلى يا رسول الله بينما نحن يوماً جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها. فلما قامت التفتت اليه ثم قالت: سوف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسي وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون. سوف تعلم من أمري وأمرك عنده غداً. قال فقال رسول الله ﷺ: « **صدقت كيف يقدس الله قوماً لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم** »[١]؟

إذا ما الظلوم استوطأ الظلم مركبا   ولـج عتواً في قبيـح اكتسابـه
فكله إلى صرف الزمان وعدله   سيبدو له ما لم يكن في حسابه

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤٠١٠) في الفتن: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورمز له بالصحة « الجامع الصغير » ونسبه ايضاً لابن حبان في صحيحه وصححه، وذكر شاهداً له من حديث بريدة عند أبي يعلى والبيهقي.

وروي عن النبي ﷺ انه قال:

[٢٥٦] «خمسة غضب الله عليهم ان شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والا أمر بهم في الآخرة إلى النار: أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه اجرته، ورجل ظلم امرأة صداقها»[١].

وعن عبد الله بن سلام قال: ان الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم الى السماء، وقالوا: يا رب مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه. وعن وهب بن منبه قال: بنى جبار من الجبابرة قصراً وشيده، فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه كوخاً تأوي اليه، فركب الجبار يوماً وطاف حول القصر، فرأى الكوخ فقال: لمن هذا؟ فقيل لامرأة فقيرة تأوي اليه فأمر به فهدم، فجاءت العجوز فرأته مهدوماً فقالت: من هدمه؟ فقيل: الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها الى السماء، وقالت: يا رب اذا لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت؟ قال: فأمر الله جبريل ان يقلب القصر على من فيه فقلبه.

وقيل لما حبس خالد بن برمك وولده قال: يا أبتي بعد العز صرنا في القيد والحبس. فقال: يا بني دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، وكان يزيد بن حكيم يقول: ما هبت أحداً قط هيبتي رجلاً ظلمته، وأنا أعلم انه لا ناصر له إلا الله يقول لي: حسبي الله، الله بيني وبينك.

---

(١) لم أجده في الكتب الستة أو في مسند الامام أحمد والله أعلم بالصواب.

وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر فكتب اليه من السجن هذين البيتين شعراً:

أما والله ان الظلم شوم ... وما زال المسيء هو المظلوم
ستعلم يا ظلوم اذا التقينا ... غداً عند المليك من الملوم

وعن أبي امامة قال:

[٢٥٧] يجيء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الى الدرك الأسفل من النار(١).

وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[٢٥٨] يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، انا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة أو أحد من أهل النار ان يدخل النار وعنده مظلمة أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحداً. قلنا: يا رسول الله كيف وإنما نأتي حفاة عراة. فقال: **بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحداً**(٢). وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

(١) رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابي أمامة مرفوعاً ورواته مختلف في توثيقهم (المنذري).

(٢) رواه أحمد باسناد حسن (المنذري) وعزاه ابن القيم في صواعقه إلى أبي يعلى الموصلي في مسنده والبخاري في الأدب المفرد والضياء في المختارة والطبراني في المعجم والسنة وغيرهم وحسن اسناده وهو من رواية همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر في رحلته إلى الشام إلى عبدالله بن انيس فذكره وعلقه البخاري في أول صحيحه مجزوماً به وفي آخره بلفظ ويذكر عن جابر الخ.

[٢٥٩] **«من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة»**[١] ومما ذكر ان كسرى اتخذ مؤدباً لولده يعلمه ويؤدبه حتى اذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوماً وضربه ضرباً شديداً من غير جرم ولا سبب، فحقد الولد على المعلم الى ان كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له: ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضرباً وجيعاً من غير جرم ولا سبب، فقال المعلم: اعلم ايها الملك انك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك، فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا، فقال: جزاك الله خيراً ثم أمر له بجائزة وصرفه.

ومن الظلم أخذ مال اليتيم، وتقدم حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله:

واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب[٢]

وفي رواية

[٢٦٠] **«ان دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»**[٣] وأنشدوا شعراً:

توق دعـا المظلوم ان دعـاءه   ليرفع فوق السحب ثم يجاب

---

(١) رواه البزار والطبراني باسناد حسن من حديث ابي هريرة (المنذري).

(٢) مر ذكره رقم ٢٥٣.

(٣) رواه الترمذي في صفة الجنة رقم (٢٦٤٦) باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها وقال: ليس إسناده بذلك القوي، وقد روي هذا الحديث باسناد آخر عن أبي هريرة ورواه ابن ماجه رقم (١٧٥٢) في الصوم باب في الصائم لا ترد دعوته، وصححه ابن حبان رقم (٢٤٠٨) «موارد» وابن خزيمة في صحيحه، وحسنه الحافظ ورواه الامام أحمد في «المسند» ٣٠٥/٢ و٤٤٥ وفي اسناده سعد ابو مجاهد: لا بأس به، وابو مدلة وثقه ابن حبان.

توق دعـا من ليس بين دعـائـه وبين إلـه العـالمين حجـاب
ولا تحسبن الله مطرحـاً لــه ولا أنــه يخفـى عليـه خطـاب
فقـد صـح ان الله قـال وعزتي لأنصر المظلوم وهو مثــاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه جهول وإلا عقلــه فمصــاب

(فصل): ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال:

[٢٦١] «**مطل الغني ظلم**» وفي رواية «**لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته**»[١] أي يحل شكايته وحبسه.

(فصل) ومن الظلم ان يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل في قوله صلى الله عليه وسلم:

[٢٦٢] «**لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته**»[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه. قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على

---

(١) رواه البخاري ٤٦/٥، ومسلم رقم (١٥٦٤)، و «الموطأ» ٦٧٤/٢ وابو داود رقم (٣٣٤٥) في البيوع: باب في المطل، وابن ماجه في الصدقات رقم (٢٤٠٣) باب الحوالة والترمذي رقم (١٣٠٨) والنسائي ٣١٧/٧.

(٢) رواه ابو داود في الأقضية رقم (٣٦٢٨) باب في الحبس في الدين وغيره، وابن ماجه في الصدقات رقم (٢٤٢٧) والنسائي ٣١٦/٧، والامام أحمد في «المسند» ٢٢٢/٤ واسناده حسن وصححه الحاكم ١٠٢/٤ ووافقه الذهبي.

أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (سورة المؤمنون آية ١٠١). قال: فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق: ائتوا إلى حقوقكم. قال: فيقول الله تعالى للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته فان كان ولياً لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها، وان كان عبداً شقياً ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة: ربنا فنيت حسناته وبقي طالبوه، فيقول الله: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صك له صكاً إلى النار. ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبي ﷺ.

«أتدرون من المفلس؟ فذكر ان المفلس من أمته من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته، فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[1].

(فصل) ومن الظلم ان يستأجر أجيراً أو انساناً في عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت في صحيح البخاري ان رسول الله ﷺ قال يقول الله تعالى:

[٢٦٣] «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته: رجل اعطى بي غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر

---

(١) مرّ ذكره رقم ٢٥٢.

أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته »[1] وكذلك اذا ظلم يهودياً أو نصرانياً أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فهو داخل في قوله تعالى: **أنا حجيجه - أو قال أنا خصمه - يوم القيامة**. ومن ذلك ان يحلف على دين في ذمته كاذباً فاجراً لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال:

« **من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**. » قيل: يا رسول الله وان كان شيئاً يسيراً؟ قال: « **وان قضيباً من أراك** »[2].

فخف القصاص غداً اذا وفيت ما | كسبت يداك اليوم بالقسطاس
في موقف ما فيه إلا شاخص | أو مهطع أو مقنع للراس
اعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم | نار وحاكمهم شديد البأس
أن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى | فغدا تؤديها مع الافلاس

وقد روي أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا كما قال النبي ﷺ:

[٢٦٤] « **لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء** »[3]. وقال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه البخاري في البيوع، والأجارة، وابن ماجه في الرهون (٢٤٤٢) باب أجر الأجراء، والإمام أحمد في « المسند » ٣٥٨/٢.

(٢) مرّ ذكره رقم ٢٤١.

(٣) رواه مسلم في البر والترمذي في صفة القيامة رقم (٢٥٣٥) باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص واورده الإمام أحمد في « المسند » ١٧٣/٥ بمعناه.

«من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح في النار»[١]. وروى عبد الله بن ابي الدنيا بسنده إلى ابي ايوب الأنصاري ان رسول الله ﷺ قال:

[٢٦٥] «أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولي زوجته من خير أو شر، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال سوقوهم إلى النار»[٢]. وكان شريح القاضي يقول: سيعلم الظالمون حتى من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب. وروي انه إذا أراد الله بعبده خيراً سلط الله عليه من يظلمه، ودخل طاوس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله يوم الاذان، قال هشام: وما يوم الاذان؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأعراف آية ٤٤). فصعق هشام. فقال طاوس: هذا ذل ذا الصفة فكيف بذل المعاينة؟ يا راضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم؟ السجن جهنم، والحق الحاكم!.

---

(١) مكرر رقم ٢٥٠.

(٢) الطبراني في مسنده عن عبد الله بن عبد العزيز الليثي وهو ضعيف، ووثقه سعيد بن منصور وقال: كان مالك يرضاه (مجمع الزوائد).

(فصل): في الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ (سورة هود آية ١١٣). والركون ههنا السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تميلوا كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة، وقال السدي وابن زيد: لا تداهنوا الظلمة، وقال عكرمة: هو ان يطيعهم ويودهم، وقال أبو العالية: لا ترضوا باعمالهم ﴿فتمسكم النار﴾ فيصيبكم لفحها ﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله ﴿ثم لا تنصرون﴾ لا تمنعون من عذابه، وقال الله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ (سورة الصافات آية ٢٢). أي أشباههم وامثالهم واتباعهم. وعن[1] ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٢٦٦] «سيكون امراء يغشاهم غواش أو حواش من الناس يظلمون ويكذبون، فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه»[2]. وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

[٢٦٧] «من أعان ظالماً سلط عليه»، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: «لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بانكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة»، وقال مكحول الدمشقي: ينادي مناد يوم

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» ٩٥/٢ عن ابن عمر واسناده صحيح ورواه ابن حبان وابو يعلى عن أبي سعيد الخدري، لا ابن مسعود كما هنا فلعل ما هنا من خطأ النساخ، وذكره في «مجمع الزوائد» ٢٤٨/٥ من عدة طرق ومنها عند البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) عزاه السيوطي في جامعه الصغير إلى ابن عساكر عن ابن مسعود وأشار الى ضعفه.

القيامة أين الظلمة وأعوانهم؟ فما يبقى أحد مد لهم حبراً أو حبّر لهم دواة أو برى لهم قلماً فما فوق ذلك إلا حضر معهم فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم. وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري فقال: اني رجل اخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان: بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط.

وقد روي عن النبي ﷺ انه قال:

[٢٦٨] «أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الاسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة»[١]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة. الجلاوزة: أعوان الظلمة.

وقد روي ان الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مر بني اسرائيل أن لا يتلوا من ذكري فاني أذكر من ذكرني، وأن ذكري اياهم أن العنهم، وفي رواية فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة. وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

[٢٦٩] «لا يقف احدكم في موقف يُضرب فيه رجل مظلوم فان اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إن لم يدفعوا عنه»[٢].

---

(١) لم أجده في الكتب السبعة ولا في مسند الإمام أحمد والطبراني «الصغير»، والله اعلم بالصواب ووجدت معناه في (الزوائد) ورواه البزار «رجال يقال لهم يوم القيامة ضعوا أسياطكم وادخلوا النار» (مجمع) ٢٣٤/٥ وفيه متروك.

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني باسناد حسن من حديث ابن عباس بلفظ «يقتل فيه رجل ظلماً» (ترغيب) وانظر مجمع ٢٦٧/٧ له شواهد.

وروي عن رسول الله ﷺ انه قال:

[٢٧٠] «**أتي رجل في قبره فقيل له: إنا ضاربوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع اليهم حتى صاروا إلى ضربة واحدة فضربوه، فالتهب القبر عليه ناراً فقال: لم ضربتموني هذه الضربة؟ فقالوا: انك صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره**»[١]. فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم!؟

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال:

[٢٧١] «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوما**»، فقال يا رسول الله: أنصره اذا كان مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: «**تمنعه من الظلم فان ذلك نصره**»[٢].

ومما حكي قال بعض العارفين: رأيت في المنام رجلاً ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة في حالة قبيحة فقلت له ما حالك؟ قال: شر حال، فقلت: الى أين صرت؟ قال: الى عذاب الله. قلت: فما حال الظلمة عنده؟ قال شر حال، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء آية ٢٢٧). ومما حكي قال بعضهم رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادي من رآني فلا يظلمن أحداً فتقدمت اليه، فقلت له: يا أخي ما قصتك؟ قال: يا أخي قصة عجيبة، وذلك اني كنت من أعوان

---

(١) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٦٧/٧ و٢٦٨ من حديث ابن عمر وفي سنده يحيى بن عبدالله البابلتي وهو ضعيف، وعزاه في «الترغيب» الى كتاب «التوبيخ» لأبي الشيخ ابن حبان واشار إلى ضعفه.

(٢) رواه البخاري في الإكراه، والامام احمد في المسند ٩٩/٣ و٢٠١، ورواه البخاري في المظالم والترمذي في الفتن والدارمي في الرقاق وقال المنذري: ورواه مسلم من حديث جابر.

الظلمة فرأيت يوماً صياداً وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتني، فجئت اليه فقلت: أعطني هذه السمكة، فقال: لا أعطيكها أنا آخذ بثمنها قوتاً لعيالي، فضربته وأخذتها منه قهراً ومضيت بها. قال: فبينا أنا أمشي بها حاملها إذ عضت على إبهامي عضة قوية فلما جئت بها الى بيتي وألقيتها من يدي ضربت على إبهامي وآلمتني ألماً شديداً حتى لم أنم من شدة الوجع والألم وورمت يدي، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت اليه الألم، فقال: هذه بدء الآكلة إقطعها وإلا تقطع يدك، فقطعت إبهامي ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم، فقيل لي: إقطع كفك فقطعته، وانتشر الألم الى الساعدوآلمني ألماً شديداً، ولم أطق القرار، وجعلت أستغيث من شدة الألم. فقيل لي: اقطعها الى المرفق فقطعتها، فانتشر الألم الى العضد وضربت على عضدي أشد من الألم الأول، فقيل: اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها. فقال لي بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة، فقال لي: لو كنت رجعت في أول ما أصابك الألم الى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً، فاذهب الآن اليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم الى بدنك. قال: فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته، فوقعت على رجليه أقبلها وأبكي وقلت له: يا سيدي سألتك بالله ألا عفوت عني. فقال لي: ومن أنت؟ قلت: أنا الذي أخذت منك السمكة غصباً، وذكرت ما جرى وأريته يدي فبكى حين رآها. ثم قال: يا أخي قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء، فقلت: يا سيدي بالله هل كنت قد دعوت علي لما أخذتها؟ قال: نعم. قلت: اللهم إن هذا تقوى علي بقوته على ضعفي على ما رزقتني ظلماً فأرني قدرتك فيه. فقلت: يا سيدي قد اراك الله قدرته في وأنا تائب الى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة، ولا عدت أقف لهم على باب، ولا أكون من

أعوانهم ما دمت حياً. ان شاء الله، وبالله التوفيق.

(موعظة) إخواني كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها، وكم انزل أجساداً بجارها لم يجارها، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها - شعر:

يا معرضاً بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعاً أو كارها
إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق، وعمر النواحي وغرس الحدائق، ونال الأماني وركب العواتق؟ صاح به من داره غراب بين ناعق، وطرقه في لهوه أقطع طارق، وزجرت عليه رعود وصواعق، وحل به ما شيب بعض المفارق، وقلاه الحبيب الذي لم يفارق، وهجره الصديق والرفيق الصادق، ونقل من جوار المخلوقين الى جوار الخالق. نازله والله الموت فلم يحاشه، وأذله بالقهر بعد عز جاشه، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه، ومزقه الدود في قبره كتمزيق قماشه، وبقي في ضنك شديد من معاشه، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه. ما نفعه والله الاحتراز، ولا ردت عنه الركاز، بل ضره من الزاد الاعواز، وصار والله عبرة للمجتاز، وقطع شاسعاً من السبل الأوفاز، وبقي رهيناً لا يدري أهلك أم فاز. وهذا لك بعد أيام، وما أنت فيه الآن أحلام، ودنياك لا تصلح وما سمعت ستراه غداً على التمام، ويقع لي ولك، ويحك! أما يؤثر فيك هذا الكلام؟.

الكبيرة السابعة والعشرون: المكاس

وهو داخل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْض بغَيْرِ ٱلْحقِّ أولئكَ لَهُمْ عَذاب أليمٌ﴾ (سورة الشورى آية ٤٢).

والمكاس من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم. فإنه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق، ولهذا قال النبي ﷺ:

[٢٧٢] «**المكاس لا يدخل الجنة**»(١). وقال صلى الله عليه وسلم:

«**لا يدخل الجنة صاحب مكس**» رواه أبو داود، وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد. ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدي للناس ما أخذ منهم؟ إنما يأخذون من حسناته ان كان له حسنات! وهو داخل في قول النبي ﷺ:

«**أتدرون من المفلس**»؟ قالوا: يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي بصلاة وزكاة وصيام وحج، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(٢).

وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالرجم:

[٢٧٣] «**لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه**»(٣)، والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص.

---

(١) رواه ابو داود رقم (٢٩٣٧) في الخراج والامارة والفيء، باب في السعاية على الصدقة وفيه ابن اسحاق لم يصرح بالتحديث ورواه الامام أحمد في «المسند» عن رويفع بن ثابت ١٠٩/٤ وإسناده ضعيف وذكره في المجمع ٨٨/٣ ونسبه أيضاً للطبراني في «الكبير» وذكره المنذري ٢٧٨/١ وان ابن خزيمة أخرجه في صحيحه وصححه الحاكم ٤٠٤/١ وأقره الذهبي ورواه الإمام أحمد في «المسند» ١٤٣/٤ و١٥٠.

(٢) مرّ ذكره رقم ٢٥٦.

(٣) رواه مسلم في الحدود والدارمي في الحدود، وابو داود في الحدود باب المرأة التي أمر النبي ﷺ برجمها من جهينة رقم (٤٤٤٢) واسناده صحيح ورواه الإمام أحمد في «المسند» ٣٤٨/٥.

وجابي المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندي وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر آكلون للسحت والحرام، وصح أن رسول الله ﷺ قال:

[٢٧٤] «**لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت، النار أولى به**»[١] والسحت: كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار.

وذكره الواحدي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿**قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ**﴾ (سورة المائدة آية ١٠٠). وعن جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي، وإني جمعت من بيعها مالاً، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى؟ فقال رسول الله ﷺ:

[٢٧٥] «**إن أنفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة. إن الله لا يقبل إلا الطيب**»[٢]، فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله ﷺ:

﴿**قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ**﴾ (سورة المائدة آية ١٠٠).

قال عطاء والحسن: الحلال والحرام، فنسأل الله العفو والعافية.

(**موعظة**) أين من حصن الحصون المشيدة واحترس، وعمر الحدائق فبالغ وغرس، ونصب لنفسه سرير العز وجلس، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس، وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس، أزعجه والله هازم اللذات واختلس، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس، ووجه به

---

(١) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٤٧/٥ وقال رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) ذكره في تفسير الوسيط بلا سند، وقال السيوطي في «لباب النقول في أسباب النزول» بسند ضعيف.

إلى دار البلاء فانطمس، وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب في خلس ينظر:

تبني وتجمع والآثار تندرس وتأمل اللبث والأعمار تختلس
ذا اللب فكر فما في العيش من طمع لا بد ما ينتهي أمر وينعكس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معترك تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحكوا بمهلكة في وسط معركة صرعى وصاروا ببطن الأرض وانطمسوا
وعمهم حدث وضمهم جدث باتوا فهم جثث في الرمس قد حبسوا
كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو عاينت عيناك ما صنعت أيدي البلا بهم والدود يفترس
لعاينت منظراً تشجى القلوب له وأبصرت منكراً من دونه البلس
من أوجه ناضرات حار ناظرها في رونق الحسن منها كيف ينطمس
وأعظم باليات ما بها رمق وليس تبقى لهذا وهي تنتهس
وألسن ناطقات زانها أدب ما شأنها شأنها بالآفة الخرس
حتام ياذا النهى لا ترعوي سفها ودمع عينيك لا يهمي وينبجس

(موعظة): يا من يرحل في كل يوم مرحلة، وكتابه قد حوى حتى الخردلة ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة، ولا يصغي إلى ناصح وقد عذله، ودروعه مخرقة والسهام مرسله، ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله وهو يؤمل البقا، ويرى مصير من قد أمله قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابة ووله. كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة. ونعم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله. فيا عجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة استيقن من غرور وبله. ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله فقد اولاك لو علمت منزله. فبادر ما بقي من عمرك واستدرك أوله. فبقية عمر المؤمن جوهرة قيِّمة.

الكبيرة الثامنة والعشرون: أكل الحرام وتناوله على اي وجه كان

قال الله عز وجل: ﴿ولا تَأكلوا أَمْوالكُمْ بَيْنكُمْ بالبَاطل﴾ (سورة البقرة آية ١٨٨).

أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين، أحدهما أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة. والثاني على جهة الهزل واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك، وفي صحيح البخاري: ان رسول الله ﷺ قال: «**ان رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**»(١). وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ:

[٢٧٦] «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك**»(٢) وعن أنس رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أدع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة فقال صلى الله عليه وسلم:

[٢٧٧] «**يا أنس أطب كسبك تجب دعوتك، فان الرجل ليرفع اللقمة من الحرام الى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوماً**»(٣)، وروى البيهقي باسناده إلى رسول الله ﷺ قال:

---

(١) مكرر رقم ٢١٥.

(٢) رواه مسلم في الزكاة، والدارمي في الرقاق، والترمذي في تفسير سورة البقرة رقم (٣١٧٤) والإمام احمد في «المسند» ٢/٣٢٨.

(٣) ذكره المنذري: من حديث ابن عباس وان الذي طلب الدعوة في الرسول في اجابة دعوته هو سعد بن أبي وقاص وعزاه للطبراني اقول: رواه الطبراني في الاوسط وفيه من لم يعرف وذكر ضعفه العراقي في الاحياء.

[٢٧٨] «ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا من يحب، فمن اعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالاً حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. ان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن»[١]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

[٢٧٩] «الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه في حقه أثابه الله وأورثه جنته، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان. ورب متخوض (فيما[٢] اشتهت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة»[٣]. وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

[٢٨٠] «من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار»[٤]. وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال:

[٢٨١] «لئن يجعل أحدكم في فيه تراباً خير من أن يجعل في فيه حراماً»[٥].

---

(١) عزاه في الترغيب إلى رواية احمد من حديث ابن مسعود وقال قد حسنها بعضهم.
(٢) عبارة الترغيب هكذا: «في مال الله ورسوله».
(٣) قال المنذري: رواه البيهقي. وروى معناه الإمام أحمد في «المسند» ٦٩/٦ باسناد صحيح.
(٤) ذكره في «منتخب كنز العمال» ٢١١/٢ ونسبه للديلمي في الفردوس عن ابن عمر.
(٥) ذكره في «منتخب كنز العمال» ٢١١/٢ ونسبه للبيهقي في الشعب عن أبي هريرة، وقال الهيثمي في مجمعه والمنذري: رواه احمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد ابن اسحاق وقد وثق واسناده جيد. والله أعلم.

وقد روي عن يوسف بن اسباط رحمه الله قال: ان الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه، فان كان مطعم سوء قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه. ان اجهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح[1]. من قوله صلى الله عليه وسلم عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟ وقد روي في حديث ان ملكاً على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة:

« **من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا** » الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة. وقال عبد الله بن المبارك: « لئن أرد درهماً من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ». وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

[٢٨٢] « **من حج بمال حرام فقال لبيك، قال ملك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك** »[2]. وروى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ انه قال:

[٢٨٣] « **من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه** »[3]. وقال وهب بن الورد: لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « لا يقبل الله صلاة امرىء وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه ». وقال سفيان الثوري: من أنفق

---

(١) مرّ ذكره رقم ٢٧٦.

(٢) رواه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٢١٠/٣ ونسبه للبزار وفيه سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيف من حديث أبي هريرة.

(٣) ذكره في « منتخب العمال » ٢١١/٢ ونسبه للإمام أحمد، وهو من حديث ابن عمرو في سنده هاشم لم يعرفه الهيثمي أشار المنذري إلى ضعفه.

الحرام في الطاعة كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال، وقال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام». وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٢٨٤] «**لا يدخل الجنة جسد غذي بالحرام**»(١). وعن زيد بن أرقم قال:

[٢٨٥] كان لأبي بكر غلام يحرج له الخراج - أي قد كاتبه على مال - وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله: من أين أتيت بها؟ فان رضيه أكله والا تركه. قال فجاءه ذات ليلة بطعام وكان ابو بكر صائماً فأكل منه لقمة ونسي أن يسأله، ثم قال له: من أين جئت بهذا؟ فقال: كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وما كنت احسن الكهانة، إلا اني خدعتهم. فقال ابو بكر: أف لك كدت تهلكني! ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج، فقيل له: انها لا تخرج إلا بالماء، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شيء في بطنه. فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال رضي الله عنه: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. اني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به**»(٢)، فخشيت أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة. وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه الترمذي من حديث طويل في الجمعة رقم (٦٠٩) باب ما ذكر في فضل الصلاة وابن حبان في صحيحه والإمام أحمد في «المسند» ٣٢١/٣ بلفظ «لا يدخل الجنة لحم ودم نبت على سحت النار أولى به» وما في الكتاب هنا لفظ حديث ابي بكر الصديق رواه ابو يعلى والطبراني في «الاوسط» والبيهقي وبعض اسانيدهم حسن (المنذري).

(٢) رواه البخاري في مناقب الانصار من حديث عائشة (رضي الله عنها) بدون الزيادة في آخره من شرب الماء..

«**لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام**» واسناده صحيح. قال العلماء رحمهم الله: ويدخل في هذا الباب: المكاس، والخائن، والزغلي، والسارق، والبطال، وآكل الربا وموكله، وآكل مال اليتيم وشاهد الزور، ومن استعار شيئاً فجحده، وآكل الرشوة، ومنقص الكيل والوزن، ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه، والمقامر، والساحر، والمنجم، والمصور والزانية، والنائحة والعشرية، والدلال، إذا أخذ اجرته بغير اذن من البائع، ومخبر المشتري بالزائد ومن باع حراً فأكل ثمنه.

(فصل) روي عن رسول الله ﷺ انه قال:

[٢٨٦] «**يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثوراً ثم يقذف بهم في النار.** فقيل يا رسول الله: كيف ذلك؟ قال: **كانوا يصلون، ويصومون، ويزكون، ويحجون، غير انهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله اعمالهم**»[1]. وعن بعض الصالحين انه رؤي بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيراً، غير اني محبوس عن الجنة بارادة استعرتها فلم أردها. فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم رؤوف رحيم.

(موعظة) عباد الله اما الليالي والأيام تهدم الاجال؟ اما مآل المقيم في الدنيا الى الزوال، أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال، اما غاية السلامة نقصان الكمال أما بعد استقرار المنى هجوم الاجال، أما أنبئتم

---

(١) رواه الطبراني من حديث ابي أمامة الباهلي في حديث طويل في سنده كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدمياطي وكلاهما وثق وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد اقول: وله شاهد رواه الطبراني في الصغير ٢٣٧/١ عن ثوبان.

عن الرحيل وقد قرب الانتقال اما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال؟.

وعزيز نـــاعم ذل لـــــه كل صعب المرتقى وعر المرام
فكســاه بعـــد لين ملبس خشنا بالرغم منه في الرغام
ووجوه نـــاضرات بـــدلـت بعد لون الحسن لوناً كالقتام
وشموس طـالعـات أفلـت بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيـــف شامـخ بنيـــانـه لين الاعطـــــاف مهتز القوام
أف للـــدنيـــا فما شيمتهـــا غير نقض العقد أو خفر الذمام
فاستعدوا الزاد تنجوا واعملوا صالحاً من قبل تقويض الخيام

يا متعلقا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق، يا مضيعاً في الهوى واجبات الحقوق، تبارز الخالق وتستحي من المخلوق؟ يا مؤثراً اعلى العلالي ساتراً ذلك الفسوق، ألا سترى ذلك الفسوق! يا متولها مهاد الهوى وهو في سجن الردى مرموق، إبك على نفسك العليلة فانك بالبكاء محقوق، عجباً لمن رأى فعل الموت لصحبه، وأيقن بتلفه وما قضى نحبه، وسكن الإيمان بالآخرة في قلبه، ونام غافلاً على جنبه، ونسي جزاءه على جرمه وذنبه وأعرض إلى ريه من الهوى عن ربه، كأني به وقد سقي كأس حمام يستغيث من شربه، وأفرده الموت عن أهله وسربه، ونقله إلى قبره ذل فيه بعد عجبه. فيإذا اللب جز على قبره وعج[1] به. لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع، لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع. فما بالها لا تسكب المدامع؟ يا عجباً لقلب عند ذكر الحق غير خاشع، لقد نشبت فيه مخالب المطامع. يا من شيبه

---

(١) أي أكثر واهتم به.

قد أتى هل ترى ما مضى من العمر براجع؟ انتبه لما بقي وانته وراجع، فالهول عظيم والحساب شديد والطريق شاسع، ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع.

الكبيرة التاسعة والعشرون: ان يقتل الانسان نفسه

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كانَ بكُم رَحِيماً. وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ عُدْواناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نَصْلِيهِ ناراً، وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسيراً﴾ (سورة النساء آية ٢٩-٣١).

قال الواحدي في تفسير هذه الآية: ولا تقتلوا أنفسكم، اي لا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أهل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة. هذا قول ابن عباس والأكثرين وذهب قوم إلى أن هذا نهي عن قتل الانسان نفسه، ويدل على صحة هذا ما أخبرنا ابو منصور محمد بن محمد المنصوري باسناده عن عمرو بن العاص، قال:

[٢٨٧] احتلمت في ليلة باردة وانا في غزوة ذات السلاسل، فاشفقت ان اغتسلت ان أُهلك، فتيممت فصليت باصحابي الصبح، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب؟ فأخبرته الذي منعني من الاغتسال فقلت اني سمعت الله يقول: ﴿ولاَ تقتلوا انْفُسَكُمْ إن اللهَ كانَ بِكُمْ رحِيماً﴾. فضحك رسول الله ﷺ، ولم يقل شيئاً[١]. فدل هذا الحديث على أن عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ. قوله ﴿ومن يفعل ذلك﴾ كان ابن عباس يقول: الاشارة تعود إلى كل ما نهى عنه من أول

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٣٤) في التيمم: باب اذا خاف الجنب البرد أيتيمم، وقال المنذري في مختصره: حسن ورواه ابن حبان والحاكم وله شاهد عند الطبراني.

السورة إلى هذا الموضع وقال قوم الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة، وقوله تعالى: ﴿عدواناً وظلماً﴾ مع العدوان ان يعدو ما أمر الله به ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ أي انه قادر على ايقاع ما توعد به من ادخال النار. وعن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ انه قال:

[٢٨٨] كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة(١). مخرج في الصحيحين. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

[٢٨٩] «من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها ابداً، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها ابداً، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل في نار جهنم خالداً فيها ابداً»(٢) مخرج في الصحيحين. وفي حديث ثابت بن الضحاك قال قال رسول الله ﷺ:

[٢٩٠] «لعن المؤمن كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة»(٣). وفي الحديث الصحيح عن الرجل الذي آلمته الجراح فاستعجل الموت، فقتل نفسه بذباب سيفه فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري في الجنائز وفي الأبناء والامام أحمد في «المسند» ٣٧٠/٣ معناه.

(٢) رواه البخاري في الطرب والجنائز ومسلم في الايمان والدارمي في الديات والنسائي في الجنائز والترمذي في الطب رقم (٢١١٥) باب من قتل نفسه بسم أو غيره والامام أحمد في «المسند» ٢٥٤/٢، ٤٧٨، ٤٨٨.

(٣) رواه البخاري في الادب والامام أحمد في «المسند» ٣٤/٤، ورواه الترمذي في الايمان رقم (٢٧٧٣) باب في من رمى أخاه بكفر، والنسائي باختصار.

[٢٩١] «**هو من أهل النار**»[١]. فنسأل الله ان يلهمنا رشدنا، وان يعيذنا من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا، انه جواد كريم غفور رحيم.

(**موعظة**) ابن آدم كيف تظن اعمالك مشيدة، وانت تعلم انها مكيدة؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة؟ وكيف تقصر في زادك وقد تحققت ان الطريق بعيدة؟ يا معرضاً عنا الى متى هذا الجفا والاعراض؟ يا غافلا عن الموت والعمر لا شك في انقراض. يا مغتراً في أمله وايدي المنايا في أجله تقرضه بمقراض، يا مغروراً بصحته وبدنه كل يوم في انتقاض، يا من يفنى كل يوم بعضه ستفنى والله الابعاض. يا غافلا عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض، يا قليل الاحتراس ونبل المنايا طوال عراض. يا من يساق الى موارد التلف وقد نزحت الحياض، يا ضاحكا وعيون الفنا غير غماض لمن هذه الاوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الإغماض.

الكبيرة الثلاثون: الكذب في غالب اقواله

قال الله تعالى: ﴿**أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلى الكَاذِبينَ**﴾ وقال الله تعالى: ﴿**قُتِلَ الخَرَّاصُونَ**﴾ (سورة الذاريات آية ١٠) أي الكاذبون، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُو مُسْرِفٌ كَذَّاب**﴾ (سورة غافر آية ٢٨).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ:

[٢٩٢] «**ان الصدق يهدي إلى البر وان البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وان الكذب يهدي إلى الفجور، وان الفجور يهدي إلى النار، وما**

---

(١) رواه البخاري في القدر وفي الرقاق.

يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »[1].

وفي الصحيحين أيضاً انه صلى الله عليه وسلم قال:

[٢٩٣] «آية المنافق ثلاث وان صلى وصام وزعم انه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان »[2]. وقال عليه الصلاة والسلام:

[٢٩٤] «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر »[3]. وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ قال:

[٢٩٥] «فأتينا على رجل مضطجع لقفاه، وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدقه إلى قفاه وعيناه إلى قفاه، ثم يذهب إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل في الجانب الأول، فما يرجع اليه حتى يصح مثل ما كان، فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة. فقلت لهما: «من هذا؟ فقالا: انه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق »[4] وقال ﷺ:

---

(١) رواه البخاري في الأدب ٤٢٣/١٠ ومسلم في البر رقم (٢٦٠٦) و(٢٦٠٧) و« الموطأ » ٩٨٩/٢، والترمذي في البر رقم (١٩٧٢) وابو داود في الأدب رقم (٤٩٨٩) باب في التشديد في الكذب والامام احمد ٣/١، ٥، ٧، ٨، ٣٨٤ والدارمي في الرقاق.

(٢) البخاري في الشهادات ومسلم في الايمان، والترمذي في الايمان رقم (٢٧٦٦): باب في علامة المنافق، والامام احمد في « المسند » ٣٩٧/٢.

(٣) رواه الترمذي في الايمان رقم (٢٧٦٨): باب في علامة المنافق، وابو داود رقم (٤٦٨٨) في السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والبخاري ٨٤/١ ومسلم في الايمان رقم (٥٨) والنسائي ١١٦/٨.

(٤) رواه البخاري في التعبير، والامام أحمد في « المسند » ٨/٥ - ٩.

[٢٩٦] «يطبع المؤمن على كل شيء ليست الخيانة والكذب»(١).
وفي الحديث:

[٢٩٧] «إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث»(٢). وقال ﷺ:

[٢٩٨] «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»(٣). العائل: الفقير. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٢٩٩] «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب. ويل له، ويل له، ويل له»(٤). وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة المجادلة آية ١٤) وفي الصحيح ان رسول الله ﷺ قال:

[٣٠٠] «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً سلعة

---

(١) رواه الامام أحمد في «المسند» ٢٥٢/٥ واسناده ضعيف لانقطاعه بلفظ «يطبع المؤمن على الخلال كلها..» وله شاهد من حديث سعد قاله في «مجمع الزوائد» الهيثمي ٩٢/١ ونسبه للبزار وابي يعلى ورجاله رجال الصحيح وقال المنذري في «الترغيب»: ولكن رجح الدارقطني وقفه.

(٢) رواه البخاري في الوصايا، والنكاح والفرائض، والادب، ومسلم في البرّ، والترمذي رقم (٢٠٥٧) في البرّ: باب ما جاء في ظن السوء، و«الموطأ» في حسن الكلام، والامام أحمد في «المسند» ٢٤٥/٢، ٣١٢، ٤٧٠، ٥٠٤.

(٣) رواه مسلم في الإيمان والامام أحمد في «المسند» ٤٨٠/٢، ومعناه عند الترمذي في صفة الجنة، والنسائي في الزكاة.

(٤) رواه ابو داود في الادب رقم (٤٩٩٠) باب في التشديد في الكذب، والترمذي في الزهد رقم (٢٣١٦) والدارمي في الاستئذان، والامام أحمد في «المسند» ٣/٥، ٥.

فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا فان أعطاه منها وفى له وان لم يعطه لم يف له »[1]. وقال ﷺ:

[٣٠١] « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وانت له به كاذب »[2]، وفي الحديث أيضاً:

[٣٠٢] « من تحلم بحلم لم يره كلف ان يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد »[3]، وقال رسول الله ﷺ:

[٣٠٣] « فري الفري على الله أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا »[4] معناه أن يقول: رأيت في منامي كيت وكيت ولم يكن رأى شيئاً. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء، حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين[5].

فينبغي للمسلم ان يحفظ لسانه عن الكلام، إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة. فان في السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شيء. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٨٧٠) في الجهاد: باب الوفاء بالبيعة وأبو داود رقم (٣٤٧٤) والبخاري ٢٥/٥ ومسلم في الايمان رقم (١٠٨) والنسائي ٢٤٧/٧ ولقد مرّ ذكره.

(٢) رواه الامام أحمد في « المسند » ١٨٣/٤ واسناده حسن وقال في الترغيب: شيخ احمد عمر بن هارون فيه خلاف. أقول: كان احمد يتحرى مشايخه.

(٣) رواه البخاري ٣٧٤/١٢ في التعبير، وابو داود رقم (٥٠٢٤) في الادب: باب ما جاء في الرؤيا. والترمذي في الرؤيا رقم (٢٢٨٤) وابن ماجه في الرؤيا، والامام أحمد ٢١٦/١، ٥٠٤/٢.

(٤) رواه البخاري في التعبير ٣٧٥/١٢ والامام أحمد في « المسند » ٩٦/٢، ١١٩.

(٥) مرّ معناه رقم (٢٩٢).

[٣٠٤] «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[١]. فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في انه لا ينبغي للانسان أن يتكلم إلا اذا كان الكلام خيراً وهو الذي ظهرت مصلحته للمتكلم، قال ابو موسى قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال:

[٣٠٥] من سلم المسلمون من لسانه ويده[٢]. وفي الصحيحين:

[٣٠٦] «ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها - أي ما يفكر فيها بانها حرام - يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»[٣]. وفي موطأ الامام مالك من رواية بلال بن الحارث المزني ان رسول الله ﷺ قال:

[٣٠٧] «ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»[٤] والأحاديث الصحيحة

---

(١) رواه البخاري ٣٧٣/١٠ في الأدب وفي الرقاق، ومسلم في الايمان رقم (٤٧) وابو داود في الأدب رقم (٥١٥٤) باب في حق الجوار. والترمذي في صفة القيامة رقم (٢٦١٧) باب رقم (١٦) و«الموطأ» صفة النبي ﷺ والامام أحمد في «المسند» ١٧٤/٢، ٢٦٧، ٤٣٣.

(٢) رواه البخاري في الايمان ٥٠/١ والرقاق، ومسلم في الايمان رقم (٤٠) والنسائي ١٠٥/٨ في الايمان والدارمي في الرقاق، واحمد ١٦٠/٢ و١٥٤/٣ وابو داود رقم (٢٤٨١) في الجهاد: باب في الهجرة هل انقطعت.

(٣) رواه البخاري في الرقاق، ومسلم في الزهد، والترمذي في الزهد رقم (٢٤٢١) باب ما جاء في قلة الكلام و«الموطأ» في الكلام والامام أحمد في «المسند» ٢٣٦/٢.

(٤) وكذلك رواه الترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (ترغيب).

بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيما أشرنااليه كفاية. وسئل بعضهم: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من ان تحصى، والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة ان استعملها سترت العيوب كلها، وهي حفظ اللسان. جنبنا الله معاصيه واستعملناه فيما يرضيه انه جواد كريم.

(موعظة) ايها العبد: لا شيء أعز عليك من عمرك وانت تضيعه، ولا عدو لك كالشيطان وانت تطيعه، ولا أضر من موافقة نفسك وانت تصافيها، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وانت تسرف فيها. لقد مضى من عمرك الاطايب فما بقي بعد شيب الذوائب؟ يا حاضر البدن والقلب غائب، اجتماع العيب الشيب من جملة المصائب. يمضي زمن الصبا وحب الحبائب. كفى زاجراً واعظاً تشيب منه الذوائب. يا غافلاً فانه أفضل المناقب، أين البكا لخوف العظيم الطالب اين الزمان الذي ضاع في الملاعب؟ نظرت فيه آخر العواقب. كم في القيامة مع دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب! من لي اذا قمت في موقف المحاسب وقيل لي: ما صنعت في كل واجب؟

كيف ترجو النجاة وتلهو باسر الملاعب، إذا اتتك الاماني بظن الكاذب. الموت صعبٌ شديد مر المشارب، يلقي شره بكأس صدور الكتائب. فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب يأتي بقهر ويرمي بسهم صائب. يا آملاً ان تبقى سليماً من النوائب بنيت بيتاً كنسيج العناكب. أين الذين علوا متون الركايب، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب وانت بعد قليل حليف المصايب، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجايب.

الكبيرة الحادية والثلاثون: القاضي السوء

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ فأولئكَ هُمُ الكَافِرُون﴾ (سورة المائدة آية ٤٤) وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئكَ هُمُ الظَّالِمُون﴾ (سورة المائدة آية ٤٥) وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُون﴾ (سورة المائدة آية ٤٧).

روى الحاكم باسناده وفي صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال:

[٣٠٨] «**لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله**»[١].

وصحح الحاكم أيضاً من حديث بريدة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

[٣٠٩] «**القضاة ثلاثة: قاض في الجنة وقاضيان في النار، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة، وقاض عرف الحق فجار متعمداً فهو في النار، وقاض قضى بغير علم فهو في النار**». قالوا فما ذنب الذي يجهل؟ قال: «**ذنبه أن لا يكون قاضياً حتى يعلم**»[٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) وفي سنده عبدالله بن محمد العدوي واهٍ منهم، وهذا مما أنكر على الحاكم: (المنذري) ولفظه «لا يقبل الله صلاة امام جائر»، وقال الذهبي في رسالته الصغرى: بسند لا أرضاه.

(٢) رواه أبو داود في الأقضية رقم (٣٥٧٣) باب في القاضي يخطىء واسناده صحيح، ورواه ابن ماجه في الاحكام رقم (٢٣١٥) باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق، والترمذي رقم ١٣٢٢ في الأحكام مختصراً واسناده يتقوى بما رواه الطبراني وأبو يعلى من حديث ابن عمر ذكره الهيثمي في «المجمع» ١٩٣/٤ وقال رجال الطبراني في الكبير ثقات، وقواه المصنف في صغراه.

[٣١٠] « من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين »[١] . وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله ، ينبغي للقاضي أن يكون يوماً في القضاء ويوماً في البكاء على نفسه. وقال محمد بن واسع رحمه الله: اول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[٣١١] « يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة »[٢]. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« ان القاضي ليزل في زلقة في جهنم أبعد من عدن ». وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[٣١٢] « ليس من وال ولا قاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريرته فتقرأ على رؤوس الخلائق، فان كان عدلاً نجاه الله بعدله، وان كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضاً، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم »[٣]. وقال مكحول: لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي على

---

(١) رواه ابو داود في الأقضية رقم (٣٥٧١) باب في طلب القضاء وابن ماجه في الاحكام رقم (٢٣٠٨) باب ذكر القضاة واسنادها قوي جيد، ورواه الترمذي، رقم (١٣٢٥) في الاحكام: باب ما جاء في القاضي وقال حسن غريب يتقوى بما عند ابي داود وابن ماجه وصححه الحاكم ٩١/٤ والامام أحمد في « المسند » ٢٣٠/٢.

(٢) رواه الامام أحمد في « المسند » ٧٥/٦ ورواه ابن حبان في صحيحه (ترغيب) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٩٢/٤ وقال اسناده حسن ونسبه للامام أحمد والطبراني في الاوسط.

(٣) رواه في « مجمع الزوائد » الهيثمي ٢٠٦/٥ عن عمر بن الخطاب باسنادين عند الطبراني فالأول وفيه متروك والثاني قال فيه الهيثمي: وفيه من لم أعرفه.

القضاء وقال ايوب السختياني: (اني وجدت أعلم الناس أشدهم هرباً منه). وقيل للثوري: ان شريحاً قد استقضي، فقال: اي رجل قد أفسدوه! ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجعله على قضاء البصرة فأبى، فعاوده وقال: لتجلسن، والا جلدتك. فقال: ان تفعل فانك سلطان، وان ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة، وقال وهب بن منبه: اذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء، وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك. وكتب عامل من عمال حمص الى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه: أما بعد فان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح. فكتب اليه عمر: حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور، والسلام. قال: ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان واذا اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة[1] وقلة ورع فقد تم خسرانه ووجب عليه أن يعزل نفسه، ويبادر بالخلاص. فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى، انه جواد كريم.

(موعظة) يا من عمره كلما زاد نقص، يا من يأمن ملك الموت وقد اقتص يا مائلا الى الدنيا هل سلمت من النقص؟ يا مفرطاً في عمره هل بادرت الفرص؟ يا من اذا ارتقى في منهاج الهدى ثم لاج له الهوى نكص، من لك يوم الحشر عند نشر القصص[2]. عجباً لنفس أمست بالليل هاجعة، ونسيت أهوال يوم الواقعة، ولئن تقرعها المواعظ

---

(١) في الأساس: زعر الرجل زعراً ساء خلقه وقل خيره.

(٢) القصص: جمع قصة: يعني الصحف التي فيها الأعمال.

فتصغي لها سامعة، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة، وليست له في حال من الأحوال طائعة، والأقدام سعت في الهوى في طرق شاسعة، بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة، والهمم شرعت في مشارع الهوى متنازعة، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة، وقلوب تضمر التوبة اذا فزعت بزواجر رادعة، ثم تعود إلى ما لا يحل مراراً متتابعة.

الكبيرة الثانية والثلاثون: أخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالكم بَيْنَكُمْ بالبَاطل وَتُدْلوا بِهَا إلى الحُكَّام لِتَأْكُلُوا فريقاً من أَمْوال النَّاس بالإثم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة آية ١٨٨).

أي لا تدلوا بأموالكم الى الحكام، أي لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

[٣١٣] «**لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم**»(١) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن. وعن عبد الله بن عمرو: لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي.

قال العلماء: فالراشي هو الذي يعطي الرشوة، والمرتشي هو الذي

---

(١) رواه الترمذي في الاحكام رقم (١٣٣٧) باب ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم وقال: حديث حسن صحيح ورواه ابن ماجه في الاحكام رقم (٢٣١٣) والامام أحمد في «المسند» ١٦٤/٢ وابن حبان في صحيحه والحاكم وزاد «والرائش» يعني الذي يسعى بينهما. وزاد في «مجمع الزوائد» ١٩٩/٤ للطبراني في الصغير ورجاله ثقات وعن أم سلمة في الكبير ورجاله ثقات وابو داود رقم (٣٥٨٠) في الأقضية: باب في كراهية الرشوة.

يأخذ الرشوة، وإنما تلحق اللعنة الراشي اذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق، أما اذا أعطى ليتوصل الى حق له ويدفع عن نفسه ظلماً فإنه غير داخل في اللعنة، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقاً أو دفع بها ظلماً. وقد روي في حديث آخر:

[٣١٤] ان اللعنة على الرائش أيضاً وهو الساعي بينهما، وهو تابع للراشي في قصده خيراً لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته[١].

(فصل): ومن ذلك ما روى أبو داود في سننه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

[٣١٥] «**من شفع لرجل شفاعة فأهدي له عليها هدية فقد أتى باباً كبيراً من أبواب الربا**»[٢]. وعن ابن مسعود قال: السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضي فيهدي اليك هدية فتقبلها منه، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها فأهدى اليه صاحب المظلمة وصيفاً فردها ولم يقبلها، وقال سمعت ابن مسعود يقول:

[٣١٦] من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلاً أو كثيراً فهو سحت. فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن ان السحت الا الرشوة في الحكم. فقال: ذلك كفر[٣]، نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه.

---

(١) هذه الزيادة عند الحاكم وانظر الحديث (٣١٣) و«مجمع الزوائد» عن ثوبان ١٩٨/٤ ونسبه لأحمد والبزار والطبراني في «الكبير» وفيه ابو الخطاب وهو مجهول.

(٢) رواه أبو داود في البيوع رقم (٣٥٤١) باب في الهدية لقضاء الحاجة واسناده حسن.

(٣) رواه الهيثمي باسنادين في «مجمع الزوائد» ١٩٩/٤ والأول رواه ابو يعلى وشيخ ابي يعلى محمد بن عثمان بن عمر لم يعرفه الهيثمي والثاني وقال فيه: «الرشوة في الحكم كفر وهو بين الناس سحت» رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح موقوفاً على ابن مسعود.

(الحكاية):

عن الامام ابي عمر الاوزاعي رحمه الله - وكان يسكن ببيروت - ان نصرانياً جاء اليه فقال: ان والي بعلبك ظلمني بمظلمة، وأريد ان تكتب اليه واتاه بقلة عسل، فقال الأوزاعي رحمه الله: ان شئت رددت القلة وكتبت لك اليه، وان شئت أخذت القلة. فكتب له إلى الوالي أن ضع عن هذا النصراني من خراجه. فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالي فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهماً بشفاعة الامام، رحمه الله وحشرنا في زمرته.

(موعظة) عباد الله: تدبروا العواقب، واحذروا قوة المناقب، واخشوا عقوبة المعاقب، وخافوا سلب السالب، فانه والله طالب غالب. أين الذين قعدوا في طلب المنى وقاموا، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا؟ ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا! لقد وبخوا في نفوسهم في قعر قبورهم على ما أسلفوا ولاموا:

اما والله لو علم الانام ... لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
مات، ثم قبر، ثم حشر، ... وتوبيخ، وأهوال، عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن اذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف ايقاظ نيام

يا من بأقذار الخطايا قد تلطخ، وبآفات البلايا قد تضمخ، يا من سمع كلام من لام ووبخ، يعقد عقد التوبة حتى اذا أمسى يفسخ، يا مطلقاً لسانه والملك يحصى وينسخ، يا من طير الهوى في صدره قد عشش وفرخ، كم أباد الموت ملوكاً كالجبال الشمخ، كم أزعج قواعد كانت في الكبر ترسخ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن ورائهم برزخ، يا من

قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ، يا مبارزاً بالعظائم أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ، يا من لازم العيب بعد اشتمال الشيب ففعله يؤرخ. والحمد لله دائماً أبداً.

الكبيرة الثالثة والثلاثون: تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال:

[٣١٧] «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء»[١]. وفي رواية:

[٣١٨] «لعن الله الرجلة من النساء»[٢]. وفي رواية قال:

[٣١٩] «لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء»[٣] يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في لبسهم وحديثهم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

[٣٢٠] «لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة»[٤].

---

(١) رواه ابو داود في اللباس (٤٠٩٧) باب لباس النساء، وابن ماجه في النكاح رقم (١٩٠٤) باب في المخنثين والامام أحمد في «المسند» ٣٣٩/١ والترمذي رقم (٢٩٣٥) في الآداب: باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء ورواه البخاري في اللباس.

(٢) رواه ابو داود في اللباس رقم (٤٠٩٩) باب لباس النساء، وقال الذهبي في رسالته الصغرى: اسناده حسن.

(٣) رواه البخاري في اللباس ٢٨٠/١٠ والحدود، والدارمي في الاستئذان والترمذي رقم (٢٧٨٥) و(٢٧٨٦) وابو داود في الأدب رقم (٤٩٣٠) باب في الحكم في المخنثين، والامام أحمد في «المسند» ٢٢٥/١.

(٤) رواه ابو داود رقم (٤٠٩٨) في اللباس: باب لباس النساء، والامام أحمد في «المسند» ٣٢٥/٢.

فاذا لبست المرأة زي الرجل من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها اذا أمكنها من ذلك أي رضي به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ﴾ (سورة التحريم آية ٦) أي أدبوهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم في حق أنفسكم، ولقول النبي ﷺ:

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. الرجل راع في أهله ومسؤول عنهم يوم القيامة»[1]. وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

[٣٢١] **«ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء»**[2] وقال الحسن: والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى في النار، وقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٢٢] **«صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**[3] أخرجه مسلم. (قوله) كاسيات أي من نعم الله عاريات من شكرها وقيل: هو أن تلبس المرأة ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها. ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما

---

(١) مرّ ذكره رقم ١٥٤.

(٢) أخرجه مسلم وغيره من حديث ابي هريرة وله شاهد من حديث ابن عمر وصححه ابن حبان وقال الحاكم على شرط مسلم افاده المنذري رحمه الله تعالى. وهو عند الامام أحمد في «المسند» ٤٥/٥.

(٣) رواه مسلم في اللباس والجنّة ورواه الامام أحمد في «المسند» ٣٥٥/٢، ٤٤٠و ٢٥٠/٥.

يلزمهن حفظه، مميلات أي يعلمن غيرهن الفعل المذموم، وقيل مائلات متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة. رؤوسهن كأسنمة البخت أي يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوهما وعن نافع قال: كان ابن عمر وعبدالله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب اذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً. فقال عبدالله بن عمر: أرجل أنت أم امرأة؟ فقالت: امرأة فالتفت الى ابن عمرو فقال: إن الله تعالى لعن على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهون من الرجال بالنساء[1].

ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها إلى غير ذلك اذا خرجت، وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة، وهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء، قال عنهن النبي ﷺ:

[٣٢٣] اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء[2]، وقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٢٤] ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء[3].

فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه.

---

(١) مرّ ذكره رقم ٣١٧.

(٢) رواه البخاري في النكاح، والرقاق، وبدء الخلق، والترمذي في صفة جهنم رقم (٢٧٣٠) باب ما جاء أن اكثر أهل النار النساء، والامام أحمد في «المسند» ١/٢٣٤ و٣٥٩.

(٣) رواه مسلم رقم (٢٧٤٢) وابن ماجه في الفتن رقم (٣٩٩٨) باب فتنة النساء، والترمذي في الأدب رقم (٢١٩٢).

(موعظة) ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم، ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم، ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم. مفرقاً من مالك ما اجتمع ومن شملك ما انتظم، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم، وندمت على التفريط غاية الندم، فيا عجباً لعين تنام وطالبها لم ينم، متى تحذر مما توعد وتهدد، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد، الى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد، إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وان شدد، إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد، متى تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد، متى تترك ما يفنى فيما لا ينفذ، متى تهب بك في بحر الوجد ريح الخوف والرجاء، متى تكون في الليل قائماً اذا سجا، أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا، وقدموا إلى بابه في الاسحار ووفدوا، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا. وبقيت في أعقابهم وان لم تلحق بعدوا:

يا نائم الليل متى ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد
من نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد
فقل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة العرض لكم موعد

الكبيرة الرابعة والثلاثون: الديوث المستحسن على أهله والقواد الساعي بين الاثنين بالفساد

قال الله تعالى: ﴿الزَّاني لاَ يَنْكحُ إلاَّ زَانيةً أوْ مُشْركَةً والزَّانيةُ لاَ يَنكحُهَا إلاَّ زَان أوْ مُشْرك وَحُرِّمَ ذَلكَ عَلى المؤْمنينَ﴾ (سورة النور آية ٣).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

[٣٢٥] «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء»[١] وروى النسائي ان رسول الله ﷺ قال:

[٣٢٦] «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذي يقر الخبث في أهله»[٢] يعني يستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك.

قال المصنف رحمه الله تعالى: فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه ديناً وهو عاجز، أو صداقاً ثقيلاً، أو له أطفال صغار فترفعه الى القاضي وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه، ولا خير فيمن لا غيرة له. فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم.

(موعظة) ايها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد لما هو آت، حتى متى لا تجتهد في إلحاق القوافل الماضيات، أتطمع وأنت رهين الوساد في لحاق السادات؟ هيهات هيهات هيهات! يا آملاً في زعمه اللذات إحذر هجوم هازم اللذات، احذر مكائده فهي كوامن في عدة الأنفاس واللحظات:

تمضي حلاوة ما اخفيت وبعدها — تبقى عليك مرارة التبعات
يا حسرة العاصين يوم معادهم — لو أنهم سبقوا الى الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذي — ستر العيوب لأكثروا الحسرات

---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٢٧/٤ وقال: رواه الطبراني وفيه مساتير وليس فيهم من قيل إنه ضعيف عن عمار ورواه الامام أحمد في «المسند» ١٣٤/٢ واسناده صحيح عن ابن عمر، ورواه البزار والحاكم وقال: صحيح الاسناد.

(٢) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٢٧/٤ ونسبه لأحمد وفيه راو لم يسم ورواه الامام أحمد في «المسند» ٦٩/٢ و١٢٨ ورواه البزار والحاكم وقال صحيح الاسناد وهو من حديث ابن عمر قاله (المنذري).

يا من صحيفته بالذنوب قد حفت، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت، أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت، أما رأيت عرائس آحاد الى اللحود قد زفت، أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت في الأكفان ولفت، أما عاينت طور الأجسام في الأرحام ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس، متى تعتبر بربع غيرك الدارس؟ أين الأكاسر الشجعان الفوارس، وأين المنعمون بالجواري والظباء الخنس الكوانس، اين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس، أين من اعتاد سعة القصور! حبس في القبور في أضيق المحابس! أين الرافل في أثوابه عري في ترابه عن الملابس، أين الغافل في أمله وأهله عن أجله سلبته أكف الخالس، أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس! حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها، ولمن جهل نفسه أن يزجرها، ولمن تحقق نقلته أن يذكرها، ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها، ولمن دعي الى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها.

الكبيرة الخامسة والثلاثون: المحلل والمحلل له

صح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

[٣٢٧] أن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له[١]. قال الترمذي: والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان، وعبدالله بن عمر، وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه

---

(١) رواه ابن ماجه في النكاح رقم (١٩٣٤) و(١٩٣٥) و(١٩٣٦) باب المحلل والمحلل له، وابو داود في النكاح رقم (٢٠٧٦) باب في التحليل والترمذي في النكاح رقم (١١١٩) و(١١٢٠) والنسائي ١٤٩/٦ والدارمي في النكاح والامام أحمد في «المسند» ٨٧/١ و٣٢٣/٢ واسناده يرتقي الى الحسن.

الامام أحمد في مسنده والنسائي في سننه ايضاً باسناد صحيح. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن المحلل فقال:

[٣٢٨] «لا، الا نكاح رغبة، **لا نكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوق العسيلة**»[١]. ورواه ابو اسحاق الجوزجاني. وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ:

[٣٢٩] «**ألا أخبركم بالتيس المستعار؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له**[٢]. رواه ابن ماجه باسناد صحيح. وعن ابن عمر أن رجلاً سأله فقال: ما تقول في امرأة تزوجتها أحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم؟ فقال له ابن عمر: لا، الا نكاح رغبة ان اعجبتك أمسكتها وان كرهتها فارقتها، وانا كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ[٣]. وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتها». وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال: (ذلك السفاح).

وعن عبد الله بن شريك العامري قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له، ثم ندم ورغب فيها، فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له. فقال ابن عمر: حلاهما ان وان مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان يعلم انه يريد أن يحللها. وعن ابن

---

(١) ذكر الهيثمي معناه في «مجمع الزوائد» عن ابن عمر ٢٦٧/٤ وقال: «لا إلا نكاح غبطة..» ونسبه للطبراني في الاوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن ماجه في النكاح رقم (١٩٣٦) وفي اسناده مشرح بن حاعان اختلف فيه: والصواب ترك ما انفرد به تفرد بالتسمية «التيس المستعار» أما اللعن فلقد ورد عن غيره.

(٣) مرّ ذكره رقم ٣٢٨.

عباس رضي الله عنهما انه سأله رجل فقال: ابن عمي طلق امرأته ثلاثاً ثم ندم فقال: ابن عمك عصى ربه فأندمه، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا. فقال: كيف ترى في رجل يحلها له؟ فقال: من يخادع الله يخدعه.

وقال ابراهيم النخعي: إذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل. ولا تحل للأول وقال الحسن البصري: إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد وقال سعيد بن المسيب امام التابعين في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول، فقال: لا تحل. وممن قال بذلك مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والامام أحمد.

وقال اسماعيل بن سعد: سألت الامام احمد عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه ان يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك؟ فقال هو محلل واذا أراد بذلك الاحلال فهو ملعون، ومذهب الشافعي رحمه الله: اذا شرط التحليل في العقد بطل العقد، لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة، وان وجد الشرط قبل العقد فالاصح الصحة، وان عقد كذلك ولم يشرط في العقد ولا قبله لم يفسد العقد، وان تزوجها على انه إذا أحلها طلقها ففيه قولان أصحهما انه يبطل. ووجه البطلان انه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح في الرافعي. ووجه الثاني انه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط ان لا يتزوج عليها ولا يسافر بها والله أعلم. فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه، ويجنبنا معاصيه، انه جواد كريم غفور رحيم.

(موعظة) لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها، واخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها، التقطوا أيام السلامة فغنموا، وتلذذوا بكلام

مولاهم فاستسلموا لامره وسلموا، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا، هجروا في طاعته لذيذ الكرى وهربوا اليه من جميع الورى، وآثروا طاعته ايثار من علم ودرى. ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشرا، اسلموا اليه لما سلموا الروح، وخدموه والصدر لخدمته مشروح، وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح، وقاموا في الاسحار قيام من يبكي وينوح، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح، وراضوا انفسهم فاذا المذموم ممدوح. تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح، قد عبقوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح، من طيب الثنا روائح لهم بكل مكان تستنشق، ممسكة النفحات الا انها وحشية لسواهم لا تعبق.

الكبيرة السادسة والثلاثون: عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (سورة المدثر آية ٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال:

[٣٣٠] «انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من البول أي لا يتحرز منه»[١]. مخرج في الصحيحين، وقال رسول الله ﷺ:

[٣٣١] «استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه»[٢] رواه الدارقطني.

---

(١) رواه البخاري ٢٧٣/١ في الوضوء والجنائز والأدب، ومسلم في الطهارة رقم (٢٩٢) وابو داود رقم (٢٠) في الطهارة: باب الاستبراء من البول، والترمذي في الطهارة رقم (٧٠) والنسائي في الطهارة ٢٨/١ وابن ماجه في الطهارة رقم (٣٤٧) باب التشديد في البول، ورواه الامام أحمد في «المسند» ٢٢٥/١، ٣٥/٥ و٣٩.

(٢) ورواه ابن ماجه رقم (٣٤٨) في الطهارة باب التشديد في البول، واسناده صحيح.

ثم ان من لم يتحرز من البول في بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة.

وروى الحافظ أبو نعيم في «الحلية» عن شقي بن ماتع الأصبحي عن رسول الله ﷺ قال:

[٣٣٢] «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون ما بين الحميم والجحيم، ويدعون بالويل والثبور، ويقول أهل النار لبعضهم البعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى. قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر امعاءه، ورجل يسيل فمه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه. قال: فيقال لصاحب التابوت: ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: ان الابعد مات وفي عنقه أموال الناس، ثم يقال للذي يجر امعاءه: ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: ان الابعد كان لا يبالي أين ما أصاب البول منه «ولا يغسله». ثم يقال للذي يسيل فمه قيحاً ودماً: ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: ان الابعد كان ينظر كل كلمة قبيحة فيستلذها»[١]. وفي رواية: «كان يأكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة، ثم يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: ان الابعد كان يأكل لحوم الناس» - يعني بالغيبة.

فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه انه ارحم الراحمين.

(موعظة) أيها العبيد تذكروا في مصارع الذين سبقوا، وتدبروا في عواقبهم اين انطلقوا، واعلموا انهم قد تقاسموا وافترقوا، أما أهل

---

(١) رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الصمت وفي ذم الغيبة، والطبراني في الكبير باسناد لين، وابو نعيم في «الحلية» وقال: شقي بن ماتع مختلف في صحبته. فقيل له صحبة. قال الحافظ المنذري: شقي ذكره البخاري وابن حبان في التابعين (ترغيب).

الخير فسعدوا وأما أهل الشر فشقوا، فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا:

والمرء مثل هلال عند مطلعه ... يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتسق
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه ... كر[1] الجديدين نقصاً ثم يمتحق
كان الشباب رداء قد بهجت به ... فقد تطاير منه للبلا خرق
ومات مبتسم جد المشيب به ... كالليل ينهض في أعجازه الأفق
عجبت والدهر لا تفنى عجائبه ... من راكنين الى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبها ... بطارق الفجع والتنغيص قد طرقوا
دار لعهد بها الآجال مهلكة ... وذو التجارب فيها خائف فرق
يا للرجال لمخدوع بباطلها ... بعد البيان ومغرور بها يثق
أقول والنفس تدعوني لزخرفها ... أين الملوك، ملوك الناس والسوق
اين الذين إلى لذاتها جنحوا ... قد كان قبلهم عيش ومرتفق
أمست مساكنهم قفرا معطلة ... كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذة دار لا بقاء لها ... ان اغتراراً بظل زائل حمق

الكبيرة السابعة والثلاثون: الرياء

قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين:

﴿يُرَاؤُونَ النَّاس وَلاَ يَذْكُرونَ الله إلاَّ قليلاً﴾ (سورة النساء آية ١٤٢) وقال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتهمْ سَاهُون الَّذِين هُمْ يُرَاؤُنَ وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾ (سورة الماعون آية ٤) وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنِّ والأَذَى كالَّذي يُنفقُ

---

(١) يعني تعاقب الليل والنهار.

مَالَهُ رِئاء النَّاس﴾ (سورة البقرة آية ٢٦٤) وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَملاً صالحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحداً﴾ سورة الكهف آية ١١٠).

اي لا يرائي بعمله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

[٣٣٣] «ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد في سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريء، وقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم، وقرأت ليقال هو قارىء، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[١] رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٣٤] «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يراءى به»[٢]. قال الخطابي معناه من عمل عملاً على غير إخلاص انما يريد ان يراه الناس

---

(١) رواه مسلم في الامارة والنسائي في الجهاد والامام أحمد في «المسند» ٣٢١/٢.

(٢) رواه البخاري ٢٨٧/١١ في الرقاق، والاحكام ومسلم في الزهد رقم (٢٩٨٧) والترمذي في الزهد رقم ٢٣٨٢ وابن ماجه في الزهد رقم (٤٢٠٧) والامام أحمد في «المسند» ٤٠/٣ و٤٥/٥.

ويسمعوه جوزي على ذلك بانه يشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك، والله أعلم. وقال عليه الصلاة والسلام:

[٣٣٥] «اليسير من الرياء شرك»[١]. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٣٦] «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فقيل: وما هو يا رسول الله؟ قال الرياء. يقول الله تعالى يوم يجازي العباد باعمالهم: «اذهبوا الى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[٢]، وقيل في قول الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (سورة الزمر آية ٤٧) قيل: كانوا عملوا أعمالاً كانوا يرونها في الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات، وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول: ويل لأهل الرياء وقيل:

[٣٣٧] ان المرائي ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي، يا غادر، يا فاجر، يا خاسر، اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا[٣].

وقال الحسن: المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء، يريد أن يقول الناس هو صالح، فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الارداياء؟ فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه. وقال قتادة: إذا راءى العبد يقول الله: انظروا إلى عبدي كيف يستهزىء بي. وروي ان عمر

---

(١) رواه الحاكم من حديث معاذ والطبواني نحوه (العراقي) ورواه ابن ماجه مطولاً في الفتن رقم (٣٩٨٩) باب من ترجى له السلامة من الفتن.

(٢) رواه الامام أحمد في «المسند» ٤٢٨/٥ و٤٢٩، واسناده صحيح، والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبراني عنه عن رافع بن خديج قاله العراقي.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا من رواية جبلة اليحصي عن صحابي لم يسم واسناده ضعيف (العراقي).

ابن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى رجل وهو يطأطئ رقبته، فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب. وقيل: ان ابا امامة الباهلي رضي الله عنه اتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو، فقال له أبو أمامة: أنت، أنت، لو كان هذا في بيتك! وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار، لأن السمت بالنهار للمخلوقين، والسمت بالليل لرب العالمين. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل اذا كان وحده، وينشط اذا كان في الناس، ويزيد في العمل اذا أثني عليه، وينقص اذا ذم به. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

فنسأل الله المعونة والاخلاص في الأعمال والأقوال والحركات والسكنات انه جواد كريم.

(موعظة) عباد الله! ان أيامكم قلائل ومواعظكم قواتل، فليخبر الأواخر الأوائل، وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل، يا من يوقن أنه لا شك راحل، وما له زاد ولا رواحل، يا من لج في لجة الهوى متى ترتقي إلى الساحل؟ هل انتبهت من رقاد شامل، وحضرت المواعظ بقلب غير غافل، وقمت في الليل قيام عاقل، وكتبت بالدموع سطور الرسائل، تخفي بها زفرات الندم والوسائل، وبعثتها في سفينة دمع سائل. لعلها ترسي على الساحل. واأسفا لمغرور جهول غافل، لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل، وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل، وركن الى ركوب الهوى ركبة مائل، يبني البنيان ويشيد المعاقل، وهو عن ذكر قبره متشاغل، ويدعي بعد هذا أنه عاقل. تالله لقد سبقه الابطال الى أعلى المنازل، وهو يؤمل في بطالته فوز العامل، وهيهات هيهات

ما فاز باطل بطائل:

أيهـا المعجب فخرا ... بمقاصير البيوت
إنما الـدنيـا محل ... لقيـام وقنوت
فغـداً تنزل بيتـاً ... ضيقـاً بعـد النحوت
بيـن أقـوام سكوت ... نـاطقـات في الصموت
فـارض في الـدنيا بثو ... ب ومن العيش بقوت
واتخـذ بيتـاً ضعيفـاً ... مثـل بيـت العنكبوت
ثم قـل: يـا نفس هـذا ... بيـت مثواك فموتي

الكبيرة الثامنة والثلاثون: التعلم للدنيا وكتمان العلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىٰ اللهَ من عباده العُلَمَاءُ﴾ (سورة فاطر آية ٢٨) يعني العلماء بالله عز وجل، قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خَلْقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني. وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله تعالى. وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم. وقال الله تعالى:

﴿إِنَّ الذينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلنَا مِنَ البَيِّنات والهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ للنَّاس في الكتَاب أولئكَ يَلْعنهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ (سورة البقرة آية ١٥٩).

نزلت هذه الآية في علماء اليهود، وأراد بـ ﴿البينات﴾ الرجم والحدود والأحكام، وبالهدى أمر محمد عليه الصلاة والسلام، ونعته ﴿من بعد ما بيناه للناس﴾ أي بني اسرائيل ﴿في الكتاب﴾ أي في التوراة، ﴿أولئـك﴾ يعني الـذين يكتمون ﴿يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ قال ابن عباس: كل شيء لا الجن والأنس. وقال ابن

مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون أمر محمد ﷺ وصفته. وقال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران آية ١٨٧).

قال الواحدي: نزلت هذه الآية في يهود المدينة، أخذ الله ميثاقهم في التوراة ليبينن شأن محمد ﷺ ونعته ومبعثه ولا يخفونه، وهو قوله تعالى: ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ وقال الحسن: هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما في كتابهم، وفيه ذكر رسول الله ﷺ وقوله ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾. قال ابن عباس: أي ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم، ﴿واشتروا به ثمناً قليلا﴾، يعني ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم في العلم، وقوله: ﴿فبئس ما يشترون﴾. قال ابن عباس: قبح شراؤهم وخسروا. وقال رسول الله ﷺ:

[٣٣٨] «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة»[١] يعني ريحها رواه أبو داود وقد مر حديث أبا هريرة في الثلاثة الذين يسحبون الى النار، أحدهم الذي يقال له: إنما تعلمت ليقال عالم وقد قيل[٢] وقال ﷺ:

---

(١) رواه ابو داود في العلم رقم (٣٦٦٤) باب في طلب العلم لغير الله واسناده حسن وتوبع في (جامع بيان العلم ١/١٩٠) ورواه ابن ماجه رقم (٢٥٢) في المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ورواه الامام أحمد في «المسند» ٢/٣٣٨ وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: على شرط مسلم وقال المصنف (الذهبي) في الصغرى: سنده صحيح.

(٢) مرّ ذكره رقم ٣٣٣.

[٣٣٩] « من ابتغى العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس اليه، فإلى النار »[١]. وفي لفظ « أدخله الله النار » أخرجه الترمذي، وقال ﷺ:

[٣٤٠] « من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار »[٢]. وكان من دعاء رسول الله ﷺ:

[٣٤١] « أعوذ بك من علم لا ينفع »[٣]. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٤٢] « من تعلم علماً لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبراً »[٤]. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٣٤٣] « يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له بما لقيت هذا وإنما اهتدينا

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٥٦) في العلم: باب في من طلب بعلمه الدنيا، وابن ماجه في المقدمة رقم (٢٥٣) باب الانتفاع بالعلم والعمل به واسناده ضعيف له شاهد عند ابن ماجه رقم (٢٥٤).

(٢) رواه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٦٣/١ ونسبه لأبي يعلى والطبراني في الكبير عن ابن عباس ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الكبير والاوسط عن عبدالله بن عمرو قال الهيثمي ورجاله موثقون: ورواه أبو داود عن ابي هريرة رقم (٣٦٥٨) باب كراهية منع العلم، والترمذي في العلم رقم (٢٦٥١) باب ما جاء في كتان العلم وقال: حديث حسن، وابن ماجه رقم (٢٦١) في المقدمة باب من سئل عن علم فكتمه، والامام أحمد في « المسند » ٢٦٣/٢ و٣٠٥.

(٣) رواه مسلم في الذكر رقم (٢٧٢٢) والترمذي في الدعوات، والنسائي في الاستعاذة ٢٦٢/٨ وابو داود في الوتر رقم (١٥٤٨) في الاستعاذة وابن حبان رقم (٢٤٤٢) موارد، وابن ماجه في المقدمة رقم (٢٥٠) باب الانتفاع بالعلم والعمل به والامام أحمد في « المسند » ١٦٧/٢ و١٩٢/٣.

(٤) لم أجده بهذا النص ولكن روى معناه الديلمي عن ابن عباس « من طلب العلم لغير العمل فهو كالمستهزىء بربه عز وجل ».

بك فيقول: كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه»[1] وقال هلال بن العلاء: طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه والعمل به أشد من حفظه، والسلامة منه أشد من العمل به. فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

(موعظة) ابن آدم! متى تذكر عواقب الأمور؟ متى ترحل الرحال عن هذه القصور؟ الى متى أنت في جميع ما تبني تدور؟ أين من كان من قبلكم في المنازل والدور؟ اين من ظن بسوء تدبيره انه لا يحور؟ رحل والله الكل فاجتمعوا في القبور؟ واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور، فاذا قاموا الى فصل القضاء والسماء تمور، كشفوا الحجاب المخفي وهتك المستور، وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما في الصدور، ونصب الصراط فكم من قدم عثور، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور. وباءوا بتجارة لن تبور، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهي تفور، إذ ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور، ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور، إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور.

إنما الـــدنيـــا متـــاع — كـــل مـــا فيهـــا غرور
فتـــذكر هول يوم — السما فيـــــــه تمور

---

(١) رواه ابن حبان من حديث أسامة بن زيد ورواه البيهقي وابن حبان من حديث أنس (المنذري) فما هنا من جعله من حديث ابي أمامة خطأ من الناسخ أو سبق قلم.

الكبيرة التاسعة والثلاثون: الخيانة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الانفال آية ٢٧).

قال الواحدي رحمه الله تعالى: نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ الى بني قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم، فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار ابو لبابة الى حلقه أي انه الذبح فلا تفعلوا، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله. قال ابو لبابة: فما زالت قدماي من مكاني حتى عرفت اني خنت الله ورسوله، وقوله: ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الانفال آية ٢٧) عطف على النهي أي ولا تخونوا أماناتكم. قال ابن عباس: الأمانات الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد، يعني الفرائض يقول: لا تنقضوها. قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله فمعصيتها، وأما خيانة الأمانة: فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى. وقوله ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنها أمانة من غير شبهة، وقال تعالى: ﴿ان الله يهدي كيد الخائنين﴾ (سورة يوسف، آية ٥٢) أي لا يرشد كيد من خان أمانته يعني أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية، وقال عليه الصلاة والسلام:

[٣٤٤] «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان»[١] وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري في الشهادات ومسلم والترمذي في الايمان من حديث أبي هريرة والامام أحمد معناه في المسند، ١٩٨/٢ و٥٣٦، وروى نحوه أبو يعلى من حديث أنس قاله المنذري.

[٣٤٥] « **لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له** »[١]
والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم. وعن رسول الله ﷺ أنه قال:

[٣٤٦] « **أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك** »[٢].
وفي الحديث أيضاً:

« **يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب** »[٣] وقال رسول الله ﷺ:

[٣٤٧] « **يقول الله أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه** »[٤] وفيه أيضاً:

[٣٤٨] « **أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة، ورب مصل لا خير فيه** »[٥]. وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه الامام أحمد في « المسند » ١٣٥/٣ و١٥٤ و٢١٠ و٢٥١ واسناده حسن ورواه البزار والطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه من حديث أنس والطبراني في « الاوسط » و« الصغير » من حديث ابن عمر.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٥٣٥) في البيوع: باب الرجل يأخذ حقه من تحت يده، واسناده حسن، ورواه الترمذي في البيوع رقم (١٢٦٤) والدارمي في البيوع ٢٦٤/٢ والامام أحمد في « المسند » ٤١٤/٣.

(٣) مرّ ذكره رقم ١٥٠.

(٤) رواه أبو داود في البيوع رقم (٣٣٨٣) باب في الشركة واسناده حسن ورواه الحاكم وقال: صحيح الاسناد.

(٥) روى معناه ابن ماجه في الفتن رقم (٤٠٥٣) باب ذهاب الامانة « ينام الرجل النومة، فترفع الامانة من قلبه » ورواه البخاري والترمذي ومسلم مثل ابن ماجه.

[٣٤٩] «اياكم والخيانة فانها بئست البطانة»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام:

[٣٥٠] «هكذا أهل النار وذكر منهم رجلاً لا يخفى(٢) له طمع وان دق الا خانه»(٣). وقال ابن مسعود:

[٣٥١] «يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ قال فتمثل له كهيئتها يوم أخذها في قعر جهنم، ثم يقال له إنزل اليها فأخرجها، قال فينزل اليها فيحملها على عاتقه فهي عليه اثقل من جبال الدنيا، حتى اذا ظن انه ناج هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين ثم قال: الصلاة امانة، والوضوء أمانة، والغسل أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأعظم ذلك الودائع»(٤).

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك.

(موعظة) عباد الله! ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها، وما أجهل النفوس وقد أطعتموها، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها، قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن النقير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون

---

(١) رواه ابن ماجه في الأطعمة رقم (٣٣٥٤) باب التعوذ من الجوع، والنسائي في الاستعاذة ٢٦٣/٨ وابو داود في الصلاة رقم (١٥٤٧) باب في الاستعاذة، واسناده حسن وصححه النووي في الاذكار.

(٢) لا يخفى: أي لا يظهر، والظهور والخفاء من الأضداد.

(٣) رواه مسلم في الجنّة من حديث عياض بن حمار المجاشعي في حديث طويل، ورواه الامام أحمد في «المسند» ١٦٢/٤ باسناد صحيح.

(٤) عزاه في «الترغيب» الى أحمد والبيهقي موقوفاً بنحو ما هنا قال: وذكره عبدالله ابن الامام أحمد في كتاب الزهد أنه سأل اباه عنه فقال إسناده جيد.

اللحود، وتصيروا طعاماً للدود في بيت بابه مسدود، ولو قيل فيه للعاصي ما تختار لقال أعود ولا أعود:

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم في النمارق والاستبـ ـرق أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضاً وهو أدنى للموت ممن يعود

الكبيرة الأربعون: المنان

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ (سورة البقرة آية ٢٦٤).

قال الواحدي هو أن يمن بما أعطى، وقال الكلبي بالمن على الله في صدقته والأذى لصاحبها، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال:

«ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[١]. المسبل هو الذي يسبل ازاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون الى القدمين، لأنه صلى الله عليه وسلم قال:

«ما أسفل من الكعبين من الازار فهو في النار»[٢] وفي الحديث أيضاً:

«ثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان»[٣] رواه النسائي وفيه أيضاً:

---

(١) مكرر رقم ١٨٥.
(٢) مكرر رقم ١٦٨.
(٣) مكرر رقم ٧٥.

[٣٥٢] «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان»(١) والخب هو المكر والخديعة، والمنان هو الذي يعطي شيئاً أو يتصدق به ثم يمن به. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال:

إياكم والمن بالمعروف فانه يبطل الشكر ويمحق الأجر، ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (سورة البقرة آية ٢٦٤) وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لآخر: أحسنت اليك وفعلت وفعلت. فقال له ابن سيرين: أسكت فلا خير في المعروف اذا أحصي. وكان بعضهم يقول: من بمعروفه سقط من شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره. وانشد الشافعي رحمه الله تعالى:

لا تحملن من الأنـــــام   بـأن يمنوا عليـك منـه
واخـــتر لنفسك حظهـــا   واصبر فان الصبر جنه
منن الرجال على القلوب   أشد من وقـع الاسنـه

وأنشد أيضاً بعضهم فقال:

وصـاحـب سلفـت منـه إلي يـد
أبطـأ عليـه مكـافـاتي فعـاداني
لمـا تيقن أن الـــدهر حـــاربني
أبـدى النـدامـة ممـا كـان أولاني
أفسدت بـالمن مـا قـدمـت من حسن
ليس الكريم اذا أعطـــى بمنـــان

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة رقم (٢٠٢٩) باب ما جاء في البخل وقال: حديث حسن غريب مع أن في اسناده فرقد السبخي وهو ضعيف، ورواه الامام أحمد في «المسند» ١/٤، ٧ واسنادها ضعيف، والخب بكسر الخاء المعجمة: هو الخداع الخبيث.

(موعظة) يا مبادراً بالخطايا ما أجهلك الى متى تغتر بالذي أمهلك، كأنه قد أهملك؟ فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك، واذا الرحيل وقد أفزعك الملك، وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك. يا مطمئناً بالفاني ما أكثر زللك، ويا معرضاً عن النصح كأن النصح ما قيل لك، أين حبيبك الذي كان وأين انتقل؟ أما وعظك التلف في جسده والمقل، أين كثير المال، أين طويل الأمل، أما خلا وحده في لحده بالعمل، أين من جر ثوبه الخيلاء غافلاً ورفل؟ أما سافر به والى الآن ما وصل، أين من تنعم في قصره فكأنه في الدنيا ما كان وفي قبره لم يزل، أين من تفوق واحتفل؟ غاب والله نجم سعوده وأفل أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول، ملك أموالهم سواهم والدنيا دول.

الكبيرة الحادية والأربعون: التكذيب بالقدر

قال الله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ قال ابن الجوزي في تفسيره: في سبب نزولها قولان أحدهما، أن مشركي مكة أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية. انفرد باخراجه مسلم.

[٣٥٣] وروى أبو أمامة أن هذه الآية في القدرية[١]. والقول الثاني: أن أسقف نجران جاء الى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر وليس كذلك فقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٥٤] «أنتم خصماء الله»[٢] فنزلت هذه الآية:

---

(١) رواه ابن عدي وابن مردويه وابن عساكر وغيرهم بسند ضعيف قاله السيوطي في «الدر المنثور».

(٢) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس (السيوطي).

﴿إنَّ المُجْرِمينَ في ضَلَال وَسُعُر يَوْمَ يُسْحَبُونَ في النَّار عَلى وُجُوههمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرْ. إنَّا كلَّ شَيء خَلَقْناهُ بِقَدَر﴾ (سورة القمر آية ٤٩).

وروى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال:

[٣٥٥] إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر منادياً فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون. أين خصماء الله؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم الى النار[١]. يقول الله ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَر إنَّا كلَّ شيء خَلَقْناهُ بقَدَر﴾ (سورة القمر آية ٤٩). وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها.

وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل، صم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه في سقر، ثم قيل له ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر. وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ:

[٣٥٦] «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»[٢]. وقال ابن عباس: كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه قال الله تعالى: ﴿وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة الصافات آية ٩٦) قال ابن جرير: فيها وجهان، أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم والثاني: أن تكون بمعنى الذي فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام، وفي هذه الآية دليل على أن افعال العباد مخلوقة والله اعلم. وقال الله تعالى: ﴿فألْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (سورة الشمس آية ٨) الالهام ايقاع الشيء

---

(١) اخرج نحوه ابن مردويه من حديث ابن عباس مرفوعاً ذكره السيوطي في «الدر المنثور».

(٢) رواه مسلم في القدر، و«الموطأ» في القدر، والامام أحمد في «المسند» ٢/١١٠ عن ابن عمر.

في النفس. قال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها. وقال ابن زايد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور والله اعلم.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال: «**ان الله منَّ على قوم فألهمهم الخير فأدخلهم في رحمته، وابتلى قوماً فخذلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل**» (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

[٣٥٧] «**ما بعث الله نبياً قط وفي أمته قدرية ومرجئة، ان الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً**»[١] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

[٣٥٨] «**القدرية مجوس هذه الأمة**»[٢]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ:

[٣٥٩] «**لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف. قال: فاذا لقيتهم فأخبرهم أني منهم بريء وانهم براء مني**»[٣] ثم قال: «**والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل حتى يؤمن بالقدر خيره وشره**»[٤] ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ قال: ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

---

(١) اورده المصنف في الصغرى عن بقية عن ابي العلاء الدمشقي.. ثم قال فيه وفي غيره هذه الاحاديث لا تثبت لضعف رواتها.

(٢) أورده كذلك في الصغرى عن الحسن عن عائشة، وقال فيه ما تقدم آنفاً من التضعيف وهو وما قبله عزاهما الى كتاب السنة لابن ابي عاصم، وقال لا تثبت لضعف رواتها.

(٣و٤) رواه مسلم في الايمان رقم (٨) وابو داود في السنة رقم (٤٦٩٥) باب في القدر، والترمذي رقم (٢٧٣٨) في الايمان، والنسائي ٨/٩٧.

قوله: «أن تؤمن بالله» الايمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال، منزه عن صفات النقص، وانه فرد صمد خالق جميع المخلوقات، متصرف فيها بما يشاء يفعل في ملكه ما يريد. والايمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله:

﴿بل عِبَادٌ مُكرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بالقَوْل وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلون يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ولا يَشْفَعُونَ إلاَّ لمن ارْتَضَى وَهُمْ من خَشْيته مُشْفِقونَ﴾ (سورة الانبياء آية ٢٦).

والايمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلَّغوا عن الله تعالى رسالاته وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به، وانه يجب احترامهم، وأن لا يفرق بين أحد منهم.

والايمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الاعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار، وانهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل. والايمان بالقدر: هو التصديق بما تقدم ذكره، وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾** وقوله: **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾**، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس:

[٣٦٠] «**واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف**»[١].

---

(١) رواه الترمذي في القيامة رقم (٢٦٣٥) باب رقم (٢٢).

ومذهب السلف وائمة الخلف أن من صدَّق بهذه الأمور تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمناً حقاً، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله اعلم.

(فصل) أجمع سبعون رجلاً من التابعين وائمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها: الرضا بقضاء الله قدره، والتسليم لأمره، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل لله، والايمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والمسح على الخفين، والجهاد مع كل خليفة براً وفاجراً، والصلاة على من مات من أهل القبلة.

والايمان: قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الامراء بالسيف وان جاروا ولا نكفِّر أحداً من أهل القبلة وان عمل بالكبائر الا ان استحلوها، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به الا من شهد له النبي ﷺ: والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ. وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبي ﷺ وأولاده وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

(فائدة) فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء منها: ما لو سَخِرَ باسم من اسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده كفر، ولو قال. لو أمرني الله بكذا ما فعلت، كفر ولو صارت القبلة في هذه الجهة ما صليت اليها، كفر. ولو قيل له: الا تترك الصلاة فان الله يؤاخذك فقال لو آخذني بها مع ما في المرض والشدة لظلمني كفر. ولو قال: لو شهد

عندي الانبياء والملائكة بكذا ما صدَّقت، كفر. ولو قيل له قلم أظافرك فانها سنة فقال لا أفعل وان كانت سنة، كفر. ولو قال فلان في عيني كاليهودي، كفر. ولو قال ان الله جلس للانصاف أو قام للانصاف، كفر. وجاء في وجه: من قال لمسلم لا ختم الله لك بخير أو سلبك الايمان، كفر. وجاء أيضاً انِ من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال أريد أن تحلف بالطلاق كفر. واختلفوا في من قال رؤيتي لك كرؤية الموت فقال بعضهم، يكفر ولو قال لو كان فلان نبياً ما آمنت به، كفر. ولو قال ان كان ما قاله صدقاً نجونا، كفر. ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالاً، كفر. ولو تنازع رجلان فقال أحدهما لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الآخر لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع، كفر. ولو سمع أذان المؤذن فقال انه يكذب، كفر. ولو قال: لا أخاف القيامة، كفر. ولو وضع متاعه فقال: سلمته إلى الله فقال له رجل سلمته الى من لا يتبع السارق، كفر. ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبيهاً بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم قصعة ثريد خير من العلم، كفر. ولو ابتلي بمصائب فقال: أخذت مالي وولدي وماذا تفعل، كفر. ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل ألست بمسلم؟ فقال: لا - متعمداً - كفر. ولو تمنى أن لا يحرِّم الله الزنا أو القتل أو الظلم، كفر ولو شد على وسطه حبلاً فسئل عنه فقال هذا زنار فالاكثرون على انه يكفر. ولو قال معلم الصبيان: اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمي صبيانهم، كفر ولو قال النصراني خير من المجوسي، كفر. ولو قيل لرجل ما الأيمان فقال لا أدري، كفر. ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهي: لا دين لك، لا ايمان لك، لا يقين لك، أنت فاجر، أنت منافق، أنت زنديق، أنت فاسق، ومن ذا وأشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الأيمان والخلود في النار.

فنسال الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة انه أرحم الراحمين.

(موعظة) عباد الله! أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وتملوا من الشهوات وشبعوا، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا؟ نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا، فهم مفترقون في القبور فاذا نفخ في الصور اجتمعوا.

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهراً علانية ... لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لا بد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة ... والنون في البحر لا يخشى لها فزع
والآدمي بهذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلع
حتى يرى فيه يوم الجمع منفرداً ... وخصمه الجلد والأبصار والسمع
وإذ يقومون والأشهاد قائمة ... والجن والأنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف في الأيدي منتشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف بالناس والأنباء واقفة ... عما قليل وما تدري بما تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له ... أم في الجحيم فلا تبقي ولا تدع
تهوي بسكانها طوراً وترفعهم ... إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم ... هيهات لا رقية تغني ولا جزع

الكبيرة الثانية والاربعون: التسمع على الناس وما يسرون

قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾. قال ابن الجوزي رحمه الله: قرأ ابو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء. قال ابو عبيدة: التجسس والتحسس واحد - وهو البحث - ومنه الجاسوس. وقال يحيى بن أبي كثير: التجسس بالجيم عن عورات الناس، وبالحاء الاستماع لحديث القوم. قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم. فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه اذا ستره الله. وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً قال: إنا نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيء نأخذ به.

وقال رسول الله ﷺ:

[٣٦١] «**من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُب في أذنيه الآنك يوم القيامة**»[١]. أخرجه البخاري، والآنك: الرصاص المذاب. نعوذ بالله منه، ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم.

(موعظة) عباد الله! ان المنايا قد دقت واقتربت، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت، رب شمس طالعة على القبر قد غربت، يا فراخ الفنا! فخاخ البلى قد نصبت، عباد الله: كل المعاصي قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. يا من يغتر بالاماني

---

(١) رواه البخاري في التعبير ٣٧٤/١٢، وأبو داود رقم (٥٠٢٤) في الأدب: باب ما جاء في الرؤيا، والترمذي في اللباس رقم (١٨٠٤) باب ما جاء في المصورين، وابن ماجه في الرؤيا واحمد في «المسند» ٥٠٤/٢ و ٢١٦/١، و٢٤٦ و ٣٥٩.

والأمال الكواذب، ومبارز بالقبايح وما يدري من يحارب، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب، أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب؟ يا من عمره يفنى في ممره ويسري كالنجائب، يا من شاب وما تاب هذا من العجائب، يا عجباً كيف نام المطلوب وما غفل الطالب؟!.

الكبيرة الثالثة والأربعون: النمام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الافساد بينهم. هذا بيانها:

وأما أحكامها فهي حرام باجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة قال الله تعالى:

﴿ولا تُطعْ كلَّ حلَّاف مهين همَّاز مَشَّاء بنَميم﴾ (سورة القلم الآيتين ١٠-١١).

وفي الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال:

[٣٦٢] «**لا يدخل الجنة نمام**»(١) وفي الحديث ان رسول الله ﷺ مر بقبرين قال:

«**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أنه كبير. أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة. ثم أخذ جريدة رطبة فشقها إثنتين وغرز في كل قبر واحدة، وقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**»(٢).

---

(١) رواه البخاري ٣٩٤/١٠ ومسلم في الايمان رقم (١٠٥)، والترمذي رقم (٢٠٢٧) وابو داود في الأدب رقم (٤٨٧١) باب في القتّات، كلهم من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

(٢) مرّ ذكره رقم ٣٣٠.

وقوله: وما يعذبان في كبير أي ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير في زعمهما. ولهذا قال في رواية أخرى: «**بلى انه كبير**» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

[٣٦٣] «**تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، ومن كان ذا لسانين في الدنيا فان الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة**»[١]. ومعنى من كان ذا لسانين أي يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين. قال الإمام ابو حامد الغزالي رحمه الله: انما تطلق في الغالب من ينم قول الغير الى المقول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا. وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول اليه أو ثالث، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الايماء أو نحوها، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيباً أو غيره. فحقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه. وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس الا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية. قال: وكل من حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال:

(الأول): أن لا يصدقه لأنه «نمام» فاسق وهو مردود الخبر.

(الثاني): أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله.

(الثالث): أن يبغضه في الله عز وجل فانه بغيض عند الله والبغض في الله واجب.

---

(١) رواه البخاري ٣٩٥/١٠ ومسلم رقم (٢٥٢٦) و «الموطأ» ٩٩١/٢ والترمذي رقم (٢٠٢٦) وابو داود في الأدب رقم (٤٨٧٢) باب في ذي الوجهين.

(الرابع): ان لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿إجتنبوا كثيراً من الظَّنِّ إنَّ بعضَ الظَّنِّ إثْمٌ﴾ (سورة الحجرات آية ١٢).

(الخامس): أن لا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾.

(السادس): ان لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته. وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشيء فقال عمر: يا هذا ان شئت نظرنا في أمرك، فان كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ﴿ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾، وان كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿هماز مشاء بنميم﴾، وان شئت عفونا عنك. فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود اليه أبدا.

ورفع انسان رقعة إلى الصاحب[1] بن عباد رحمه الله يحثه فيها على أخذ مال اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة: النميمة قبيحة وان كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمره الله، والساعي لعنه الله.

وقال الحسن البصري: من نقل اليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك وهذا مثل قول الناس: من نقل إليك نقل عنك فاحذره. وقال ابن المبارك: ولد الزنا لا يتكتم الحديث أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا إستنباطاً من قول الله تعالى: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾، والزنيم هو الدَّعي.

وروي أن بعض السلف الصالحين زار أخاً له وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه، فقال له: يا أخي أطلت الغيبة وأتيتني بثلاث

---

(١) وذكرها ابن أبي شامة في كتابه «الروضتين» في مناقب محمد بن زنكي رحمه الله.

جنايات: بغضْت إلي أخي، وشغلت قلبي بسببه، واتهمت نفسك الأمينة. وكان بعضهم يقول: من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك. وجاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال: ان فلاناً شتمك وقال عنك كذا وكذا، فقال: اذهب بنا اليه، فذهب معه وهو يرى أنه ينتصر لنفسه، فلما وصل اليه قال: يا أخي ان كان ما قلت فيَّ حقاً فغفر الله لي، وان كان ما قلت فيَّ باطلاً فغفر الله لك. وقيل في قول الله تعالى: ﴿حمالة الحطب﴾ يعني امرأة أبي لهب، انها كانت تنقل الحديث بالنميمة. سمي النميمة حطباً لأنها سبب العداوة، كما ان الحطب سبب لاشتعال النار. ويقال عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة.

(حكاية) روي أن رجلاً رأى غلاماً يباع وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط، فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أياماً ثم قال لزوجة سيده: ان سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى، وقال انه لا يحبك فان أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فاذا نام فخذي الموسى، واحلقي شعرات من تحت لحيته واتركي الشعرات معك، فقالت في نفسها: نعم. واشتغل قلب المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء إلى زوجها وقال: سيدي، إن سيدتي زوجتك قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت اليه، وتريد أن تخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وان لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء اليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به، وصدقه سيده. فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشؤوم.

فلذلك سمى الله النمام فاسقاً في قوله تعالى:

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُم نَادِمينَ﴾ (سورة الحجرات آية ٦).

(موعظة) يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكا، يا غافلاً عن التلف وقد أدركه ادراكاً، يا مغروراً بسلامته وقد نصب له الموت أشراكاً، تفكر في ارتحالك وأنت على حالك فان لم تبك فتباكى.

بكيت فما تبكي شباب صباك ... كفاك نذير الشيب فيك كفاك
ألم تر أن الشيب قد قام ناعيا ... مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يوماً مر إلا كأنه ... باهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفاني وقد حان حينه ... أتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى ... فينساك ما خلفته، هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم ... وتنسى ويهوى الحي بعد هواكا
كأنك قد أقصيت بعد تقرب ... اليك وان باك عليك بكاكا
كأن الذي يحثو عليك من الثرى ... يريد بما يحثو عليك رضاكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة ... عليك إذا الخطب الجليل أتاكا
رى الأرض كم فيها رهون دفينة ... غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

الكبيرة الرابعة والأربعون: اللعان

قال النبي ﷺ(١):

[٣٦٤] «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»(١). وقال صلى الله عليه سلم:

---

(١) رواه الامام أحمد في «المسند» ٤٣٩/١، والبخاري في الإيمان، والادب، والفتن، وابن ماجه في الفتن رقم (٣٩٣٩) باب سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، ومسلم في الإيمان، والترمذي في البر رقم (٢٠٤٩) باب ما جاء في الشتم، والنسائي في التحريم.

[٣٦٥] «لعْن المؤمن كقتله»[١] أخرجه البخاري. وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال:

[٣٦٦] «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[٢] وقال عليه الصلاة والسلام:

[٣٦٧] «لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً»[٣]. وفي الحديث:

[٣٦٨] «ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء»[٤]. والبذيء: هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام. وعن رسول الله ﷺ قال:

[٣٦٩] «إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق ابوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فاذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعن إن كان أهلاً لذلك، والا رجعت إلى قائلها»[٥].

[٣٧٠] «وقد عاقب النبي ﷺ من لعنت ناقتها بأن سلبها إياها[٦]، قال عمران بن حصين: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره

---

(١) رواه البخاري في الأدب والإيمان، ومسلم في الإيمان، والدارمي في الديات، والإمام أحمد في «المسند» ٤/٣٣ مطولا.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٩٨) وابو داود في الادب رقم (٤٩٠٧) باب في اللعن.

(٣) رواه الترمذي في البر رقم (٢٠٨٨) ما جاء في اللعن، ومسلم في البر، والامام أحمد في «المسند» ٢/٣٣٧ و ٣٦٦.

(٤) رواه الترمذي في البر رقم (٢٠٤٥) ما جاء في اللعن، والامام أحمد في «المسند» ١/٤٠٥، ٤١٦.

(٥) رواه ابو داود رقم (٤٩٠٥) في الأدب: باب في اللعن، والامام أحمد في «المسند» (٣٨٧٦) و (٤٠٣٦).

(٦) رواه مسلم في البر والصلة، والامام احمد في «المسند» ٤/٤٢٠ و ٤٢٣.

وامرأة من الأنصار على ناقة فضجت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال:

«خذوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة». قال عمران «فكأني انظر اليها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد» أخرجه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

[٣٧١] «ان أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم»(١).

وعن عمرو بن قيس قال: إذا ركب الرجل دابته قالت: اللهم اجعله بي رفيقاً رحيما فاذا لعنها قالت: على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل.

(فصل) في جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين المعروفين قال الله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾. وقال: ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾، وثبت عن رسول الله ﷺ انه قال:

«لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه». وأنه قال: «لعن الله المحلل والمحلل له» وانه قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة». فالواصلة: هي التي تصل شعرها، والمستوصلة: هي التي يوصل لها، والنامصة: هي التي تنتف الشعر من الحاجبين، والمتنمصة: التي يفعل بها ذلك وانه صلى الله عليه وسلم لعن الصالقة والحالقة والشاقة. فالصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة هي التي تشق ثيابها عند المصيبة. وانه صلى الله عليه وسلم لعن المصورين، وانه لعن من غير منار الأرض أي حدودها، وانه قال: «لعن الله من لعن والديه، ولعن من سب أمه».

---

(١) رواه ابو داود في الأدب رقم (٤٨٧٧) باب في الغيبة، واسناده صحيح ورواه الإمام أحمد في «المسند» ١٩٠/١، ورواه الحاكم في «المستدرك» ١٥٧/٤ و«مجمع الزوائد» ١٥٠/٨ وقال رجال احمد رجال الصحيح غير نوفل وهو ثقة.

وفي السنن انه قال: «**لعن الله من أضل أعمى عن الطريق. ولعن الله من أتى بهيمة، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط**». وانه لعن من أتى كاهناً، أو أتى امرأة في دبرها، ولعن النائحة ومن حولها، ولعن من أمّ قوماً وهم له كارهون، ولعن الله امرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ولعن رجلا سمع: حي على الصلاة، حي على الفلاح ثم لم يجب. ولعن من ذبح لغير الله، ولعن السارق، ولعن من سب الصحابة، ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة، ولعن من سل سخيمته على الطريق يعني تغوط على طريق الناس، ولعن السلتاء. والمرأة السلتاء: التي لا تخضب يديها، والمرأة التي لا تكتحل، ولعن من خبب امرأة على زوجها أو مملوكاً على سيده - يعني أفسدها أو أفسده - ولعن من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها، ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة، ولعن مانع الصدقة يعني الزكاة، ولعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، ولعن من كوى دابة في وجهها، ولعن الشافع والمشفع في حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم، ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير اذن زوجها، ولعنها إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع، ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا امكنه، ولعن الفاعل والمفعول به - يعني اللواط - ولعن الخمرة وشاربها وساقيها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها والدال عليها.

وقال صلى الله عليه وسلم:

«**ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة: المكذب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي**». ولعن الزاني بامرأة جاره، ولعن ناكح يده، ولعن

ناكح الأم وبنتها، ولعن الراشي والمرتشي في الحكم والرائش يعني الساعي بينهما، ولعن من كتم العلم، ولعن المحتكر، ولعن من أخفر مسلماً يعني خذله ولم ينصره، ولعن الوالي إذا لم يكن فيه رحمة، ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا تتزوج، والمتبتلات من النساء، ولعن راكب الفلاة وحده، ولعن من أتى بهيمة. نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله.

(فصل) إعلم أن لعن المسلم المصون حرام باجماع المسلمين، ويجوز لعن اصحاب الاوصاف المذمومة كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين. ونحو ذلك كما تقدم، واما لعن انسان بعينه ممن إتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا فظواهر الأحاديث انه ليس بحرام. واشار الغزالي[1] رحمه الله إلى تحريمه إلا في حق من علمنا انه مات على الكفر، كأبي لهب وأبي جهل وفرعون وهامان وأشباههم، قال: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندري ما يختم به لهذا الفاسق والكافر. قال: واما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال:

[٣٧٢] **«اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله»**[2].

وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز انه صلى الله عليه وسلم علم موتهم على الكفر، قال ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان لا أصح الله جسمه ولا سلمه الله وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات

---

(١) في احياء علوم الدين جـ٣/١٢٣.

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة، والامام أحمد في «المسند» ٥٣/٤.

فهذا كله مذموم، قال بعض العلماء: من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله إلا ان يكون لا يستحق.

(فصل) ويجوز للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وكل مؤدب ان يقول لمن يخاطبه في ذلك: ويلك، أو يا ضعيف الحال، أو يا قليل النظر لنفسه، أو يا ظالم نفسه، أو ما أشبه ذلك، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب، ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقاً في ذلك. وإنما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر، ويكون الكلام أوقع في النفس والله أعلم.

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

(موعظة) يا قليل الزاد والطريق بعيد، يا مقبلاً على ما يضر تاركاً لما يفيد أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد:

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلا وأعقبه يوم عليك شهيد
فان كنت بالامس اقترفت إساءة فبادر باحسان وانت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غد فرب غد يأتي وانت فقيد
اذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعود

الكبيرة الخامسة والأربعون: الغدر وعدم الوفاء بالعهد

قال الله تعالى: ﴿وأَوْفُوا بالْعَهْد إنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْئُولاً﴾ (سورة الإسراء آية ٣٤).

قال الزجَّاج: كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد. وقال الله تعالى: ﴿يا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالْعقُود﴾ (سورة المائدة آية ١).

قال الواحدي: قال ابن عباس في رواية الوالبي (العهود) يعني ما أحل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن. وقال الضحاك بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمة ان يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود وكذا العهود جمع عهد: العقد بمعنى المعقود وهو الذي أحكم ما فرض الله علينا فقد أحكم ذلك، ولا سبيل إلى نقضه بحال. وقال مقاتل بن حيان (أوفوا بالعقود) التي عهد الله اليكم في القرآن، مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذي نهاكم عنه وبالعهود التي بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم. وقال النبي ﷺ:

«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: اذا حدث كذب، واذا ائتمن خان، واذا عاهد غدر، واذا خاصم فجر»(١) مخرج في الصحيحين وقال رسول الله ﷺ:

[٣٧٣] «لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ابن فلان»(٢) وقال رسول الله ﷺ:

[٣٧٤] «يقول الله عز وجل ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره»(٣). أخرجه البخاري وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) مكرر رقم ٢٩٩.

(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنه وعند احمد معناه ٥/٢٢٣ وابن ماجه في الديات رقم (٢٦٨٨).

(٣) رواه البخاري في البيوع، والإجارة، وابن ماجه في الرهون رقم (٢٤٤٢) باب أجر الأجراء والإمام أحمد في «المسند» ٢/٣٥٨.

[٣٧٥] «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(١) أخرجه مسلم.

وقال رسول الله ﷺ:

[٣٧٦] «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يجب ان يؤتى اليه ومن بايع اماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع، فان جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر»(٢).

الكبيرة السادسة والاربعون: تصديق الكاهن والمنجم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ (سورة الإسراء آية ٣٦).

قال الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ قال الكلبي: لا تقل ما ليس لك به علم. وقال قتادة: لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم. والمعنى: لا تقولن في شيء بما لا تعلم ﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ قال الوالبي عن ابن عباس: يسأل الله العباد فيم استعملوها وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل والاستماع إلى ما يحرم وارادة ما لا يجوز، والله أعلم. وقال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (سورة الجن الآيتين ٢٦-٢٧). قال ابن الجوزي:

---

(١) رواه مسلم في الامارة، والامام أحمد في «المسند» ٤٤٦/٣ و ٩٦/٤ و ١١١/٢.

(٢) رواه مسلم في الامارة رقم (١٨٤٤) والنسائي في البيعة ١٥٣/٧، وابن ماجه في الفتن رقم (٣٩٥٦) باب ما يكون من الفتن، والامام أحمد في «المسند» ١٦١/٢ و ١٩١. وابو داود رقم (٤٢٤٨) مختصراً في الفتن والملاحم.

عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه فلا يظهر: أي فلا يطلع على غيبه الذي لا يعلمه أحد من الناس الا من ارتضى من رسول، لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب. والمعنى: ان من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ففي هذا دليل على ان من زعم ان النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم.

وقال رسول الله ﷺ:

[٣٧٧] «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ**»(١). وروينا في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال:

[٣٧٨] **هل تدرون ماذا قال ربكم؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فاما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»(٢).

قال العلماء: ان قال مسلم مطرنا بنوء كذا يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافراً مرتداً بلا شك، وان قال مريداً أنه علامة نزول المطر وينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله خلقه لم يكفر، واختلفوا في كراهته، والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث.

---

(١) رواه ابو داود في الطب (٣٩٠٤) باب في الكاهن، والترمذي رقم (١٣٥) وابن ماجه رقم (٦٣٩) والدارمي ٢٥٩/١ - والامام أحمد في «المسند» ٤٠٨/٢ و٤٧٦. وقال المنذري في مختصره لسنن ابي داود: رواه الحاكم وقال: صحيح الاسناد على شرطها، وله شاهد من حديث جابر عند البزار باسناد جيد.

(٢) رواه البخاري ٢٧٧/٢ ومسلم في الإيمان (٧١) و«الموطأ» ١٩٢/١ والنسائي ١٦٥/٣، وابو داود في الطب رقم (٣٩٠٦) باب في النجوم.

(وقوله): في أثر سماء - السماء هنا المطر، والله اعلم. وقال رسول الله ﷺ:

[٣٧٩] «**من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**»[١] رواه مسلم. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال:

[٣٨٠] «**ليس بشيء**» قالوا: يا رسول الله أليس قد قال كذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقرها في أذن وليه** «أي يلقيها» **فيخلط معها مائة كذبة**»[٢]. مخرج في الصحيحين. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[٣٨١] «**ان الملائكة تنزل في العنان** - وهو السحاب - **فتذكر الأمر قضي في السماء، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**»[٣] رواه البخاري.

وعن قبيصة بن أبي المخارق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[٣٨٢] «**العيافة والطيرة والطرق من الجبت**»[٤] رواه ابو داود وقال: الطرق: الزجر، أي زجر الطير، وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه. فان طار إلى جهة اليمين تيمن، وان طار إلى جهة اليسار

---

(١) رواه مسلم من حديث صفية بنت أبي عبيد عن بعض ازواج النبي ﷺ، والامام أحمد في «المسند» ٥/٣٨٠.

(٢) رواه البخاري في الطب والأدب والتوحيد، ورواه الإمام أحمد في «المسند» ٦/٨٧.

(٣) رواه البخاري في بدء الخلق.

(٤) رواه ابو داود في الطب رقم (٣٩٠٧) باب في الخط وزجر الطير، رواه الإمام أحمد في «المسند» ٣/٤٧٧، و ٥/٦٠، وفي اسناده حيان بن العلاء وثقه ابن حبان فقط.

تشاءم. قال أبو داود: العيافة الخط قال الجوهري: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

[٣٨٣] «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»[١] وقال علي بن أبي طالب: الكاهن ساحر والساحر كافر. فنسأل الله العافية والعصمة في الدنيا والآخرة.

(موعظة): عباد الله تفكروا في سلفكم قبل تلفكم، وانظروا في أموركم قبل حلول قبوركم، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم، أين الأقران الأخوان، أين من شيد الايوان، رحلوا والله عن الأوطان ومزقت في اللحود تلك الاكفان هتف نذيرهم بأهل العرفان ﴿**كل من عليها فان**﴾ تقلبت بهم الأحوال. ولعب بهم في أيدي الليالي. وشغلوا عن الأولاد والأموال، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال. عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم في المقال لقال:

من رآنا فليحدث نفسه ... انه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا. حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليهم قدمت ... وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهراً بعيش ناعم ... ابيض دهرهم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم ... وكذاك الدهر يودي بالرجال

---

(١) رواه ابو داود في الطب رقم (٣٩٠٥) باب في النجوم وإسناده قوي ورواه الإمام احمد في «المسند» ١/٢٢٧ و٣١١ وابن ماجه في الأدب رقم (٣٧٢٦) باب في تعلم النجوم.

الكبيرة السابعة والاربعون: نشوز المرأة على زوجها

قال الله تعالى: ﴿والَّلاتي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فعظُوهُنَّ واهْجُروهُنَّ في المَضاجع واضْرِبُوهُنَّ فانْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سبيلاً. إنَّ اللهَ كَانَ عَلياً كبيراً﴾ (سورة النساء آية ٣٤).

قال الواحدي رحمه الله تعالى: النشوز هنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف. وقال عطاء: هو أن تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية. ﴿فعظوهن﴾ بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به، ﴿واهجروهن في المضاجع﴾. قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها. وقال الشعبي ومجاهد: هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها، ﴿واضربوهن﴾ ضربا غير مبرح. وقال ابن عباس أدباً مثل اللكزة، وللزوج ان يتلافى نشوز امرأته بما اذن الله له مما ذكره الله في هذه الآية ﴿فان اطعنكم﴾ فيما يلتمس منهن ﴿فلا تبغوا عليهن﴾.

قال ابن عباس: فلا تتجنوا عليهن العلل. وفي الصحيحين: ان رسول الله ﷺ قال:

[٣٨٤] «إذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأت لعنتها الملائكة حتى تصبح»(١). وفي لفظ - فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح - ولفظ الصحيحين ايضاً:

[٣٨٥] «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها»(٢).

---

(١) رواه البخاري في النكاح ٢٥٨/٩، وبدء الخلق، ومسلم في النكاح، والطلاق رقم (١٤٣٦). وابو داود في النكاح رقم (٢١٤١) باب في حق الزوج على المرأة، والإمام أحمد في «المسند» ٤٣٩/٢و ٤٨٠، «ومجمع الزوائد» ٢٩٦/٤ ونسبه للطبراني في «الاوسط» ورجاله ثقات.

(٢) رواه مسلم في النكاح، والدارمي في النكاح، والامام أحمد في «المسند» ٢٥٥/٢ و ٣٤٨، وقال المنذري: رواه النسائي أيضاً، عن ابي هريرة.

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

[٣٨٦] «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها، والسكران حتى يصحو»[١].

وعن الحسن قال حدثني من سمع النبي ﷺ يقول:

[٣٨٧] «أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها»[٢]. وفي الحديث: ان رسول الله ﷺ قال:

[٣٨٨] «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا باذنه ولا تأذن في بيته إلا باذنه»[٣]. أخرجه البخاري. ومعنى شاهد أي حاضر غير غائب وذلك في صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته وقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٨٩] «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[٤] رواه الترمذي. وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال:

---

(١) رواه الطبراني في «الاوسط» من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل، رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحها من رواية زهير بن محمد (الترغيب) وابن عقيل وزهير مختلف فيهما. انظر «مجمع الزوائد» ٣١٣/٤.

(٢) رواه ابو الشيخ في «ثواب الأعمال» من حديث أنس زاد في آخره: وعن بعلها كيف عملت إليه «منتخب كنز العمال».

(٣) رواه البخاري في النكاح ٢٥٧/٩، ومسلم في الزكاة رقم (١٠٢٦) وابو داود في الصيام رقم (٢٤٥٨) باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها، والترمذي في الصوم رقم (٧٨٢) وابن ماجه في الصوم رقم (١٧٦١) باب في المرأة تصوم بغير إذن زوجها، والدارمي في الصوم، والإمام أحمد في «المسند» ٢٤٥/٢.

(٤) رواه ابو داود في النكاح رقم (٢١٤٠) باب في حق الزوج على المرأة، والترمذي في الرضاع رقم (١١٥٩) وابن ماجه في النكاح، رقم (١٨٥٣) واسناده حسن، ورواه ابن حبان في صحيحه رقم (١٢٩٠) قال السندي: كأنه يريد أنه صحيح الاسناد، والامام أحمد في «المسند» ٣٨١/٤ و٧٦/٦ ورواه الحاكم عن معاذ قاله في (الترغيب).

[٣٩٠] « انظري من أين أنت منه فانه جنتك ونارك »[١] أخرجه النسائي، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

[٣٩١] « لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه »[٢]. وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال:

[٣٩٢] « إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب »[٣]، وقال رسول الله ﷺ:

[٣٩٣] « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة »[٤].

فالواجب على المرأة أن تطلب رضى زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى ارادها لقول النبي ﷺ:

[٣٩٤] « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وان كانت على التنور »[٥]. قال العلماء: الا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » ٤١٩/٦ باسناد صحيح.

(٢) رواه النسائي باسناد صحيح قاله المصنف في رسالته الصغرى في الكبائر وزاد في « الترغيب » البزار والحاكم وصححه. رواه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٣٠٩/٤ ونسبه للبزار والطبراني، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٣١٣/٤ ونسبه للطبراني في الاوسط وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك ووثقه دحيم وغيره، وبقية رجاله ثقات، وله شاهد عند الطبراني في « الصغير » « والاوسط » ورجاله ثقات: « إثنان لا تجاوز صلاتها رؤوسها عبد أبق من مواليه حتى يرجع إليهم وامرأة عصت زوجها حتى ترجع ».

(٤) رواه ابن ماجه في النكاح رقم (١٨٥٤) باب حق الزوج على المرأة، والترمذي في الرضاع رقم (١١٧١) باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، وقال: حديث حسن غريب من حديث مساور الحميري وهو مجهول وزاد في « الترغيب » نسبه الى الحاكم وصححه فلعل تحسين الترمذي لهذا الحديث والله أعلم.

(٥) رواه الترمذي في الرضاع رقم (١١٧٠) باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، واسناده حسن وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وله شاهد عند الطبراني في « الكبير » رواه الهيثمي في « مجمعه » ٣١٢/٤ « .. فلتجبه وإن كانت على ظهر قتب » وقال رجاله رجال الصحيح خلا المغيرة بن مسلم وهو ثقة.

يحل لها أن تجيئه، ولا يحل للرجل أيضاً أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس، ولا يجامعها حتى تغتسل، لقول الله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ (سورة البقرة آية ٢٢٢) أي لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن. قال ابن قتيبة: يطهرن ينقطع عنهن الدم، فاذا تطهرن أي اغتسلن بالماء، والله أعلم. ولما تقدم من قول النبي ﷺ:

«**من أتى حائضاً أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد**»[١]. وفي حديث آخر: «**ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها**». والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد اتيانها في حال الحيض والنفاس، وتطيعه فيما عدا ذلك، وينبغي للمرأة أن تعرف انها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا باذنه وتقدم حقه على حقها، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها، وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة، ولا تفتخر عليه بجمالها، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه.

قال الأصمعي: دخلت البادية فاذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا؟ فقالت: اسمع يا هذا، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني ثوابه ولعلي أسأت فجعله عقوبتي.

وقالت عائشة رضي الله عنها: يا معشر النساء لو تعلمن بحق ازواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها.

---

(١) مكرر رقم ١٢٧.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٣٩٥] «نساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا آذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى»[١].

ويجب على المرأة أيضاً دوام الحياء من زوجها، وغض طرفها قدامه، والطاعة لأمره، والسكوت عند كلامه، والقيام عند قدومه، والابتعاد عن جميع ما يسخطه، والقيام معه عند خروجه، وعرض نفسها عليه عند نومه، وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته، وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب، ودوام الزينة بحضرته، وتركها الغيبة، واكرام أهله واقاربه وترى القليل منه كثيراً.

(فصل) في فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه جهدها، فهو جنتها ونارها. لقول النبي ﷺ:

«أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة»[٢]. وفي الحديث أيضاً:

---

(١) رواه الطبراني من حديث أنس في «الاوسط» «والصغير» وفيه ابراهيم بن زياد القرشي لم يقف المنذري فيه على جرح وتعديل وقال في «مجمع الزوائد» ٣١٢/٤ الهيثمي: قال البخاري لا يصح حديثه فان اراد تضعيفه فلا كلام وإن اراد حديثاً مخصوصاً فلم يذكره. وعن كعب بن عجرة رواه الطبراني في «الكبير» و «الاوسط» وفيه متروك، وعن ابن عباس رواه الطبراني وفيه كذاب.

(٢) مكرر رقم ٣٩٣.

[٣٩٦] «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت»[١].

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء، والحيتان في الماء، والملائكة في السماء، والشمس والقمر ما دامت في رضى زوجها. وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وأيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه. وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع».

وجاء عن رسول الله ﷺ ايضاً قال:

«أربع من النساء في الجنة، وأربع في النار. فأما الأربع اللواتي في الجنة: فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها، ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها، ذات حياء. إن غاب عنها حفظت نفسها وماله، وان حضر أمسكت لسانها عنه، والرابعة امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت اليهم ولم تتزوج خشية ان يضيعوا. واما الأربع اللواتي في النار من النساء: فامرأة بذيئة اللسان على زوجها أي طويلة اللسان على زوجها أي طويلة اللسان فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وان حضر آذته بلسانها. والثانية: امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق. والثالثة: امرأة لا تستر

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» والطبراني في «الاوسط» قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٠٦/٤ وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح وقال في «الترغيب»: رواه أحمد ورجاله رواة الصحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن في المتابعات.

نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة. والرابعة: إمرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا في طاعة زوجها». فالمرأة اذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار الا أن تتوب الى الله، وقال النبي ﷺ:

[٣٩٧] «**إطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»(١) وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ورسوله ولازواجهن وكثرة تبرجهن، والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فان سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها. ولهذا قال النبي ﷺ:

[٣٩٨] «**المرأة عورة فاذا خرجت من بيتها إستشرفها الشيطان**»(٢).

وأعظم ما تكون المرأة من الله ما كانت في بيتها، وفي الحديث أيضاً المرأة عورة فاحبسوها في البيوت، فان المرأة اذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها: أين تريدين؟ قالت: أعود مريضاً، أشيع جنازة، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها. وما التمست المرأة رضى الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها. وقال علي رضي الله عنه لزوجته فاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة ما خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى الرجال ولا يروها. وكان علي رضي الله عنه يقول: ألا تستحون، ألا

---

(١) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣١٤/٤ ونسبه لأحمد والطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات وهو في الصحيحين.

(٢) رواه الترمذي في النكاح رقم (١١٨٣) باب ١٨ وفي «مجمع الزوائد» ٣١٤/٤ ونسبه للطبراني في الاوسط ورجاله رجال الصحيح.

تغارون؟ يترك أحدكم إمرأته تخرج بين الرجال تنظر اليهم وينظرون اليها! وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما يوماً عند النبي ﷺ جالستين، فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبي ﷺ:

[٣٩٩] «**احتجبا منه**» فقالتا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «**أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه؟**»[١].

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء، فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال، كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها: ان خير ما للمرأة ان لا ترى الرجال ولا يروها. فان اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولاجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه، فلتخرج باذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة في ثياب بيتها، وتغض طرفها في مشيتها، وتنظر إلى الأرض لا يميناً ولا شمالاً، فان لم تفعل ذلك والا كانت عاصية. وقد حكي أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا، وكانت تخرج من بيتها متبرجة، فماتت فرآها بعض أهلها في المنام وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رقاق، فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها، وقال: خذوا بها ذات الشمال الى النار فانها كانت من المتبرجات في الدنيا.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: دخلت على النبي ﷺ أنا وفاطمة رضي الله عنها ووجدناه يبكي بكاء شديداً، فقلت له: فداك أبي وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ قال: «**يا علي ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي يعذبن بأنواع العذاب، فبكيت لما**

---

(١) رواه ابو داود في اللباس (٤١١٢) واسناده قوي. وهذا خاص لأزواج النبي ﷺ.

رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها، ورأيت أمرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها، ورأيت امرأة معلقة بثدييها، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها الف الف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار».

فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت: حبيبي وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب؟ فقال صلى الله عليه وسلم:

«يا بنية أما المعلقة بشعرها فانها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما التي كانت معلقة بلسانها فانها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثدييها فانها كانت تفسد فراش زوجها، وأما التي تشد رجلاها الى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فانها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزىء بالصلاة. وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فانها كانت نمامة كذابة. وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فانها كانت منانة حسادة».

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٤٠٠] «لا تؤذي المرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله»[١].

---

(١) رواه الترمذي رقم (١١٨٤) في النكاح باب ١٩ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
اقول: الحديث اسناده حسن.

(فصل): وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه، فالزوج أيضاً مأمور بالاحسان اليها واللطف بها، والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره، وايصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقول الله تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾ ولقول النبي ﷺ:

[٤٠١] «**استوصوا بالنساء، الا ان لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً. فحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون**»[١]. وقوله صلى الله عليه وسلم: «**عوان**» أي أسيرات جمع عانية وهي الأسيرة، شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الرجل بالأسير.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤٠٢] «**خيركم خيركم لأهله**»[٢]، وفي رواية: «**خيركم ألطفكم بأهله**». وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء. وقال صلى الله عليه وسلم:

«**أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون**».

---

(١) رواه الترمذي رقم (١١٧٣) في النكاح: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
اقول: في اسناده سليمان بن عمرو لم يوثقه الا ابن حبان.

(٢) رواه الترمذي رقم (١١٧٢) في النكاح: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، وصححه الترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة وعن ابي هريرة.

وقد روي أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها، وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعاً وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته - وهو أمير المؤمنين - فكيف حالي؟ فخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو اليك سوء خلق امرأتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت: إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال عمر: يا أخي اني احتملتها لحقوق لها علي: انها طباخة لطعامي، خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي.. وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال عمر: فاحتملها يا أخي فانما هي مدة يسيرة.

وحكي أن بعض الصالحين كان له أخ في الله وكان من الصالحين يزوره في كل سنة مرة، فجاء لزيارته فطرق الباب، فقالت امرأته: من؟ فقال: أخو زوجك في الله جئت لزيارته، فقالت: راح يحتطب لا رده الله ولا سلَّمه وفعل به وفعل وجعلت تذمذم عليه فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه، فجاء فسلم على أخيه ورحب به، ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للاسد: اذهب بارك الله فيك، ثم ادخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة. قال: فلما كان العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته: من بالباب؟ قال أخو زوجك فلان في الله، فقالت مرحباً بك وأهلاً وسهلاً، إجلس فانه سيأتي ان شاء الله بخير وعافية. قال: فتعجب من لطف كلامها وأدبها، إذ جاء أخوه وهو

يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف، فلما اراد أن يفارقه قال: يا أخي اخبرني عما اريد أن أسألك عنه. قال: وما هو يا أخي؟ قال: عام اول اتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيراً ورأيتك قد اتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك، ورأيت العام كلام المرأة لطيفا لا تذمذم ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب؟ قال يا أخي: توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابراً على خلقها وما يبدو منها. كنت معها في تعب وانا أحتملها، فكان الله قد سخر لي الأسد الذي رأيت يحمل عني الحطب بصبري عليها واحتمالي لها، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا في راحة معها فانقطع عني الأسد، فاحتجت ان أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائعة. فنسأل الله ان يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى، انه جواد كريم.

الكبيرة الثامنة والأربعون: التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء سواء كانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس أو صوف أو غير ذلك، والامر باتلافها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (سورة الاحزاب آية ٥٧).

قال عكرمة: هم الذين يصنعون الصور، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ:

« ان الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: احيوا ما خلقتم » مخرج في الصحيحين. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال:

[٤٠٣] « يا عائشة: أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله عز وجل »[١] قالت عائشة رضي الله عنها: فقطعته فجعلت منه وسادتين. مخرج في الصحيحين. القرام بكسر القاف وهو الستر، والسهوة كالصفة تكون بين يدي البيت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[٤٠٤] « كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب في نار جهنم »[٢] مخرج في الصحيحين، وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« من صور صورة في الدنيا كلف ان ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ فيها أبداً » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

« يقول الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة، أو ليخلقوا ذرة » مخرج في الصحيحين.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤٠٥] « يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول: اني وكلت بثلاثة: بكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين »[٣].

---

(١) رواه البخاري في اللباس والنسائي في الزينة والامام أحمد في « المسند » ٦/٣٦ و٨٣.
(٢) رواه البخاري في بدء الخلق، ومسلم في اللباس.
(٣) رواه الترمذي في حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح (ترغيب).

وقال رسول الله ﷺ:

[٤٠٦] «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»[١] مخرج في الصحيحين.

وفي سن أبي داود عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب**». وقال الخطابي رحمه الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب**» يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحفظة، فانهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب، وقد قيل: انه لم يرد الجنب الذي أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة، ولكنه الذي يجنب ولا يغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذه عادة. فان النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد، وفي هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه.

وقالت عائشة رضي الله عنها:

[٤٠٧] كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء[٢].

وأما الكلب فهو أن يقتني كلباً لا لزرع ولا لضرع ولا صيد، فأما إذا اضطر اليه فلا حرج للحاجة اليه في بعض الأمور، أو لحراسة داره إذا اضطر اليه، فلا حرج عليه ان شاء الله.

وأما الصور فهي كل مصور من ذوات الأرواح، سواء كانت لها أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة في سقف أو جدار أو موضوعة في

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق، والنكاح والمغازي والانبياء واللباس، ومسلم في اللباس والامام أحمد في «المسند» ٨٣/١، ٢٨/٤، ٩٠/٣.

(٢) رواه الترمذي رقم ١١٨ باب ما جاء في الجنب ينام قبل ان يغتسل وأعله الترمذي لمخالفة الحديث الصحيح ويرى ان هذا غلط من أبي اسحاق راوي الحديث.

نمط، أو منسوخة في ثوب أو مكان، فان قضية العموم تأتي عليه فليجتنب ،وبالله التوفيق.

ويجب اتلاف الصور لمن قدر على اتلافها وازالتها. روى مسلم في صحيحه عن حيان بن حصين قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

[٤٠٨] **ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ان لا تدع صورة الا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**[١].

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى، انه جواد كريم.

الكبيرة التاسعة والاربعون: اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

روينا في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٤٠٩] **«ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»**[٢].

وروينا في صحيحها عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ:

[٤١٠] **«بريء من الصالقة والحالقة والشاقة»**[٣] الصالقة: التي ترفع صوتها بالنياحة، والحالقة: التي تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة،

---

(١) رواه مسلم في الجنائز والامام أحمد ٨٩/١ و١١١.
(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز رقم (١٢٩٧) ورواه مسلم في كتاب الايمان رقم ١٠٣.
(٣) رواه البخاري تعليقاً في كتاب الجنائز ومسلم في الايمان رقم (١٠٤) باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب.

والشاقة: التي تشق ثيابها عند المصيبة، وكل هذا حرام باتفاق العلماء، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه، والدعاء بالويل والثبور.

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ في البيعة ان لا ننوح. رواه البخاري، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٤١١] «اثنتان في الناس هما بهم كفر. الطعن في الانساب والنياحة على الميت»[١] رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة. رواه ابو داود. وعن[٢] أبي بردة قال: وجع أبو موسى الأشعري فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنّة، فلم يستطع أن يرد عليها، فلما أفاق قال: أنا بريء مما بريء منه رسول الله ﷺ، ان رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت اخته تعدد عليه فتقول: واكذا واكذا، فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لي انت كذا انت كذا أخرجه البخاري.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:

[٤١٢] «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه»[٣].

---

(١) رواه مسلم رقم (٦٧) في الايمان: باب اطلاق اسم الكفر على الطغى في النسب والنياحة.

(٢) رواه البخاري وابن ماجه والنسائي «الترغيب».

(٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز (باب ما يكره من النياحة على الميت) رقم (١٢٩٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز رقم (٩٢٧) باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: واسيداه واجبلاه، واكذا واكذا، ونحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه: اهكذا أنت؟ أخرجه الترمذي[1].

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤١٣] «النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[2]. وقال صلى الله عليه وسلم:

«انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة ولهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة خمش في وجوه وشق في جيوب ورنة شيطان» وقال الحسن: صوتان ملعونان مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة.

وقال رسول الله ﷺ:

[٤١٤] «ان هذه النوائح يجعلن صفين في النار فينبحن في أهل النار كما تنبح الكلاب»[3] وعن الأوزاعي: ان عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره، فمال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها، وقال: أضرب فانها نائحة ولا حرمة لها، انها لا تبكي بشجوكم انها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم، وانها تؤذي موتاكم في قبورهم، وأحياكم في دورهم لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه.

واعلم ان النياحة: رفع صوت بالندب: تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل: هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه.

---

(١) وقال حديث حسن غريب، وكذا رواه ابن ماجه (ترغيب).
(٢) رواه مسلم رقم (٩٣٤) في الجنائز: باب التشديد في النياحة.
(٣) رواه الطبراني في الاوسط من حديث ابي هريرة وأشار المنذري إلى ضعفه.

قال العلماء: ويحرم رفع الصوت بافراط بالبكاء، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام. روينا في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا. فقال: «**ألا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا أو يرحم**» وأشار إلى لسانه وروينا في صحيحها عن اسامة بن زيد ان رسول الله ﷺ، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وانما يرحم الله من عباده الرحماء**».

وروينا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**يا ابن عوف انها رحمة**»، ثم أتبعها بأخرى فقال: «**ان العين لتدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون**».

وأما الأحاديث الصحيحة: «**ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه**» فليست على ظاهرها واطلاقها بل هي مؤولة، واختلف العلماء في تأويلها على أقوال اظهرها والله أعلم انها محمولة على أن يكون له سبب في البكاء إما أن يكون قد اوصاهم به أو غير ذلك.

قال أصحاب الشافعي: ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح: «فاذا وجبت فلا تبكين باكية»، وقد نص الشافعي والاصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم، وتأولوا حديث «فلا تبكين باكية» على الكراهة والله اعلم.

(فصل) وانما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع

وتنهى عن الصبر، والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب، ونهيا عن الجزع والسخط. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة آية ١٥٣) مال عطاء عن ابن عباس يقول: إني معكم أنصركم ولا أخذلكم قال الله تعالى: ﴿ولنبلونكم﴾ اي لنعاملنكم معاملة المبتلي لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلي، فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب، وقول الله ﴿بشيء من الخوف والجوع﴾ قال ابن عباس: يعني خوف العدو، والجوع يعني المجاعة والقحط، ﴿ونقص من الأموال﴾ يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي، ﴿والأنفس﴾ بالموت والقتل والمرض والشيب، ﴿والثمرات﴾ يعني الحوائج، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج. ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على ان من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾، ثم نعتهم فقال: ﴿الذين إذا اصابتهم مصيبة﴾ أي نالتهم نكبة مما ذكر، ولا يقال فيما اصيب بخير مصيبة ﴿قالوا إنا لله﴾ عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء ﴿وإنا اليه راجعون﴾ بالهلاك وبالفناء، ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراده بالحكم، إذ قد ملك في الدنيا قوماً الحكم، فاذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

[٤١٥] «ما من مصيبة يصاب بها المؤمن الا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها»[١] رواه مسلم وعن علقمة بن مرثد بن سابط عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ:

---

(١) وكذا وشاهده عندهما من حديث ابي سعيد الخدري (الترغيب).

[٤١٦] «**من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فانها أعظم المصائب**»(١) وقال رسول الله ﷺ:

[٤١٧] «**إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد**»(٢)، وعن رسول الله ﷺ قال:

«**يقول الله تعالى ما لعبدي عندي جزاء إذا قبضت صفية من أهل الدنيا ثم احتسب الا الجنة**» رواه البخاري.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من سعادة بني آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى**» وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة، فمنهم الصاكة وجهها، ومنهم الناشرة شعرها، ومنهم الداعية بويلها. فيقول ملك الموت عليه السلام: «مم هذا الجزع ومم هذا الفزع؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً، ولا ذهبت لأحد منكم برزق، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً فان كانت شكايتكم وسخطكم علي فاني والله مأمور، وان كان على ميتكم فانه مقهور، وان كان على ربكم فأنتم به كافرون، وان لي بكم عودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحداً». قال رسول الله ﷺ:

«**والذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم**».

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وفيه ابو بردةعمرو بن يزيدوثقه ابن حبان وضعفه غيره (مجمع الزوائد).

(٢) رواه الترمذي وابن حبان وقال الترمذي حسن غريب (ترغيب).

(فصل في التعزية) عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**من عزى مصاباً فله مثل أجره**» رواه الترمذي[1].

وعن أبي بردة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: «**من عزى ثكلى كسي برداً من الجنة**» رواه الترمذي[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها:

ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟ قالت: أتيت أهل هذا البيت فترحمت اليهم ميتهم وعزيتهم به[3].

وعن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ:

«**ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة**»[4].

واعلم رحمك الله أن التعزية هي التصبير، وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته، وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي أيضاً داخلة في قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (سورة المائدة، آية ٢) وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية.

واعلم أن التعزية «هي الأمر بالصبر» مستحبة قبل الدفن وبعده. قال اصحاب الشافعي: من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام. قال اصحابنا وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام، لأن التعزية تسكن قلب المصاب، والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن،

(١ و ٢) وقال في كليهما حديث غريب، وزاد في الأول أنه روي موقوفاً (الترغيب).

(٣) رواه أبو داود والنسائي بسند فيه ربيعة بن سيف تابعي من أهل مصر فيه كلام لا يقدح في حسن الاسناد (ترغيب).

(٤) رواه ابن ماجه وسكت عليه (المنذري).

هكذا قاله الجماهير من اصحابنا. وقال ابو العباس من أصحابنا: لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى ابداً وان طال الزمان. قال النووي رحمه الله والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا في صورتين استثناهما أصحابنا، وهما اذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائباً حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله، لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر هذا إذا لم ير منهم جزعاً، فان رآه قدم التعزية ليسكنهم، والله أعلم.

ويكره الجلوس للتعزية، يعني ان يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية، ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزى به ما روينا في الصحيحين عن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه وتخبره أن ابناً لها في الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول:

« **ارجع اليها فأخبرها ان لله ما أخذ وله ما أعطي، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب** »، وذكر تمام الحديث. قال النووي رحمه الله: فهذا الحديث من أعظم قواعد الاسلام المشتملة على مهات كثيرة من أصول الدين وفروعه والاداب، والصبر على النوازل كلها، والهموم والأسقام، وغير ذلك من الأغراض.

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: « **ان لله ما أخذ** » ان العالم كله ملك لله، لم يأخذ ما هو لكم بل هو أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية. وقوله: « وله ما أعطى » ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه، بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء « وكل شيء عنده بأجل مسمى »، فلا تجزعوا فان من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيره أو تقديمه عنه، فاذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم. والله اعلم.

وعن[1] معاوية بن أياس عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ: انه فقد رجلاً من أصحابه فسأل عنه، فقالوا: يا رسول الله ابنه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره انه هلك، فعزاه عليه ثم قال: يا فلان «إيما كان أحب اليك ان تمتع به عمرك أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك اليه يفتحه لك؟» فقال: يا نبي الله يسبقني الى الجنة يفتحها لي وهو أحب إلي قال: **فذلك لك** فقيل: يا رسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال: «**بل للمسلمين عامة**».

وعن أبي موسى[2] عن النبي ﷺ انه خرج الى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكي فقال لها: «**يا أمة الله إتقي الله واصبري**» قالت: يا عبد الله إني أنا الحرى الثكلى. قال: «**يا أمة الله إتقي الله واصبري**» قالت: يا عبد الله لو كنت مصابا عذرتني قال: «**يا أمة الله إتقي الله واصبري**» قالت: يا عبد الله قد اسمعتني فانصرف. قال: فانصرف عنها رسول الله ﷺ، وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها: ما قال لك الرجل؟ فاخبرته بما قال وبما ردت عليه، فقال لها: أتعرفينه؟ قالت: لا والله. قال: ويحك ذلك رسول الله ﷺ، فبادرت تسعى حتى أدركته، فقالت: يا رسول الله اصبر. قال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» أي انما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة، وأما فيما بعد

---

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والنسائي وابن حبان في صحيحه باختصار (ترغيب).

(٢) رواه ابو يعلى في مسنده من حديث ابي هريرة وابي موسى وفي سنده بكر بن الاسود الناجي وهو ضعيف قاله الهيثمي في مجمع الزوائد وأصله في الصحيحين من حديث أنس مختصراً وصحابته ابو هريرة لا أبو موسى كما في الهيثمي وفتح الباري في شرح حديث أنس «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» في كتاب الجنائز في صحيح البخاري.

فيقع السلو طبعاً. وفي صحيح مسلم: مات إبن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهله: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه، فجاء أبو طلحة فقربت اليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت انه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو ان قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال لا، قالت أم سليم: فاحتسب ابنك. قال: فغضب ابو طلحة، فقال: تركتني حتى اذا تلطخت اخبرتيني بابني، والله لا تغلبيني على الصبر، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ:

«بارك الله لكما في ليلتكما». فذكر الحديث. وفي الحديث[1]: «ما أعطي أحداً عطاء خيراً وأوسع من الصبر».

وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إنك ان صبرت ايماناً واحتساباً وإلا سلوت كما تسلو البهائم. وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة: انك قد ذهب منك ما رزئت به فلا يذهبن عنك ما عرضت عنه وهو الأجر. وقال آخر: العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، قلت: قد علم ان ممر الزمان يسلي المصاب، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى.

وبلغ الشافعي رضي الله عنه ان عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً، فبعث اليه الشافعي رحمه الله يقول: يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك، واعلم ان امضى المصائب فقد سرور وحرمان

---

(١) رواه البخاري، ضمن حديث طويل (ترغيب).

أجر، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر؟ فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل ان تطلبه وقد نأى عنك، ألهمك الله عند المصائب صبراً واحرز لنا ولك بالصبر اجراً، وكتب اليه يقول:

إني معزيك لا أني على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزي بباق بعد ميته ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب رجل إلى بعض اخوانه يعزيه بابنه: أما بعد فان الولد على والده ما عاش حزن وفتنه، فاذا قدمه فصلاة ورحمة، فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنته، ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته.

وقال موسى بن المهدي لابراهيم بن سلمة وعزاه بابنه: أسرك وهو بلية وفتنة وأحزنك وهو صلاة ورحمة؟

وعزى رجل رجلاً فقال: ان من كان لك في الآخرة أجراً خير ممن كان في الدنيا سروراً وفرحاً.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه دفن إبناً له ثم ضحك عند القبر، فقيل له: أتضحك عند القبر؟ فقال: أردت أن أرغم الشيطان. وعن ابن جريج رحمه الله قال: من لم يتعرض مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم، وعن حميد الأعرج قال: رأيت سعيد ابن جبير رحمه الله يقول في ابنه ونظر اليه: اني أعلم خير خلة فيك، قيل وما هي؟ قال: بموت فاحتسبه.

وعن الحسن البصري رحمه الله: ان رجلاً حزن على ولد له وشكا ذلك اليه فقال الحسن كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم كان غيبته أكثر من حضوره، قال: فاتركه غائباً فانه لم يغب عنك غيبة إلا لك فيها أجر أعظم من هذه. فقال: يا أبا سعيد هونت علي وجدي على إبني.

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال: يا بني كيف تجدك؟ قال: أجدني في الحق. قال: يا بني لئن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك. قال: يا أبت لئن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب.

ومات ابن الامام الشافعي فانشد يقول:

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له ... رزية مال أو فراق حبيب

ووقعت في رِجْل عروة الآكلة فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد وهو شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة. الا إنه قال: (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) وتمثل بهذه الأبيات:

لعمري ما أهويت كفّي لريبة ... ولا نقلتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم أني لم تصبني مصيبة ... من الدهر الا قد اصابت فتى قبلي

وقال رضي الله عنه: اللهم ان كنت ابتليت فقد عافيت، وان كنت أخذت فقد أبقيت، أخذت عضواً وابقيت اعضاء وأخذت إبناً وابقيت ابناء.

وقدم على الوليد في تلك الليلة رجل أعمى من بني عبس فسأله عن عينيه فقال: بت ليلة في بطن واد ولم أعلم في الأرض عبسياً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من مال وأهل وولد غير بعير وصبي، وكان البعير صعباً فند (أي شرد) فاتبعته، فما جاوزت الصبي إلا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت فاذا رأس الصبي في بطن الذئب فقتله، ثم اتبعت البعير لأخذه فنفحني برجله فأصاب وجهي فحطمه وأذهب عيني، فأصبحت لا أهل لي ولا مال ولا ولد ولا بعير.

فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم ان في الأرض من هو أشد منه بلاء.

وذكر ان عثمان رضي الله عنه لما ضُرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته: لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين، اللهم اني استعين بك عليهم، واستعينك على جميع أموري، وأسألك الصبر على ما ابتليتني.

وقال المدائني: رأيت بالبادية امرأة لم أر جلداً أنضر منها ولا أحسن وجهاً منها، فقلت: تالله ان فعل هذا بك الاعتدال والسرور، فقالت: كلا والله اني لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك: كان لي زوج، وكان لي منه إبنان، فذبح أبوهما شاة في يوم الأضحى والصبيان يلعبان، فقال الأكبر للأصغر: أتريد ان أريك كيف ذبح أبي الشاة قال: نعم. فذبحه، فلما نظر الى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب، فخرج أبوه في طلبه فتاه أبوه فمات عطشاً فأفردني الدهر. فقلت لها: وكيف انت والصبر؟ فقالت: لو دام لي لدمت له ولكنه كان جرحاً فاندمل.

وعن[1] ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان له فرطان[2] من أمتي دخل الجنة**» يعني ولدين.

قالت عائشة رضي الله عنها: بأبي أنت وأمي فمن كان له فرط؟ قال ﷺ: «**ومن كان له فرط يا موفقة**». قلت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال أنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلي.

وعن أبي عبيدة رضي الله عنه عن ابيه[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قدَّم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصناً من**

---

(١) الترمذي وقال حسن غريب (ترغيب).

(٢) الفرط بفتح الفاء وبالراء. الذي مات قبل البلوغ ذكراً كان أم انثى وجمعه افراط (منذري).

(٣) ابو عبدالله بن مسعود والحديث أخرجه ابن ماجة واشار المنذري إلى ضعفه وليس في آخره قوله «ولكن ذلك في أول صدمة».

النار». فقال أبو الدرداء: قدَّمت اثنين، قال: (واثنين) قال أبي بن كعب سيد القراء قدَّمت واحداً. قال ﷺ: «**وواحداً ولكن ذلك في أول صدمة**». وعن وكيع قال: كان لابراهيم الحربي ابن وكان له عشرة سنة قد حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً، فمات فجئت أعزيه قال لي: كنت اشتهي موت ابني هذا. قلت: يا أبا اسحاق انت عالم الدنيا تقول مثل هذا؟ قد انجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث. قال: نعم رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن صبياناً في أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوم حار شديد حره، قال، فقلت لاحدهم: اسقني من هذا الماء. قال: فنظر إلي، وقال لي: ليس أنت ابي: فقلت: ومن أنتم؟ نحن الصبيان الذين متنا في الاسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته.

وروى مسلم عن أبي حسان قال، قلت لأبي هريرة رضي الله عنه حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا، قال: نعم

[٤١٨] صغارهم دعاميص[١] الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه، فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهي حتى يدخله الجنة[٢].

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: كنت في أول أمري مكباً على اللهو وشرب الخمر، فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لي بنتاً

---

(١) دعاميص بفتح الدال: جمع دعموص بضمها دويبة صغيرة يضرب لونها الى السواد تكون في العذرات إذا نشفت شبه بها الطفل في الجنة لصغر سنه وسرعة حركته، وقيل: اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم لا يتوقف على اذني منهم ولا يخاف أين ذهب من ديارهم، شبه به الطفل لكثرة ذهابه في الجنة حيث شاء، لا يمنع من بيت فيها ولا موضع (ترغيب).

(٢) رواه مسلم في البر، والامام أحمد في «المسند» ٤٧٧/٢ و ٥١٠.

فأحببتها حباً شديداً، إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر وجذبتني عليه فأهرقته بين يدي، فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدني حزنها. قال: فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبري، وإذا بتنين قد تبعني يريد أكلي - والتنين الحية العظيمة - قال: فهربت منه فتبعني، وصار كلما أسرعت يهرع خلفي وأنا خائف منه، فمررت في طريقي على شيخ نقي الثياب ضعيف، فقلت، يا شيخ بالله أجرني من هذا التنين الذي يريد أكلي واهلاكي. فقال: يا ولدي أنا شيخ كبير وهذا أقوى مني ولا طاقة لي به، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه. قال: فأسرعت في الهرب وهو ورائي، فأشرفت على طبقات النار وهي تفور، فكدت أن أهوي فيها، واذا قائل يقول: لست من أهلي فرجعت هارباً، والتنين في أثري، فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول: أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه فتحت الأبواب ورفعت الستور وأشرقت علي منها أطفال بوجوه كالأقمار وإذا ابنتي معهم، فلما رأتني نزلت إلى كفة من نور، وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً، وجلست في حجري وقالت يا أبت ﴿ألم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾. فقلت: يا بنية وأنتم تعرفون القرآن؟ قالت: نحن أعرف به منكم. قلت: يا بنية ما تصنعون ههنا؟ قالت: نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا ههنا الى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا. فقلت: يا بنية ما هذا التنين الذي يطاردني ويريد اهلاكي؟ قالت: يا أبت ذلك عملك السوء قويته فأراد اهلاكك، فقلت: ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي رأيته؟ قالت: ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب الى الله ولا تكن من الهالكين، قال ثم ارتفعت عني واستيقظت فتبت الى الله من ساعتي.

فانظر رحمك الله الى بركة الذرية اذا ماتوا صغاراً ذكوراً كانوا أو اناثاً، وانما يحصل للوالدين النفع بهما في الآخرة اذا صبروا واحتسبوا وقالوا: الحمد لله إنا لله وإنا اليه راجعون، فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِين إِذَا أَصَابَتْهُمْ مصيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ﴾ (سورة البقرة آية ١٥٦) أي نحن وأموالنا يصنع بنا ما يشاء ﴿وإِنَّا إليهِ راجِعُونَ﴾ اقرار بالهلاك والفناء.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« ما أصاب عبداً مصيبة الا باحدى خلتين، اما بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة. أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة ».

وقال سعيد بن جبير: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم **﴿إنا لله وإنا اليه راجعون﴾**، ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول: **﴿يا أسفي على يوسف﴾**.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« من قال عند المصيبة ﴿إنا لله وإنا اليه راجعون﴾ اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها الا آجره الله وأخلف له خيراً منها »** قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت: من خير من أبي سلمة؟ ثم قلتها فأخلفني الله رسول الله ﷺ رواه مسلم.

وعن الشعبي أن شريحاً قال: اني لاصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمده إذ لم يكن أعظم منها، وأحمده اذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمده اذ لم يجعلها في ديني. وقوله **﴿أولئكَ عليهِمْ صَلَوات منْ ربِّهِمْ ورَحْمَة﴾**(سورة البقرة آيـة ١٥٧) الصلوات من الله الرحمة والمغفرة**﴿وأولئـــكَ هُمُ المهتَدونْ﴾** يريد الذين اهتدوا للترجيع وقيل الى الجنة والثواب.

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿أولئكَ عليهم صلوات من ربهمْ ورحمة﴾ نعم العدلان ﴿واولئِكَ هم المهتدون﴾ نعم العلاوة.

وأما اذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور، او لطم خداً، او شق جيباً، او نشر شعراً او حلقه او قطعه او نتفه «فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلاً كان او امرأة».

وقد روي أيضاً ان الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر، وقد روي ان من اصابته مصيبة فخرق عليها ثوباً أو لطم خداً أو شق جيباً أو نتف شعراً فكأنما رمحاً يريد أن يحارب ربه. وقد تقدم ان الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - يعني ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه، يعني من الندب والنياحة -، وقد تقدم ان الميت يعذب في قبره بما نيح عليه اذا قالت النائحة: واعضداه، واناصراه، واكاسياه، جبذ الميت وقيل له أنت عضدها؟ أنت ناصرها؟ أنت كاسيها؟ فالنواح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر، وفيه مخالفة التسليم للقضاء، والاذعان لأمر الله تعالى.

(حكاية): قال صالح المري[1]: كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت، واذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقاً حلقاً، ونزلت عليهم أطباق مغطية، واذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم. قال: فتقدمت اليه وقلت يا شاب ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم؟ فقال: يا صالح بالله عليك بلغ ما آمرك بهوأدِّ الامانة وارحم غربتي، لعل الله عز وجل ان يجعل لي على يديك مخرجاً:

---

(١) صالح المري: ابو بشر البصري، القاضي الزاهد، ضعيف في الحديث مات سنة اثنتين وسبعين ومائة.

اني لما مت ولي والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن علي وينحن كل يوم، فأنا معذب بذلك، النار عن يميني وعن شمالي وخلفي وأمامي لسوء مقال أمي، فلا جزاها الله عني خيراً، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ثم قال: يا صالح بالله عليك اذهب اليها فهي في المكان الفلاني وعلم لي المكان، وقل لها لم تعذبي ولدك يا أماه، ربيتني ومن الاسواء وقيتني، فلما مت في العذاب رميتني.

يا أماه لو رأيتني: الأغلال في عنقي والقيد في قدمي، وملائكة العذاب تضربني وتنهرني، فلو رأيت سوء حالي لرحمتني، وإن لم تتركي ما أنت عليه من الندب والنياحة، الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء، ويبرز الخلائق لفصل القضاء. قال صالح: فاستيقظت فزعاً، ومكثت في مكاني قلقاً الى الفجر فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لي هم الا الدار التي لأم الصبي الشاب، فاستدللت عليها فأتيتها، فإذا بالباب مسود، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار. فطرقت الباب فخرجت إلي عجوز، فقالت: ما تريد يا هذا؟ فقلت: أريد أم الشاب الذي مات فقالت: وما تصنع بها هي مشغولة بحزنها. فقلت: أرسليها إلي، معي رسالة من ولدها، فدخلت فأخبرتها، فخرجت أم وعليها ثياب سود ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم، فقالت لي: من أنت؟ قلت: أنا صالح المري جرى لي البارحة في المقابر مع ولدك كذا وكذا، رأيته في العذاب وهو يقول: يا أمي ربيتني ومن الأسواء وقيتني، فلما مت في العذاب رميتني، وإن لم تتركي ما انت عليه الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء. فلما سمعت ذلك غشي عليها وسقطت الى الارض، فلما أفاقت بكت بكاء شديداً، وقالت: يا ولدي يعز علي، ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت، وأنا تائبة الى الله تعالى من ذلك، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب، وأخرجت إلي كيساً فيه دراهم كثيرة، وقالت: يا صالح تصدق بهذه عن

ولدي. قال صالح: فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتي فنمت، فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم، وأتتهم الأطباق، وإذ ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضاً طبق فأخذه، فلما رآني جاء إلي فقال: يا صالح جزاك الله عني خيراً، خفف الله عني العذاب، وذلك بترك أمي ما كانت تفعل، وجاءني ما تصدقت به عني. قال صالح: فقلت وما هذه الأطباق؟ فقال: هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له هذه هدية فلان اليك فارجع الى أمي واقرئها مني السلام، وقل لها جزاها الله عني خيراً، قد وصل إلي ما تصدقت به عني وانت عندي عن قريب فاستعدي. قال صالح: ثم استيقظت وأتيت بعد أيام الى دار أم الشاب. واذا بنعش موضوع على الباب، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لأم الشاب، فحضرت الصلاة عليها ودفنت الى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت.

فنسأل الله ان يتوفانا مسلمين، ويلحقنا بالصالحين، ويعصمنا من النار، انه جواد كريم، رؤوف رحيم.

الكبيرة الخمسون: البغي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّما السَّبِيلُ عَلى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ في الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ اولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ﴾ (سورة الشورى آية ٤٢).

وقال النبي ﷺ:

[٤١٩] «ان الله أوحى إلي ان تواضعوا حتى لا يبغي أحد على احد ولا يفخر احد على احد»[1] رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم في كتاب صفة الجنة رقم (٢٨٦٥)، ورواه ابو داود رقم (٤٨٩٥) في الأدب، باب في التواضع.

وفي الأثر: **لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكاً**.

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤٢٠] « **ما من ذنب اجدر ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم** »[١].

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه، فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة القصص آية ٧٦) الى قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ (سورة القصص آية ٨١) قال ابن الجوزي رحمه الله: في بغي قارون أقوال (**أحدها**) انه جعل للبغية جعلاً على ان تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت، فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا بغيه قاله ابن عباس، (**والثاني**) انه بغى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك. (**والثالث**) بالكفر قاله قتادة، (**والرابع**) انه أطال ثيابه شبراً قاله عطاء الخرساني، انه كان يخدم فرعون فاعتدى على بني اسرائيل فظلمهم حكاه الماوردي.

قوله: ﴿فخسفنَا به وَبِداره الأَرْضَ﴾ الآية، لما أمر قارون البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله اليه: اني قد أمرت الأرض ان تطيعك فمرها، فقال موسى: يا أرض خذيه، فأخذته حتى غيبت سريره، فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم، فقال: يا أرض خذيه. فأخذته حتى غيبت قدميه، فما زال

---

(١) رواه ابو داود رقم (٤٩٠٢) في الأدب: باب في النهي عن البغي. ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب رقم (٥٨) رقم (٢٥١٣) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح والحاكم وقال: صحيح الاسناد من حديث ابي بكرة وابن ماجه رقم (٤٢١١) في الزهد.

يقول: يا ارض خذيه حتى غيبته. فأوحى الله اليه: يا موسى وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته! قال ابن عباس فخسفت به الأرض الى الأرض السفلى. قال سمرة بن جندب: انه كل يوم يخسف به قامة. قال مقاتل: فلما هلك قارون قال بنو اسرائيل إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام.

﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ اي يمنعونه من الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (سورة القصص آية ٨١) اي من المتنعين مما أنزل به، والله أعلم.

اللهم انك اذا قبلتَ سَلَّمت، واذا أعْرضت أسلمتَ، واذا وفقت ألهمت، واذا خذلت إتهمت.

اللهم اذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك، واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين آمين.

الكبيرة الحادية والخمسون: الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان اليهم بقوله تعالى:

﴿واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا به شَيْئاً وَبِالوالدين إحْسَاناً وَبِذِي القُرْبَى واليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَالجَار ذي القُرْبى وَالجار الجُنُب وَالصَّاحِب بالجَنْب وَابْن السَّبيل وَمَا مَلَكَت ايمانُكُم إن اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ (سورة النساء آية ٣٦).

قال الواحدي: في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شيْئاً﴾ (سورة النساء آية ٣٦) أخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم المهرجاني باسناده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال:

[٤٢١] يا معاذ، قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله. قال: «**هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ اعرابي فقال: يا نبي الله أوصني، قال:

[٤٢٢] «**لا تشرك بالله شيئاً وان قطِّعت وحرِّقت، ولا تدع الصلاة لوقتها فانها ذمة الله، ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر**»(٢).

قوله: ﴿**وبالوالدين إحساناً**﴾ يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب، ولا يغلظ لهما الجواب، ولا يحد النظر اليهما، ولا يرفع صوته عليهما، بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تذللاً لهما. قوله: ﴿**وبذي القربى**﴾ قال يصلهم ويتعطف عليهم، ﴿**واليتامى**﴾ يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم، ﴿**والمساكين**﴾ ببذل يسير ورد جميل، ﴿**والجار ذي القربى**﴾ يعني الذي بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام، ﴿**والجار الجنب**﴾ هو الذي ليس بينك وبينه قرابة يقال رجل جنب إذا كان غريباً متباعداً أهله، وقوم أجانب والجنابة: البعد. عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:

---

(١) هذا الحديث في الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة، ونقله المؤلف عن الواحدي عن الضعاف والمناكير وهو على طرف التمام في دواوين الاسلام الشهيرة.

(٢) ذكر المنذري في ترغيبه أحاديث نحو هذا الحديث أقربها منه حديث معاذ عند أحمد والطبراني، قال: واسناد احمد صحيح لو سلم من الانقطاع بين عبد الرحمن بن جبير ابن نفير ومعاذ فانه لم يسمع منه، ومنها حديث عند الطبراني في الأوسط ولا بأس باسناده في المتابعات، وحديث اميمة مولاته حتى عند الطبراني بسند فيه يزيد بن سنان الرهاوي، وحديث ابي الدرداء عند ابن ماجة والبيهقي بسند فيه شهر بن حوشب (ترغيب).

[٤٢٣] «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه»[١]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٤٢٤] «ان الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول: يا رب أوسعت على أخي هذا واقترب علي، أمسي طاوياً ويمسي هذا شبعان، لم أغلق بابه عني وحرمني ما قد أوسعت به عليه»[٢].

﴿والصاحب بالجنب﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق في السفر له حق الجوار وحق الصحبة. ﴿وابن السبيل﴾: هو الضعيف يجب اقراؤه إلى ان يبلغ حيث يريد، وقال ابن عباس: هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك. ﴿وما ملكت ايمانكم﴾: يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطىء قوله: ﴿ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾، قال ابن عباس: يريد بالمختال العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله، والفخور هو الذي يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشي في حلة مختالاً فخوراً إذ ابتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة». وعن أسامة قال: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

[٤٢٥] «من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة»[٣] هذا ما ذكره الواحدي.

---

(١) رواه ابو داود وابن ماجة من حديث عائشة ورواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث ابن عمر، ورواه احمد باسناد جيد رواته رواة الصحيح من حديث رجل من الانصار (ترغيب).

(٢) رواه الأصبهاني في (الترغيب والترهيب) من حديث ابن عمر وأشار المنذري إلى ضعفه.

(٣) رواه البخاري رقم (٥٧٨٨) في كتاب اللباس باب من جر ثوبه من الخيلاء.

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا في آخر مرضه يوصي بالصلاة، وبالاحسان إلى المملوك، ويقول:

[٤٢٦] «**الله الله الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[١].

وفي الحديث:

[٤٢٧] «**حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم**» وقال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة سيء الملكة**»[٢].

قال أبو مسعود رضي الله عنه: كنت أضرب مملوكاً بالسوط فسمعت صوتاً من روائي «**اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**» قال، قلت: يا رسول الله لا أضرب مملوكاً لي بعده ابدا. وفي رواية سقط السوط من يدي من هيبة رسول الله ﷺ، وفي رواية: فقلت هو حر لوجه الله، فقال: «**اما انك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة**»، رواه مسلم. وروى مسلم أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ضرب غلاماً له حداً لم يأته أو لطمه فكفارته ان يعتقه**»، ومن حديث حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: «**ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**».

وفي الحديث[٣]:

[٤٢٨] «**من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة**»، وقيل لرسول الله ﷺ كم نعفو عن الخادم؟ قال:

[٤٢٩] «**في اليوم سبعين مرة**»[٤].

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجة من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد وابو داود عن بعض بني رافع بن مكيث عنه ولم يسمعه منه، ورواه ابو داود عن الحارث بن رافع بن مكيث عن النبي مرسلاً (ترغيب).

(٣) رواه البزار والطبراني باسناد حسن (ترغيب).

(٤) رواه ابو داود والترمذي وقال حسن غريب. وفي بعض النسخ الترمذي حسن صحيح من حديث عبد الله بن عمر (ترغيب).

وكان(١) في يد النبي ﷺ يوماً سواك فدعا خادماً له فأبطأ عليه فقال: «**لولا القصاص لضربتك بهذا السواك**»، وكان لأبي هريرة رضي الله عنه جارية زنجية فرفع يوماً عليها السوط فقال: لولا القصاص لاغشيتكيه ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

وجاءت(٢) امرأة الى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله اني قلت لأمتي يا زانية، قال:

[٤٣٠] **وهل رأيت عليها ذلك؟** قالت: لا. **أما أنها ستستقيد منك يوم القيامة** فرجعت الى جاريتها فأعطتها سوطاً، وقالت: أجلديني. فأبت الجارية فاعتقتها ثم رجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بعتقها فقال: «**عسى**» أي عسى أن يكفر عتقك لها ما قذفتها به.

وفي الصحيحين(٣) ان رسول الله ﷺ قال:

[٤٣١] «**من قذف مملوكه وهو بريء مما قاله جلد يوم القيامة حداً إلا ان يكون كما قال**. وفي الحديث(٤):

[٤٣٢] «**للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لايطيق**»،وكان(٥) صلى الله عليه وسلم يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول:

---

(١) رواه أحمد باسانيد احدها جيد والطبراني كلاهما من حديث أم سلمة.

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد، وتعقبه المنذري بأن فيه الملك بن هارون متروك: ان عبدالله بن عمرو بن العاص زار عمة له فقذفت جاريتها الخ.. بنحو مما هنا.

(٣) من حديث ابي هريرة وكذا روايات، وقال حديث حسن صحيح (ترغيب).

(٤) رواه مسلم من حديث ابي هريرة - وزاد ابن حبان في صحيحه وقال «كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا عباد الله خلقاً أمثالكم» (ترغيب).

(٥) روى الطبراني نحوه من حديث زيد بن حارثة وفي سنده عاصم بن عبد الله مشاه بعضهم وصحح له الترمذي والحاكم ولا يضر في المتابعات (الترغيب) وله شاهد من حديث علي عند أبي داود، وعن أم سلمة عند ابن ماجة بسند ضعيف، ومن حديث كعب بن مالك عند الطبراني من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد وقد وثقاه ولا بأس بها في المتابعات.

[٤٣٣] «الله الله في الصلاة وما ملكت ايمانكم، أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فان كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله، فانه ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم».

ودخل جماعة على سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله، فقالوا: ألا تترك الجارية تعجن؟ فقال رضي الله عنه: انا أرسلناها في عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملاً آخر. وقال بعض السلف: لا تضرب المملوك في كل ذنب ولكن احفظ له ذلك، فاذا عصى الله فاضربه على معصية الله وذكره الذنوب التي بينك وبينه.

(فصل) ومن أعظم الاساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده، أو بينه وبين أخيه لما جاء عن النبي ﷺ انه قال:

من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين احبته يوم القيامة[١]. قال علي كرم الله وجهه: وهب لي رسول الله ﷺ غلامين اخوين فبعث أحدهما، فقال رسول الله ﷺ:

«رده رده». ومن ذلك ان يجوّع المملوك والجارية والدابة. يقول رسول الله ﷺ:

«**كفى بالمرء اثماً ان يحبس عمن يملك قوته**»[٢]، ومن ذلك أن يضرب الدابة ضرباً وجيعاً او يحبسها ولا يقوم بكفايتها، أو يحملها فوق طاقتها فقد روي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ (سورة الأنعام آية ٣٨)

---

(١) رواه الترمذي من حديث ابي ايوب وقال حديث حسن غريب والدارقطني، والحاكم وقال: صحيح الاسناد.

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (ترغيب).

قيل: يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضي بينهم، حتى انه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء حتى يقاد للذرة من الذرة، ثم يقال لهم: كونوا تراباً، فهنالك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبينها وبين بني آدم، حتى ان الانسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فانها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت جوعاً لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض**» أي من حشراتها.

وفي الصحيح[1] انه صلى الله عليه وسلم رأى امرأة معلقة في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها وهي تعذبها كما عذبتها في الدنيا بالحبس والجوع، وهذا عام في سائر الحيوان، وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال:

بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا انما خلقنا للحرث. فهذه بقرة أنطقها الله في الدنيا تدافع عن نفسها بانها لا تؤذي ولا تستعمل في غير ما خلقت له، فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه.

قال أبو سليمان الداراني: ركبت مرة حماراً فضربته مرتين أو ثلاثاً، فرفع رأسه ونظر إلي وقال يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فان

---

(١) رواه البخاري في صحيحه من حديث اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما (ترغيب).

شئت فأقلل وان شئت فأكثر: قال: فقلت لا أضرب شيئاً بعده أبداً.

ومر ابن عمر[١] بصبيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا ان رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً. والغرض كالهدف وما يرمي اليه. ونهى رسول الله ﷺ ان تصبر البهائم يعني أن تحبس للقتل، وان كان مما اذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور، قتله بأول دفعة ولا يعذبه لقوله عليه الصلاة والسلام:

«اذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة، وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[٢].

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت في الحديث الصحيح[٣] ان رسول الله ﷺ قال: **«اني كنت أمرتكم ان تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار، وان النار لا يعذب بها الا الله فان وجدتموهما فاقتلوهما»**

قال ابن مسعود: كنا مع رسول الله ﷺ في سفره فانطلق لحاجته فرأينا حمرة[٤] معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف، فجاء النبي ﷺ وقال:

---

(١) رواه مسلم من حديث ابن عمر.

(٢) رواه مسلم والترمذي في جامعه من حديث شداد بن أوس وقال حديث حسن صحيح كذا في الأطراف للمزي، وقال في المنتقى رواه أحمد ومسلم والنسائي.

(٣) يعني صحيح البخاري من حديث ابي هريرة، ويفيد كلام العسقلاني في الفتح أنه في الترمذي وابي داود والرجلان المكنى عنهما بفلان وفلان هما هبار بن الاسود ورفيقه نخسا بعير زينب بنت رسول الله ﷺ وقت هجرتها من مكة بعد غزوة بدر فسقطت عن راحلها ومرضت والقصة مشهورة في ابن اسحق، افاده العسقلاني في شرح الحديث من كتاب الجهاد من الفتح.

(٤) رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله أي ابن مسعود، والحمرة: طائر صغير كالعصفور.

«**من فجع هذه بولدها؟ ردوا عليها ولديها**»، ورأى رسول الله ﷺ قرية نمل - أي مكان نمل - قد أحرقناها فقال: من حرق هذه؟ قلنا نحن، فقال عليه الصلاة والسلام:

«**انه لا ينبغي لأحد ان يعذب بالنار الا ربها**». وفيه من النهي عن القتل والتعذيب بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرهما.

(فصل) ويكره قتل الحيوان عبثاً لما روي عن النبي ﷺ انه قال: «**من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة، وقال: يا رب سل هذا لِمَ قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة؟**»[1].

ويكره صيد الطير أيام فراخه لما روي ذلك في الأثر، ويكره ذبح الحيوان بين يدي أمه لما روي عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله، قال: ذبح رجل عجلاً بين يدي أمه فأيبس الله يده.

(فصل) في فضل عتق المملوك. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضواً من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه**» أخرجه البخاري.

وعن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

«**أيما امرىء مسلم اعتق امرأ مسلماً كان فكاكاً له من النار يجزي كل عضو منه عضواً منه، وأيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضوين منهما عضواً منه، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة الا كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها**» رواه الترمذي وصححه.

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين.

---

(١) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الشريد رضي الله عنه.

الكبيرة الثانية والخمسون: اذى الجار

ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال:

[٤٣٤] «والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»[١]. أي غوائله وشروره، وفي رواية: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[٢]. وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال:

[٤٣٥] «ان تجعل لله نداً وهو خلقك، وان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، وان تزني بحليلة جارك»[٣]. وفي الحديث:

[٤٣٦] «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»[٤]. والجيران ثلاثة: جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة، وجار مسلم له حق الجوار وحق الاسلام. والجار الكافر له حق الجوار.

وكان ابن عمر[٥] رضي الله عنهما له جار يهودي، فكان إذا ذبح الشاة يقول: احملوا إلى جارنا اليهودي منها. وروي ان الجار الفقير

---

(١) من حديث أبي هريرة وكذا أحمد وزاد قالوا: يا رسول الله وما بوائقة؟ قال: «شره» (ترغيب).

(٢) هي لمسلم من رواية ابي هريرة.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. والحليلة بفتح الحاء المهملة هي الزوجة (ترغيب).

(٤) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وبقيته في إكرام الضيف والسكوت إلا عن خير.

(٥) رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، وقال في آخره: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت ان سيورثه». قال (المنذري): وقد روى هذا المتن- يعني المرفوع- من طرق كثيرة وعن جماعة من الصحابة (ترغيب).

يتعلق بالجار الغني يوم القيامة، ويقول: يا رب سل هذا لِمَ منعني معروفه واغلق عني بابه[١].

وينبغي للجار أن يحمل اذى الجار، فهو من جملة الاحسان اليه، جاء رجل الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا قمت به دخلت الجنة. فقال: «**كن محسناً**»، فقال: يا رسول الله كيف أعلم أني محسن؟ قال: «**سل جيرانك فان قالوا انك محسن فأنت محسن، وان قالوا انك مسيء فأنت مسيء**» ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة، وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

«**من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**»[٢] وقيل:

لئن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره، ولئن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره[٣].

---

(١) مكرر رقم ٤٢٤.

(٢) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص وبقيته: «اتدري ما حق الجار؟ اذا استعانك أعنته، واذا استقرضك أقرضته، واذا افتقر عدت عليه، واذا مرض عدته، واذا أصابه خير هنأته، واذا أصابته مصيبة عزيته، واذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا باذنه، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وان اشتريت فاكهة فاهد له، فان لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغظ بها ولده» قال (المنذري): ولعل قوله: «اتدري ما حق الجار الخ» من كلام الراوي غير مرفوع، والحديث على كل اشار المنذري إلى ضعفه بقوله في أوله وروى وهي احدى علامات الضعف عنده وسكت عليه في آخره وهي العلامة الثانية للضعف الشامل للوضع.

(٣) رواه أحمد ورواته ثقات والطبراني في الكبير والاوسطمن حديث المقداد بن الاسود (ترغيب).

وفي سنن أبي داود من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكوه جاره فقال له «**اذهب فاصبر**»، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ثم قال: «**اذهب فاطرح متاعك على الطريق**» ففعل، فجعل الناس يمرون به، ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره، فجعلوا يلعنون جاره ويقولون: فعل الله به وفعل ويدعون عليه، فجاء اليه جاره وقال: يا أخي ارجع إلى منزلك فانك لن ترى ما تكره أبداً.

وأن يحتمل أذى جاره وان كان ذمياً، فقد روي عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله انه كان له جار ذمي، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بثق، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسي ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً الى أن حضرت سهلاً الوفاة، فاستدعى جاره المجوسي وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه في الجفنة، فقال ما هذا الذي أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرني أجلي، وأنا أخاف أن لا تتسع اخلاق غيري لذلك والا لم أخبرك فافعل ما ترى، فقال المجوسي: أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفري؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم مات سهل رحمه الله.

فنسأل الله ان يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال، وأن يحسن عاقبتنا إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

الكبيرة الثالثة والخمسون: اذى المسلمين وشتمهم

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وإِثْماً مُبِيناً﴾ (سورة الاحزاب آية ٥٨) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ من قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِن نساءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً منْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بالأَلْقَاب بئْسَ الاسْمُ الفُسوقُ بَعْدَ الايمان وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فأُولئِكَ هُمُ الظالِمُونَ﴾ (سورة الحجرات آية ١١) وقال تعالى: ﴿ولاَ تَجَسَّسُوا ولا يَغْتَبْ بَعْضُكم بَعْضاً﴾ (سورة الحجرات آية ١٢).

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤٣٧] «ان من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه»[١]. وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤٣٨] «عباد الله ان الله وضع الحرج الا من افترض بعرض أخيه فذلك الذي حرج أو هلك»[٢].

وفي الحديث:

[٤٣٩] «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٣] وقال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب رقم (٣١٣٢) باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفاحشاً، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة رقم (٢٥٩١) باب مداراة من يتقي فحشه.

(٢) رواه الطيالسي عن اسامة بن شريك، واسناده صحيح. انظر فيض القدير ٣٠٠/٤.

(٣) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة رقم (١٩٢٨) باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم. ومعناه عند مسلم.

[٤٤٠] «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[١] وفيه أيضاً:

[٤٤١] «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٢].

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ان فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها فقال:

[٤٤٢] «لا خير فيها هي في النار»[٣] صححه الحاكم. وفي الحديث أيضاً:

[٤٤٣] «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم»[٤] وقال رسول الله ﷺ:

[٤٤٤] «من دعا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»[٥] وقال عليه الصلاة والسلام:

[٤٤٥] «مررت ليلة أسري بي بقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: «هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[٦].

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) في البر والصلة: باب تحريم ظلم المسلم.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب رقم (٦٠٤٤) بأب ما ينهى من السباب واللعن، ورواه مسلم في كتاب الايمان رقم (٦٤) باب بيان قول النبي ﷺ: سباب المسلم فسوق.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» ١٦/٤ في كتاب البر والصلة وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه أحمد والترمذي وابن حبان.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» ٣٨٥/١ في كتاب الجنائز، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) رواه البخاري رقم (٦٠٤٥) في كتاب الأدب: باب ما ينهى من السباب واللعن، ومسلم في الايمان رقم (٦١) باب بيان حال ايمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، ومعنى حار: رجع.

(٦) رواه أبو داود رقم (٤٨٧٨) في الأدب: باب في الغيبة ورواه الامام أحمد في المسند ٢٢٤/٣ عن أنس رضي الله عنه، واسناده صحيح وذكره الضياء المقدسي في (المختارة).

(فصل) في الترهيب من الافساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب: صح عن النبي ﷺ انه قال:

« **ان الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم** »، فكل من حرش بين اثنين من بني آدم ونقل بينهما ما يؤذي أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس، كما قال النبي ﷺ:

« **ألا أخبركم بشراركم؟** » قالوا: بلى يا رسول الله، قال: « **شراركم المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرءاء العنت** »[١] والعنت المشقة. وصح عن رسول الله ﷺ انه قال:

« **لا يدخل الجنة نمام** »[٢]، والنمام هو الذي ينقل الحديث بين الناس وبين اثنين بما يؤذي أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه او صديقه بأن يقول له: قال عنك فلان كذا وكذا وفعل كذا وكذا، إلا ان يكون في ذلك مصلحة او فائدة، كتحذيره من شر يحدث أو يترتب. واما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرهما، فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما اشبه ذلك، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله. ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها، والعبد على سيده. لما روي ان رسول الله ﷺ قال: « **ملعون من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده** »[٣] نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) رواه أحمد من حديث عبد الرحمن بن غنم وفي سنده شهر بن حوشب فيه كلام معروف وبقية رجاله محتج بهم في الصحيح (ترغيب).

(٢) متفق عليه من حديث حذيفة (عراقي).

(٣) رواه أبو داود بلفظ «ليس منا من خبب » الخ من حديث أبي هريرة، والنسائي وابن حبان وله شاهد من حديث بريدة عند أحمد والبزار، ابن حبان ومن حديث جابر عند مسلم، ومعنى خبب: خدع وأفسد (ترغيب).

(فصل) في الترغيب في الاصلاح بين الناس، قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ. وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء آية ١١٤). قال مجاهد: هذه الآية عامة بين الناس، يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير، وهو قوله: ﴿إلا من أمر بصدقة﴾ ثم حذف المضاف ﴿أو معروف﴾، قال ابن عباس: بصلة الرحم وبطاعة الله، ويقال لأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها. قوله تعالى: ﴿او إصلاح بين الناس﴾ هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الأنصاري:

«ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم». قال: بلى يا رسول الله. قال: «تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا»[١] وروت أم حبيبة رضي الله عنها ان النبي ﷺ قال:

«كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر لله»[٢].

وروي ان رجلاً قال لسفيان: ما أشد هذا الحديث، قال سفيان: ألم تسمع الى قول الله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف﴾ الآية. فهذا هو بعينه.

---

(١) رواه البزار والطبراني من حديث أنس، وأشار (الترغيب) إلى ضعفه اذ صدره بلفظ روى وسكت عليه في آخره وذلك علامة الضعف عنده.

(٢) رواه ابن ماجه وابن ابي الدنيا والترمذي وقال غريب لا يعرف إلا من حديث محمد ابن يزيد بن حنيش. قال المنذري: ورواته ثقات وفي محمد بن يزيد كلام قريب وهو لا يقدح وهو شيخ صالح (ترغيب).

ثم علم سبحانه ان ذلك انما ينفع من ابتغى به ما عند الله قال الله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجراً عظيماً﴾ أي ثواباً لا حد له.

وفي الحديث:

«**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً**». رواه البخاري. وقالت أم كلثوم[1]: ولم أسمعه صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاثة أشياء: في الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها. وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في اناس معه من أصحابه رواه البخاري.

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ما عمل شيء أفضل من مشي إلى الصلاة أو اصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين**»[2]. وقال رسول الله ﷺ:

«**من أصلح بين اثنين أصلح الله امره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه**»[3]. وبالله التوفيق.

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك يا ارحم الراحمين.

---

(١) رواه مسلم من حديثها (العراقي).

(٢) رواه الاصبهاني وأشار المنذري إلى ضعفه.

(٣) رواه الأصبهاني من حديث أنس وهو حديث غريب جداً (المنذري).

الكبيرة الرابعة والخمسون: اذية عباد الله والتطول عليهم

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذين يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمنين وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احتَمَلُوا بُهْتاناً وإِثْماً مُبيناً﴾ (سورة الأحزاب آية ٥٧).

وقال الله تعالى: ﴿وَاخفض جَنَاحَكَ لِمَن اتَّبعَكَ من ٱلْمُؤْمنين﴾. (سورة الشعراء آية ٢١٥).

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

[٤٤٦] «ان الله تعالى قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[١]، وفي رواية: «فقد بارزني بالمحاربة» أي أعلمته أني محارب له. وفي الحديث ان أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها، فقال ابو بكر رضي الله عنه:

[٤٤٧] أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لقد أغضبت ربك». فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[٢] وقولهم مأخذها: أي لم تستوف حقها منه.

(فصل) في قوله تعالى:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ معَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاة والْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (سورة الكهف آية ٢٨).

الآيات. وهذه الآيات في تفضيل الفقراء، وسبب نزولها ان النبي ﷺ أول من آمن به الفقراء، وكذلك كل نبي أرسل أول من آمن

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق رقم (٦٥٠٢) باب التواضع.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٠٤) في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال.

به الفقراء، فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضي الله عنهم، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه في طرد الفقراء لما سمعوا ان علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء، فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا: يا محمد اطرد الفقراء عنك، فان نفوسنا تأنف أن تجالسهم، فلو طردتهم عنك لآمن بك أشرف الناس ورؤساؤهم فأنزل الله تعالى:

﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاة والعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (سورة الأنعام آية ٥٢).

فلما أيس المشركون من طردهم قالوا: يا محمد إن لم تطردهم فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً فأنزل الله تعالى:

﴿وَاَصْبِرْ نفسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاة وَالْعشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنهُمْ تُريد زينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيَا﴾ (سورة الكهف آية ٢٨).

أي لا تتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلباً لصحبة ابناء الدنيا.

﴿وَقُل الْحقُّ من رَبِّكُمْ فَمنْ شَاء فَلْيُؤمِنْ وَمَنْ شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ (سورة الكهف آية ٢٩).

ثم ضرب لهم مثل الغني والفقير بقوله ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾ فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم.

ولما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة هاجروا معه فكانوا في صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة، فكان ينتمي اليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا رضي الله عنهم. هؤلاء شاهدوا ما أعد الله

لأوليائه من الإحسان وعاينوه بنور الإيمان فلم يعلقوا قلوبهم بشيء من الأكوان بل قالوا: إياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدي ونسترشد، وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح، وفي ميدان ودك نرتع ونسرح ولك نعمل ونكدح وعن بابك أبداً لا نبرح، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة﴾ الآية، أي: ولا تطرد قوماً أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون، وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون. لا تطرد قوماً المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم، والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس أدامهم، والفقر والفاقة شعارهم، والمسكنة والحياء دثارهم. ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم، وبسطوا وجوههم في محاريب نجواهم، فالفقر عام وخاص، فالعام الحاجة الى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلىٰ اللهِ﴾ (سورة فاطر آية ١٥)، والخاص وصف أولياء الله وأحبائه خلو اليدين من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها، اشتغالاً بالله عزّ وجل وشوقاً إليه، وأنساً بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل.

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك، واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك، ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين.

الكبيرة الخامسة والخمسون: اسبال الازار والثوب واللباس والسراويل تعززاً وعجباً وفخراً وخيلاء

قال الله تعالى:

﴿وَلاَ تَمشِ فِي الأَرْض مرحاً إنَّ اللهَ لا يُحبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخور﴾ (سورة لقمان آية ١٨).

وقال النبي ﷺ:

« ما أسفل من الكعبين من الأزار فهو من النار »[1]. وقال عليه الصلاة والسلام:

[٤٤٨] « لا ينظر الله إلى من جر ازاره بطراً »[2] وقال عليه الصلاة والسلام:

« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »[3].

وفي الحديث أيضاً:

[٤٤٩] « بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة »[4].

وقال عليه الصلاة والسلام:

[٤٥٠] « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة »[5].

وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤٥١] « الإسبال في الإزار والعمامة من جر شيئاً منها خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة »[6].

---

(١) مكرر رقم ١٩١.
(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس رقم (٥٧٨٨): باب من جر ثوبه من الخيلا.
(٣) مكرر رقم ١٩٠.
(٤) رواه البخاري في كتاب اللباس رقم (٥٧٨٩): باب من جر ثوبه من الخيلاء، ورواه مسلم رقم (٢٠٨٨) في اللباس: باب تحريم التبختر في المشي مع اعجابه بثيابه.
(٥) رواه البخاري في اللباس رقم (٥٧٩١) و (٥٧٨٤) باب من جر ثوبه من الخيلاء.
(٦) رواه ابو داود في اللباس رقم (٤٠٩٤): باب ما جاء في اسبال الازار، والنسائي في الزينة ٢٠٦/٨ باب التغليظ في جر الإزار، وابن ماجه في اللباس رقم (٣٥٧٦) باب طول القميص كم هو واسناد ابو داود صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام:

[٤٥٢] «**ازرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار**»(١).

وهذا عام في السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس. فنسأل الله العافية، وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما رجل يصلي مسبلاً ازاره قال له رسول الله:

«**اذهب فتوضأ**»، ثم جاء فقال: **اذهب فتوضأ** فقال له رجل: يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ؟ ثم سكت عنه فقال: «**انه كان يصلي وهو مسبل ازاره، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلاً ازاره**».

ولما قال صلى الله عليه وسلم:

[٤٥٣] «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة**»(٢)، فقال ابو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ان ازاري يسترخي الا أن أتعاهده، فقال له رسول الله ﷺ:

«**انك لست ممن يفعله خيلاء**».

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين.

الكبيرة السادسة والخمسون: لبس الحرير والذهب للرجال

في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:

[٤٥٤] «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»(٣) وهذا

---

(١) رواه ابو داود في اللباس رقم (٤٠٩٣) باب ما جاء في موضع الإزار، وابن ماجه في اللباس رقم ٣٥٧٣، ورواه احمد ٢/٩٦.

(٢) رواه البخاري في اللباس رقم (٥٧٩١) باب من جر ثوبه من الخيلاء.

(٣) رواه البخاري في كتاب اللباس رقم (٥٨٣٤) ومسلم في اللباس رقم (٢٠٧٣) باب تحريم استعمال اناء الذهب والفضة.

عام في الجند وغيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم:

[٤٥٥] «**حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي**»[١].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:

[٤٥٦] «نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وان نجلس عليها»[٢]، أخرجه البخاري.

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر، وانما رخص فيه الشارع صلى الله عليه وسلم لمن به حكة أو جرب أو غيره، وللمقاتلين عند لقاء العدو. وأما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام باجماع المسلمين، سواء كان قباء أو قبطياً أو كلوثة وكذلك إذا كان الأكثر حريراً كان حراماً، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال، سواء كان خاتماً أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله. وقد رأى النبي ﷺ في يد رجل خاتما من ذهب فنزعه وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**»[٣]، وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزركش حرام على الرجال. واختلف العلماء في جواز الباس الصبي الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع آخرون لعموم قوله صلى الله عليه وسلم عن الحرير والذهب: «**هذان حرام على ذكور أمتي حل لاناثهم**»[٤]، فدخل الصبي في النهي، وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين رحمهم الله.

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم.

---

(١) رواه الترمذي في اللباس رقم (١٧٢٠) باب ما جاء في الحرير والذهب وقال: حديث حسن صحيح وهو كما قال.

(٢) رواه البخاري في الأطعمة رقم (٥٤٢٦) باب الأكل في إناء مفضض.

(٣) رواه مسلم من حديث ابن عباس.

(٤) مكرر رقم ٤٥٥.

الكبيرة السابعة والخمسون: اباق العبد

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال:

[٤٥٧] «إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة»[١] وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤٥٨] «أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة»[٢] وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ:

[٤٥٩] «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو»[٣]. وعن فضالة بن عبيد مرفوعاً:

[٤٦٠] «ثلاثة لا يسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى امامه وعبد آبق ومات عاصياً، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونة فتبرجت بعده»[٤] - أي أظهرت محاسنها كما يفعل أهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ. كذا ذكره الواحدي رحمه الله.

الكبيرة الثامنة والخمسون: الذبح لغير الله عز وجل

مثل من يقول: بسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان. قال الله تعالى:

﴿ولا تَأْكلوا مِمَّا لَمْ يُذْكَر اسْمُ اللهِ عَلَيْه﴾ (سورة الأنعام آية ١٢١).

---

(١) رواه مسلم في الإيمان رقم (٦٨) باب تسمية الآبق كافراً.

(٢) رواه مسلم في الايمان رقم (٦٩) باب تسمية الآبق كافراً.

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه وبسند زهير بن محمد فيه كلام هين ورواه الطبراني في الاوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل وروايته حسنة.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» في كتاب العلم ١١٩/١ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي رواه ابن حبان والطبراني.

قال ابن عباس: يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله: ﴿وما ذبح على النصب﴾ وقال الكلبي: ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى. وقال عطاء: ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان وقوله: ﴿انه لفسق﴾ يعني: وان كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (سورة الأنعام آية ١٢١) أي يوسوس الشيطان لوليه فيلقي في قلبه الجدال بالباطل، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة قال ابن عباس: أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿وان اطعتموهم﴾ يعني في استحلال الميتة ﴿انكم لمشركون﴾، قال الزجاج: وفي هذا دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك.

فان قيل: كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص في التحريم؟ قلت: ان المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه في هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية وفي الآية أشياء تدل أن الآية في تحريم الميتة ومنها قوله : ﴿وانه لفسق﴾ ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية.

ومنها قوله: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ والمناظرة انما كانت في الميتة باجماع من المفسرين لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين، ومنها قوله: ﴿وان أطعتموهم انكم لمشركون﴾ والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها.

وقد أخبرنا أبو منصور باسناده عن أبي هريرة[1] رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط فيه مراون بن سالم الغفاري وهو متروك (مجمع الزوائد).

سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ:

«**اسم الله على فم كل مسلم**».

وأخبرنا أبو منصور أيضاً باسناده عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال:

«**يكفيه اسمه وان نسي يسمي حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل**»[1].

واخبرنا عمرو بن أبي عمرو باسناده عن عائشة رضي الله عنها أن قوماً قالوا: يا رسول الله ان قوماً يأتونا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ:

«**سموا عليه وكلوا**»[2]، هذا آخر كلام الواحدي رحمه الله وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم: «**لعن الله من ذبح لغير الله**».

الكبيرة التاسعة والخمسون: فيمن ادعى إلى غير ابيه وهو يعلم

عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام**» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه الدارقطني وفيه راو سيء الحفظ وهو محمد بن سنان صدوق ضعيف الحفظ ورواه عبد الرزاق بسند صحيح إلى ابن عباس موقوفاً عليه من كلام (بلوغ المرام وشرحه سبل الاسلام).

(٢) رواه مالك والبخاري.

«لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر» رواه البخاري.

وفيه أيضاً:

[٤٦١] «من ادعى إلى غير ابيه فعليه لعنة الله»[١]. وعن زيد بن شريك قال: رأيت علياً رضي الله عنه يخطب على المنبر فسمعته يقول: والله ما عندنا من كتاب نقرؤه الا كتاب الله تعالى وما في هذه الصحيفة فنشرها، فاذا فيها أسنان الابل وشيء من الجراحات[٢]، وفيها: قال رسول الله ﷺ:

«المدينة حرام ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفاً ولا عدلاً، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك، وذمة المسلمين واحدة» رواه البخاري. وعن أبي ذر انه سمع النبي ﷺ يقول:

«ليس منا رجلاً ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه الا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك الا حار عليه» أي رجع عليه، ورواه مسلم. فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥١١٥) في الأدب: باب في الرجل ينتمي الى غير مواليه، والامام أحمد في «المسند» ١/١٨٨.

(٢) صوابه يزيد وهو والد ابراهيم التيمي.

الكبيرة الستون: الجدل والمراء واللدد

قال الله تعالى: ﴿ومِنَ النَّاس مَنْ يُعجبُكَ قولُه في الْحيَاةِ الدُّنيا ويُشْهدُ اللهَ على مَا في قَلْبه وهُوَ أَلَدُّ الخصَام وإذا تولَّى سَعَى في الأرضِ ليُفسدَ فيهَا وَيُهلِكَ الْحرثَ والنَّسْلَ والله لاَ يُحبُّ الفَسَادَ﴾ (سورة البقرة آية ٢٠٤).

ومما يذم من الألفاظ: المراء، والجدال، والخصومة.

قال الإمام «حجة الإسلام» الغزالي رحمه الله: «المراء طعنك في كلام لاظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه». وقال: وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها. قال: وأما الخصومة فلجاج في الكلام ليستوفي به مقصوداً من مال أو غيره وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً والمراء لا يكون إلا اعتراضاً. هذا كلام الغزالي.

وقال النووي رحمه الله: اعلم ان الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَاب إِلاَّ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة العنكبوت آية ٤٦)، وقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل آية ١٢٥)، وقال الله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ في آياتِ اللهِ إلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (سورة غافر آية ٤). قال: فان كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وان كان في مدافعة الحق أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في اباحته وذمه. والمجادلة والجدال بمعنى واحد. قال بعضهم: ما رأيت شيئاً اذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة.

(فان قلت) لا بد للانسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه، (فالجواب) ما أجاب به الغزالي رحمه الله: اعلم أن الذم المتأكد انما هو لمن خاصم

بالباطل وبغير علم كوكيل القاضي فانه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم.

ويدخل في الذم أيضاً من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والكذب والايذاء والتسليط على خصمه، كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي وليس له اليها حاجة في تحصيل حقه، كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم.

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا ايذاء، ففعل هذا ليس حراماً ولكن الأولى تركه ما وجد اليه سبيلاً، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ويحزن لمسرته ويطلق لسانه في عرضه. فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى انه يكون في صلاته، وخاطره متعلق بالمحاجة والخصومة فلا تبقى حاله على الاستقامة والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدال والمراء فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة الا لضرورة لا بد منها.

روينا في كتاب للترمذي[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«كفى بك اثماً ان لا تزال مخاصماً».

---

(١) وقال حديث غريب (ترغيب).

وجاء عن علي رضي الله عنه قال: ان الخصومة لها قحم. قلت القحم بضم القاف وفتح الحاء المهملة وهي: المهالك.

(فصل) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع »(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

« ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدال ثم تلا(٢) ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً﴾ الآية ».

وقال صلى الله عليه وسلم:

« أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق في القرآن ودنيا تقطع أعناقكم »(٣) رواه ابن عمر.

وقال النبي ﷺ:

« المراء في القرآن كفر »(٤).

(فصل): يكره التغيير في الكلام بالتشدق، وتكلف السجع بالفصاحة بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون، فكل ذلك من التكلف لمذموم، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظاً يفهمه جلياً ولا يثقله.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والاصبهاني في (الترغيب) وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور (العراقي).

(٢) رواه يزيد بن الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه (العراقي) وجعله في الترغيب من سند أبي هريرة وعزاه الترمذي إلى ابن أبي الدنيا في الصمت.

(٣) رواه يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر قاله المصنف في الصغرى معلقة بلفظ يروي، وله شاهد من حديث معاذ عند الطبراني في معاجمه الثلاثة وفيه عبد الحكيم ابن منصور متروك وله طريق أخرى في الأوسط فيها انقطاع (مجمع الزوائد).

(٤) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ورواه الطبراني وغيره من حديث زيد بن ثابت (ترغيب).

روينا في كتاب الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«ان الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة» قال الترمذي: حديث حسن وروينا فيه أيضاً عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«ان من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وان من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون». قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون» قال الترمذي: حديث حسن قال: والثرثار هو كثير الكلام، والمتشدق من يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم.

واعلم أنه لا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها افراط وأغراب، الا ان المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر، والله أعلم.

الكبيرة الحادية والستون: منع فضل الماء

قال الله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤكُم غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُم بماءٍ مَعِين﴾ (سورة الملك آية ٣٠).

قال النبي ﷺ:

[٤٦٢] «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ»[١].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشرب والمساقاة رقم (٢٣٥٤) ورواه مسلم في المساقاة رقم (١٥٦٦) باب تحريم بيع فضل الماء.

وقال عليه الصلاة والسلام:

[٤٦٣] «من منع فضل مائه وفضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة»[١].

وقال رسول الله ﷺ:

[٤٦٤] «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع اماماً لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها وفي له وان لم يعطه منها لم يف له، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لاخذتها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك»[٢] أخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري: «ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك».

الكبيرة الثانية والستون: نقص الكيل والزراع وما أشبه ذلك

قال الله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ يعني الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن. قوله: ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ يعني يستوفون حقوقهم منها قال الزجاج: المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر «إذا

---

(١) رواه الامام أحمد في المسند ١٧٩/٢، ١٨٣، ٢٢١ واسناده حسن.

(٢) رواه البخاري في كتاب الشرب والمساقاة رقم (٢٣٦٩) باب من قال: إن صاحب الماء احق بالماء حتى يروى، ورواه مسلم في الايمان رقم (١٠٨) باب غلظ تحريم الازار، والمن بالعطية.

اتزنوا » لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر. ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ أي ينقصون في الكيل والوزن. وقال السدي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **خمس بخمس** »، قالوا يا رسول الله ﷺ وما خمس بخمس؟ قال: « **ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون** « يعني كثرة الموت »، **ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر** »[1] ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون﴾ قال الزجاج: المعنى لو ظنوا انهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن ﴿ليوم عظيم﴾ أي يوم القيامة. ﴿يوم يقوم الناس﴾ من قبورهم ﴿لرب العالمين﴾ أي لأمره ولجزائه وحسابه، وهم يقومون بين يديه لفصل القضاء. وعن مالك بن دينار قال: دخل علي جار لي وقد نزل به الموت وهو يقول: جبلين من نار، جبلين من نار. قال: قلت: ما تقول؟. قال: يا أبا يحيى كان لي مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر وقال مالك بن دينار: فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر، فقال: يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظماً وشدة فمات في مرضه.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد (المنذري) وشواهد من حديث ابن عمر عند البزار وبريدة عند الحاكم والنسائي والبيهقي الخ.

والمطفف: هو الذي ينقص الكيل والوزن مطففاً لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف، وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام. ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره. وقال بعض السلف: أشهد على كل كيال أو وزان بالنار لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله، وقال بعضهم: دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها؟ فلما أفاق قلت له: يا أخي ما لي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها؟ قال: يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها. فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصاً؟ قال: لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لاختبر صحة ميزاني. فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصاً؟!.

وقال نافع: «كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن، فان المطففين يوقفون حتى ان العرق ليلجمهم إلى انصاف آذانهم، وكذا التاجر إذا شدَّ يده في الذراع وقت البيع وأرخى وقت الشراء، وكان بعض السلف يقول: ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السماوات والأرض، وويح لمن يشتري الويل بحبة يأخذها زائدة» فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم.

الكبيرة الثالثة والستون: الأمن من مكر الله

قال الله تعالى: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾ (سورة الانعام آية ٤٤) أي أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون قال الحسن: من وسَّع الله عليه فلم ير أنه يُمكر به فلا رأي له، ومن قتَّر عليه فلم ير انه يُنظر اليه فلا رأي له ثم قرأ هذه الآية:

﴿حتَّى إذا فَرِحُوا بما أُوتُوا أَخذْنَاهُمْ بَغْتَةً فإذا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (سورة الانعام آية ٤٤).

وقال: مُكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أُخذوا.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج**»(١) ثم قرأ:

﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا به فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كلِّ شَيءٍحَتَّى إذا فَرِحُوا بما أُوتُوا أخذْنَاهُمْ بغتَةً فاذا هُمْ مُبلسُونَ**﴾ (سورة الانعام آية ٤٤).

الابلاس: اليأس من النجاة عند ورود الهلكة، وقال ابن عباس: أيسو من كل خير. وقال الزجاج: المبلس الشديد الحسرة اليائس الحزين.

وفي الأثر: انه لما مكر بابليس - وكان من الملائكة - طفق جبريل وميكال يبكيان، فقال الله عز وجل لهما: مالكما تبكيان؟ قالا: يا رب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى: «هكذا كونا لا تأمنا مكري». وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**»(٢) فقيل له يا رسول الله أتخاف علينا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ان القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**».

---

(١) رواه الطبراني في الاوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف (مجمع الزوائد).

(٢) رواه الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقال حديث حسن صحيح، وفي الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة رضي الله عنها وعائشة وأبي ذر رضي الله عنهم.

وفي الحديث الصحيح:

«ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[١] وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«ان الرجل ليعمل بعمل أهل النار وانه من أهل الجنة، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وانه من أهل النار، وانما الأعمال بالخواتيم».

وقد قص الله تعالى في كتابه العزيز قصة بلعام وانه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة، وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر، وروي أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للاذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة، فرقي يوماً المنارة على عادته للاذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار - وكانت جميلة - فافتتن بها وترك الآذان ونزل اليها فقالت له: ما شأنك وما تريد؟ فقال: أنت أريد. قالت: لا اجيبك إلى ريبة. قال لها: أتزوجك، قالت له: أنت مسلم وأبي لا يزوجني بك، قال: أتنصر. قالت له: ان فعلت أفعل، فتنصر ليتزوج بها وأقام معها في الدار، فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط فمات، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها. نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة.

وعن سالم عن عبد الله قال: كان كثيراً ما كان رسول الله ﷺ يحلف: **«لا ومقلب القلوب»** رواه البخاري، ومعناه يصرفها أسرع من

---

(١) يعني البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولعله في مسلم أيضاً.

ممر الريح على اختلاف في القبول والرد والارادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف. وفي التنزيل ﴿**واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ قال مجاهد: المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما تصنع بنانه ﴿**ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾ أي عقل، واختار الطبري أن يكون ذلك اخباراً من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها ان شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك**». فقلت: يا رسول الله انك تكثر ان تدعو بهذا فهل تخشى؟ قال: **وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه**». فاذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والارادة غير مغالبة، فلا تعجب بايمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ذلك ان كان من كسبك، فانه من خلق ربك وفضله الدار عليك، فمها افتخرت بذلك كنت مفتخراً بمتاع غيرك، ربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العَير(١).

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم، أضحت وزهرها يابس هشيم، إذ هبت عليها الريح العقيم، كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم. ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم، ذلك تقدير العزيز العظيم.

---

(١) العير بفتح العين: الحمار. (★) في الاصول المعروفة للكتاب نقص في آخر الكبيرة الثالثة والستين، وفي أول الكبيرة الرابعة والستين، وسيبقى هذا النقص حتى تظهر نسخة فيها هذا النقص فيكمل، مع العلم بأننا راجعنا هذا النقص على عدة نسخ خطية فلم نجده.

ابن آدم. الاقلام عليك تجري، وأنت في غفلة لا تدري، ابن آدم دع المغاني والأوتار، والمنازل والديار، والتنافس في هذه الدار، حتى ترى ما فعلت في أمرك الأقدار، قال الربيع: سئل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

* * * *

ينادي مناد من قبل العرش: أين فلان أين فلان فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه، قال: فيقول الله عز وجل لذلك الشخص: أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السماوات والأرض فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عز وجل، فيلقي الله عز وجل عليه من نوره يستره عن المخلوقين ثم يقول له عبدي أما علمت اني كنت اشاهد عملك في دار الدنيا؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول الله تعالى: عبدي أما سمعت بنقمتي وعذابي لمن عصاني؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول الله تعالى: أما سمعت بجزائي وثوابي لمن أطاعني؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول الله تعالى: يا عبدي عصيتني؟ فيقول: يا رب قد كان ذلك، فيقول الله تعالى: عبدي فما ظنك اليوم بي؟ فيقول يا رب أن تعفو عني، فيقول الله تعالى: عبدي تحققت أني أعفو عنك؟ فيقول: نعم يا رب لأنك رأيتني على المعصية وسترتها علي. قال فيقول الله عز وجل: قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك، خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وأنا الجواد الكريم.

إلهنا لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان، ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان.

اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللهم انظر الينا نظر الرضى، وأثبتنا في ديوان أهل الصفا، ونجنا من ديوان أهل الجفا.

اللهم حقق بالرجاء آمالنا، وحسن في جميع الأحوال أعمالنا، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا وخذ إلى الخيرات بنواصينا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

الكبيرة الخامسة والستون: تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة:

«**لقد هممت أن آمر رجل يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم**» رواه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام:

«**لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**». رواه مسلم[1].

وقال صلى الله عليه وسلم:

«**من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه**» أخرجه أبو داود والنسائي[2] وقال: «**من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب**

---

(١) من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنها، وكذا رواه ابن ماجه من حديثها (الترغيب).

(٢) والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة في صحيحه والحاكم. وقال على شرط مسلم كلهم من حديث أبي الجعد الضميري وكانت له صحبة وله شاهد من حديث أبي قتادة عند أحمد والحاكم، ومن حديث أسامة عند ابن حبان، ومن حديث كعب بن مالك عنده أيضاً، ومن حديث أبي هريرة عند ابن ماجه، ومن حديث جابر عند أبي يعلى. ومن كلام ابن عباس عنده أيضاً ومن حديث حارثة بن النعمان عند أحمد أفاده (الترغيب) وقال المصنف في الصغرى اسناده جيد قوي.

منافقاً في ديوان لا يمحى ولا يبدل».

وعن حفصة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رواح الجمعة واجب على كل محتلم»[1] أي على كل بالغ.

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم.

الكبيرة السادسة والستون: الاصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عن سَاق وَيُدْعَونَ إلى السُّجُود فَلا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أبصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَونَ إلى السُّجُودِ وَهُم سالمونَ﴾ (سورة القلم آية ٤٢).

قال كعب الأحبار: ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات. وقال سعيد بن المسيب امام التابعين رحمه الله: كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء.

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال:

[٤٦٥] «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»[2]. وفي رواية لمسلم أيضاً من حديث أبي هريرة: «لقد هممت ان آمر

---

(١) حديث حفصة رواه النسائي (الصغرى).

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد رقم (٦٥٢) باب فضل صلاة الجماعة والبخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

فتيتي أن يجمعوا لي حزماً من حطب ثم آتي قوماً يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم ». وفي هذا الحديث الصحيح والآية التي قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر فقد روى أبو داود في سننه باسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

« من سمع المنادي فلم يمنعه من اتيانه عذر - قيل وما العذر يا رسول الله قال: خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التي صلى » يعني في بيته.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجمع، فقال: ان مات هذا فهو في النار.

وروى مسلم أن رجلاً أعمى جاء الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: « هل تسمع النداء بالصلاة؟ » قال: نعم، قال: « فأجب ». وفي رواية أبي داود ان ابن أم مكتوم جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله ان المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ: « تسمع حي على الصلاة حي على الفلاح؟ » قال: نعم. قال: « فأجب، فحي هلا ». وفي رواية انه قال: يا رسول الله اني ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة: وقوله: « فحي هلا » أي تعال وأقبل.

وروى الحاكم في مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

« ومن سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له ». قالوا:

وما العذر يا رسول الله؟ قال: «خوف أو مرض» وجاء عن النبي ﷺ انه قال:

«لعن الله ثلاثة - من تقدم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ورجلاً سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب»[1]. قال أبو هريرة: «لئن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير من أن يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لا يجيب».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد، قيل من جار المسجد؟ قال: من يسمع الآذان، قال ايضاً: (من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه الا من عذر).

وقال ابن مسعود[2] رضي الله عنه: من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فان الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وانها من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق أو مريض. ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف، يعني يتكىء عليها من ضعفه حرصاً على فضلها وخوفاً من الاثم في تركها.

(فصل): وفضل صلاة الجماعة عظيم كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (سورة الأنبياء آية ١٠٥) انهم المصلون الصلوات الخمس في الجماعات. وفي قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (سورة يس، آية ١٢) أي خطاهم.

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس كما تقدم في النهي عن ترك الصلاة.
(٢) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما (ترغيب).

وفي الصحيح[1] ان رسول الله ﷺ قال:

« من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته أحدهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لم يؤذ فيه او يحدث فيه ».

وقال صلى الله عليه وسلم:

« ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: اسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط »[2]، رواه مسلم.

الكبيرة السابعة والستون: الاضرار في الوصية

قال الله تعالى: ﴿مِنْ بَعد وصيَّة يُوصَى بها أو دَين غَير مُضَارٍّ﴾ (سورة النساء آية ١١).

اي غير مدخل الضرر على الورثة، وهو أن يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه. وقال الله تعالى:

﴿وصيَّةٌ منَ الله واللهُ عليمٌ حليمٌ﴾ (سورة النساء آية ١٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة بنحو ما هنا (الترغيب).

(٢) رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه كلهم من حديث ابي هريرة وشاهده من حديث ابي سعيد الخدري عند ابن ماجه وابن حبان في صحيحه (ترغيب).

قال ابن عباس: يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث ﴿**ومن يطع الله ورسوله**﴾ في شأن المواريث. ﴿**يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله**﴾ قال مجاهد فيما فرض الله من المواريث.

وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله ﴿**يدخله ناراً**﴾.

وقال الكلبي يعني يكفر بقسمة الله المواريث ويتعدى حدوده استحلالاً ﴿**يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين**﴾. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ان الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار**» ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية ﴿**من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار**﴾ رواه ابو داود[١].

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال:

«**من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة**»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«**ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**» صححه الترمذي[٣].

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن غريب، ورواه ابن ماجه ولفظه «ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا أوصى جاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة «ترغيب».

(٢) رواه ابن ماجه من حديث انس وأشار المنذري إلى ضعفه. وقال المصنف في الصغرى في سنده مقال.

(٣) سن حديث عمرو بن خارجة وفي سنده اسماعيل بن عياش في روايته عن غير الشاميين ضعف.

الكبيرة الثامنة والستون: المكر والخديعة

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (سورة فاطر آية ٤٣).

وقال النبي ﷺ:

« المكر والخديعة في النار »[١].

وقال صلى الله عليه وسلم:

« لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » وقال الله تعالى عن المنافقين: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾. قال الواحدي يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً كما يعطى المؤمنون، فإذا مضوا على الصراط أطفىء نورهم وبقوا في الظلمة.

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث:

« واهل النار خمسة، وذُكر منهم رجلاً لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك »[٢].

الكبيرة التاسعة والستون: من جس على المسلمين ودل على عورتهم

فيه حديث حاطب بن أبي بلتعة وان عمر أراد قتله بما فعل، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدراً، إذا ترتب على جسه وهن على الإسلام وأهله وقتل أو سبي أو نهب أو شيء من ذلك، فهذا ممن سعى في الأرض فسادا وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله وحق

(١) رواه البزار من حديث ابي هريرة وفيه عبد الله بن أبي حميد اجمعوا على ضعفه (مجمع الزوائد).

(٢) رواه مسلم من حديث عياض بن حمّار المجاشعي.

عليه العذاب. فنسأل الله العفو والعافية. وبالضرورة يدري كل ذي جس أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم.

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية، انه لطيف خبير جواد كريم.

الكبيرة السبعون

سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:

«يقول الله تعالى: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[1]، وقال صلى الله عليه وسلم:

[٤٦٦] «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[2] مخرج في الصحيحين.

وقال صلى الله عليه وسلم: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن

---

(١) عزاه في الصغرى إلى البخاري فقط، وقال في الميزان في ترجمة خالد بن مخلد القطوني. ولا خرجه من عدا البخاري ولا أظنه في «المسند» وأقره الحافظ العسقلاني في الفتح وعد من اخرجه أو أخرج شاهداً له. وليس فيهم مسلم فما هنا سبق قلم أو من تحريف النساخ والحديث من مسند أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري ٧/٢٧ ومسلم رقم (٢٥٤١) وابو داود في السنة رقم (٤٦٥٨) والترمذي (٣٨٦) وقال الذهبي في الصغرى: رواه البخاري فقط وقال في «الميزان» في ترجمة خالد بن مخلد القطوني ولاخرجه من عدا البخاري ولا أظنه في المسند وأقره الحافظ العسقلاني في «الفتح» وعد من أخرجه أو أخرج له شاهداً وليس فيهم مسلم فما هنا سبق قلم أو من تحريف النساخ والحديث من مسند ابي هريرة رضي الله عنه.
أقول: هو عند مسلم في فضائل الصحابة وفي «المسند» للامام أحمد ٣/١١ وعن الترمذي في المناقب والله أعلم بالصواب وله الحمد والمنّة.

آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه» أخرجه الترمذي(١).

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «الله الله» كلمة تحذير وانذار كما يقول المحذر: النار النار أي احذروا النار، وقوله: «لا تتخذوهم غرضاً بعدي» أي لا تتخذوهم غرضاً للسب والطعن، كما يقال: اتخذ فلان غرضاً لسبه أي هدفاً للسب وقوله: «فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»، فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحـابـة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا بـه وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال، فمن أحبهم فانما أحب النبي ﷺ. فحب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كما جاء في الحديث الصحيح.

«حب الانصار من الايمان وبغضهم من النفاق»، وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ وكذلك حب علي رضي الله عنه من الايمان وبغضه من النفاق، وانما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الايمان والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، واظهار شعائر الاسلام، واعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه وسننه، ولولاهم ما وصل الينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً.

---

(١) من حديث عبد الله بن مغفل وقال غريب (مشكاة).

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم واضمار الحقد فيهم وانكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، هذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفاق ومن الزندقة والالحاد في عقيدته، وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك كقول النبي ﷺ:

« ان الله اختارني واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء وأنصار وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا »[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نُسب، فقال رسول الله ﷺ:

« من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ».

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« ان الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل لي أصحاباً وأخواناً وأصهاراً، وسيجيء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم »[2].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني من حديث عويم بن ساعدة وفيه من لم أعرفه، وزاد في منتخب كنز العمال: عزوه إلى الحاكم في مستدركه.

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء عن أنس في منتخب كنز العمال.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»[1] قال العلماء: معناه من فحص عن سر القدر في الخلق، وهو: أي الامساك علامة الايمان والتسليم لأمر الله، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك، وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشيء وتتبع عثراتهم وذكر عيباً وأضافه اليهم كان منافقاً. بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله، وحب ما جاء به، وحب من يقوم بأمره، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته، وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم، لأن أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله.

قال أيوب السختياني رضي الله عنه: من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الخير في اصحاب رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق.

(فصل): وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم، وأفضل العشرة: أبو بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، ولا يشك في ذلك الا مبتدع منافق خبيث.

---

(١) رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح، وله شاهد ضعيف من حديث ثوبان عند الطبراني أيضاً «مجمع الزوائد» وقال العراقي: رواه الطبراني باسناد حسن.

وقد نص النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية حيث قال:

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور»[1] الحديث.

والخلفاء الراشدون هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن، قال الله تعالى:

﴿ولاَ يَأتل أُلوا الفَضْل منكم والسَّعة أن يُؤْتُوا أُولي القُربَى والْمَسَاكِين﴾. الآية.

لا خلاف ان ذلك فيه، فنعته بالفضل رضوان الله عليه وقال تعالى: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ الآية، لا خلاف أيضاً ان ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة، وبشره بالسكينة، وحلاه بثاني اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما؟ وقال الله تعالى:

﴿والَّذي جَاءَ بالصِّدقِ وصدَق به اولئِكَ هُمُ المتَّقُونَ﴾.

قال جعفر الصادق: لا خلاف ان الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم؟ رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) رواه الترمذي وصححه.

المحتويات

المـــوضــوع

الصفحة